مع المسلمين البولنديين

رحلة وحديث عن الإسلام

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

رقم فسح وزارة الاعلام

٨٠٣٠ / م

وتاريخ ٢٦/ ١٢ / ١٤١١هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه.

أما بعد: فإن السفر إلى بولندا كان أمنية قديمة صارت عزمًا عندما تقرر أن أسافر على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي إلى أقطار أوروبا الشرقية المبتلاة بالشيوعية، من أجل اللقاء بالأخوة المسلمين هناك، والتعرف على مشكلاتهم، وتحديد حاجاتهم لأمور دينهم.

فزرنا يوغسلافيا والمجر ورومانيا وبلغاريا في عام ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

ولم نستطع دخول بولندا، بسبب صعوبة الحصول على سمة الدخول إليها، فكانت سفاراتها ترحب بطلبنا ولكنها تقول: إنها لابد لها من أن تتلقى إذنًا بذلك من السلطات البولندية في العاصمة لأن السفارات البولندية لم تخول منح سمات الدخول لرعايا دول لاتتبادل التمثيل السياسي مع بولندا كالمملكة العربية السعودية.

هكذا قالت سفاراتهم في أثينا وبلغراد وبودابست.

وفي هذه المرة قررت رابطة العالم الإسلامي إرسال وفد من قبلها برئاستي إلى الاتحاد السوفيتي لزيارة المسلمين هناك فقررنا أن نزور بولندا بعد الاتحاد السوفيتي وأخذنا للأمر أهبته، فأرسلنا لمكتب رابطة العالم الإسلامي في الأردن، وطلبنا منه أن يتصل بالسفارة البولندية في عمّان للحصول على سمات دخول إلى بولندا للوفد كما كتبت وزارة الخارجية السعودية إلى السفارة السعودية في عمان بهذا الخصوص. وأثمرت هذه المساعي إذنًا بالدخول بل ترحيبًا به، واستعداداً طيبًا لمقابلة الوفد.وهكذا كان.

فقد حصلنا على سمات الدخول ولم يكن ذلك فحسب وإنما جعلوها إذنًا بزيارة رسمية ختموا ذلك على جوازاتنا وإن لم نطلبه، ومعنى ذلك أن نتصل

بالمسئولين هناك وفق البرنامج الذي سيوضع لزيارتنا.

وهذا الكتاب هو ماكتبته عن زيارة بولندا في مذكراتي وهي زيارة تمت في الأصل من أجل الإخوة المسلمين ولذلك كتبت عنوان الكتاب . «مع المسلمين البولنديين» ولم تكن زيارة قصدت بها السياحة ومع ذلك صار فيها مايستحق أن يقرأه من يهوى قراءة كتب السفر والرحلات لذلك أضفت إلى العنوان عنوانًا آخر هو: «رحلة وحديث عن الإسلام»..

وكان وفدنا مؤلفًا كالتالي:

محمد بن ناصر العبودي الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي (كاتب هذه السطور) رئيسًا.

الدكتور سعيد محمد باديب عضواً.

الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن باز عضواً

الشيخ سالم بن عبدالله السالم الأمين العام المساعد للدعوة الإسلامية عضواً.

الشيخ عبدالرحمن بن رشيد العوين المسئول عن إدارة الدعوة في أوروبا عضواً.

الأستاذ رحمة الله بن عناية الله أمين سر الوفد

واستغرقت الرحلة في بولندا ستة أيام بدأت بيوم الثلاثاء ٢٩أبريل ١٩٨٦م الموافق ٢٠ شعبان ١٤٠٦هـ وانتهت يوم الإثنين ٥ مايو...

وكانت فترة حرجة قد اهتاجت فيها العواطف بسبب العواصف التي هبت على بولندا متسربة من المفاعل النووي السوفيتي الواقع في بلدة شيرنوبل في

منطقة لاتبعد كثيراً عن بولندا مماجعل البلاد تقع داخل مرمى السحب الشعاعية النووية وجعل كثيراً من الأجانب الذين كانوا مقيمين فيها يهربون خوفًا من خطر التعرض للإشعاع النووي لمدة أطول ومنهم كثير من السفراء السياسيين العاملين في سفارات الدول الغربية في بولندا.

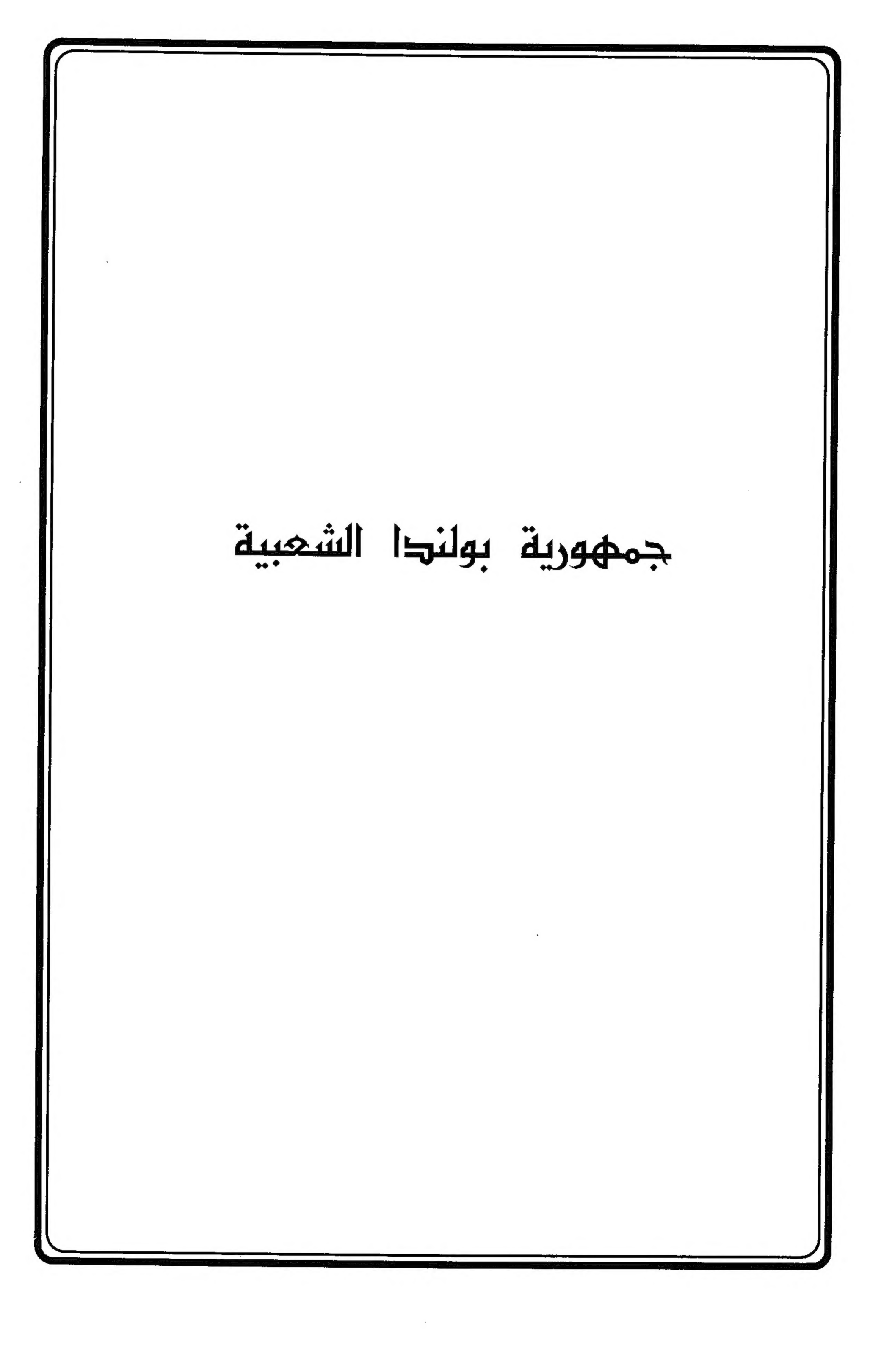
ومن أكثر المناطق تعرضًا للإشعاع النووي منطقة الشمال الشرقي في بولندا لأنها قريبة من الحدود السوفيتية وهي أقرب مناطق بولندا لمنطقة المفاعل الذي تسربت منه المواد الشعاعية النووية ولكنها المنطقة التي يسكن فيها أكثر المسلمين وقد علموا بقدوم وفدنا قبل مدة وهم ينتظروننا بشوق لأننا أول وفد يقدم إليهم من الديار المقدسة في تاريخهم كله.

فلم يكن بد من تلبية طلبهم والتوجه إلى تلك المناطق رغم تعرضها للإشعاعات النووية أكثر من غيرها ومايمثله ذلك من خطر على الصحة.

وسوف أقص عليك يوميات الرحلة كلها فيما بعد هذا.. والله المستعان.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



جمهورية بولندا الشعبية

جمهورية بولندا الشعبية

تقع بولندا في شرق أوروبا وتبلغ مساحتها ٣١٢٦٨٣ كم٢ وسكانها ٣٦٠٦٢٠٠٠ نسمة ويدين ٩٥٪ من البولنديين بالمسيحية الكاثولوكية، وتنقسم إلى ١٧مقاطعة وعاصمتها وارسو، ومن أهم مدنها كراكاو وبوزنا، ولها ميناءان على بحر البلطيق هما شنيتن وغدانسك.

بعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة ألمانيا وخروج قواتها من بولندا قامت في البلاد حكومة شيوعية عام ١٩٤٧، وينص دستور بولندا لعام ١٩٥٢ على أن المجلس الوطني هو المرجع في الدولة وينتخب أعضاءه البالغ عددهم ٤٦٠شخصًا كل أربع سنوات ويعيّن هذا المجلس أعضاء مجلس الدولة البالغ عددهم ١٥عضواً ويختار الوزراء ورئيسهم.

وفي عام ١٩٨٠عمت بولندا اضطرابات عمالية تطالب بالتحرر من قيود الشيوعية وحرية العمل والتجارة، بيد أن الجنرال ويجينج بارولسكي القائد العام العسكري أقال الحكومة المدنية وتولى فرض الحكم العسكري على البلاد الذي لايزال مستمراً إلى اليوم.[1]

تاريخ دخول الإسلام إلى بولندا:

تاريخ المسلمين في بولندا هو جزء من تاريخ إمبراطورية التون أورده (١٢٢٧-١٥٠٥) التي كانت تتبعها مملكة بولونيا الكبرى المشتملة على لاتفيا وليتوانيا وأجزاء من أوكرانيا مع بولندا الحالية في القرون الوسطى. وكانت مملكة بولونيا تدين بالولاء لإمبراطورية (ألتون أورده) اسمًا وتدفع الجزية السنوية.

(١) حدثت بعد ذلك تطورات معروفة لم تتناولها هذه الدراسة شملت ابتداء حركة نقابة تضامن للعمال ثم سقوط الشيوعية في بولندا واستبدالها بنظام غير شيوعي.

ولما منيت الإمبراطورية التي أسسها بركة خان المسلم حفيد جنكيزخان بالهزائم بسبب الانقسامات والحروب الداخلية وخاصة من غزوات تيمورلنك المتكررة في الشرق من جهة ومن معارك التوسع الروسي لإمارة موسكو، التجأ الأمير توختميش ابن تولى خوجه إلى أراضي ليتوانيا التي هي في بولنده الشرقية حاليا وكان أمير ليتوانيا حينذاك فيتوفيت Witowt الذي تحالف مع ملك بولندا ضد روسيا.

وبعد موت توختميش عام ١٤٠٨م خلفه جلال الدين أميراً على جماعة المسلمين التتار التي شكلت إمارة صغيرة في شمال شرق أوروبا في الإقليم القائم شرق كييف.

وقد عاشت هذه الإمارة الإسلامية بموجب معاهدات مع دولة الموسكوف وبولندا وليتوانيا إلى عام ١٥٠٢ ثم غزتها دولة القريم الإسلامية من الجنوب ودولة الموسكوف الروسية من الشرق.

وعندما تعرّض المسلمون البولنديون لعمليات التنصير الإجباري والاضطهاد الديني في أوائل القرن السادس عشر تدهورت العلاقة بين بولندا وجارتيها الدولة العثمانية ودولة القريم المسلمة، وهاجم ملوك القريم بولندا في عامي ١٦٤٠ و ١٦٤٩. ثم استولت الدولة العثمانية على أجزاء من بولندا فيمابين ١٦٧٢-١٦٩٩، ثم تحسنت أحوال المسلمين وشارك كثير منهم مع الجيش البولندي في حروبه مع السويد وروسيا وكان لهم الفضل في إنقاذ حياة الملك البولندي جان الثالث في معركة باركالي عام ١٦٨٣ وكافأهم الملك بمنحهم منطقة بياوستوك الحالية التي يعيش فيها معظم المسلمين البولنديين.

وخلال الاحتلال الروسي على بولندا في القرن التاسع عشر الميلادي شكل الروس فرقة إسلامية سميت بالفرقة التتارية اللتوانية بقيادة الكولونيل يعقوب

مصطفى بارنوفسكي، وقد سجل الكاتب الروسي نيقولاي جوجول شجاعة وفروسية التتار المسلمين في قصته العالمية تراس بولبا. وكذلك عملت حكومة بروسيا التي احتلت القسم الثاني من بولندا تدابير مماثلة للاستفادة من فرسان التتار المسلمين، فاستحدثت فرقة إسلامية بقيادة الكولونيل مرزا بانوافسكي.

وأما الجنرال ماتيوسوليكافتش قائد الفيلق الإسلامي البولندي الذي ساهم في العمليات الحربية على حدود رومانيا فقد التجأ إلى القريم حيث ترأس هناك حكومة جمهورية القريم المستقلة عام ١٩١٨. ولما احتل الشيوعيون الروس شبه جزيرة القريم هرب مع نفر من البولنديين المسلمين إلى القفقاس، وساهم في تنظيم دولة أذربيجان المستقلة حيث كان الجنرال ماتيوسوليكافتش رئيساً لأركان الحرب إلى أن قتل عام ١٩٢٩ بعد احتلال الشيوعيين السوفييت لأذربيجان.

وبعد اندحار الألمان في الحرب العالمية الأولى وإعلان استقلال بولندا في صوفيا بتاريخ ١١نوفمبر ١٩١٨، أصدر الرئيس البولندي المارشال بلسودسكي أمراً بتنظيم فرقة من الخيّالة التتار المسلمين البولنديين في يناير ١٩١٩، وتكونت فرقة الفتيان التتار الإسلامية بقيادة الجنرال المسلم اسكندر رومانوفتش واشتركت في الحرب ضد الشيوعيين في معركتي كييف ووارسو في شهر أغسطس عام ١٩٢٠ ولما توقفت المعارك وتم توقيع معاهدة الصلح في ريفا سنة ١٩٢١ وجد المسلمون القاطنون عبر التاريخ في مملكة ليتوانيا وبولندا المتحدة أنفسهم في ثلاثة بلدان هي بولندا وليتوانيا وبيلوروسيا (روسيا البيضاء).

وكان المسلمون في بولندا أكثر أفراد الشعب نضوجاً من الناحية الثقافية فآزرتهم السلطات الحكومية في تنظيم أمورهم الدينية والثقافية فعقد أول مؤتمر

إسلامي بولندي في شهر ديسمبر عام ١٩٢٥، حضره ثمانية وخمسون مندوبًا لثمان عشرة مقاطعة وأقر المؤتمر استقلال الشئون الإسلامية في بولندا وانتخب الدكتور يعقوب سينكافيتش مفتيًا عامًّا لمسلمي بولندا وعيّن السيد يعقوب رومانوفيتش نائبًا له، وكانت مدينة ولينوس في شمال شرق البلاد مركزهم الديني ومقر المفتي والجمعية الثقافية الإسلامية. وفي سنة ١٩٣٠ سافر المفتي يعقوب سينكافيتش ضمن الوفد البولندي الدبلوماسي إلى الشرق الأوسط وتشرّف بمقابلة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود في جدة. وكانت مهمة الوفد هي إقامة العلاقات الودية بين بولندا والمملكة العربية السعودية.



الملك عبد العزيز آل سعودعلى يساره المفتي يعقوب شنسكيري ١٩٣٠م.
وعلى يمين الملك قنصل بولندا في جدة رافشنيسكي وكان مسيحيًا والآن أكثر أفراد عائلته مسلمة وأحد أبناء أعمامه رئيس المسلمين في تشيكوسلوفاكيا وكان عضو اتحاد المسلمين في بولندا.

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م اشترك المسلمون البولنديون في الدفاع عن البلاد ولمع نجم الفرقة التتارية في الجيش البولندي أثناء المعارك

مع الألمان وروسيا السوفييتية. ولكن نتيجة الحرب العالمية الثانية كانت وخيمة على المسلمين البولنديين حيث أصبح أكثرهم داخل الاتحاد السوفييتي ولم يعد مركزهم ولينوس جزءاً من بولندا بل أصبح عاصمة جمهورية ليتوانيا السوفييتية وفتك الشيوعيون بالعائلات الإسلامية. وكان الضباط المسلمون وأفراد الفرقة التتارية المسلمة في الفيلق البولندي الثاني متواجداً آنذاك في إيطاليا وآثر هؤلاء الجند المسلمون الاستيطان في بلدان أوروبا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية، ويقيم كثير من مسلمي بولندا في حي بروكلين في نيويورك.

مناطق المسلمين وعددهم في بولندا:

في عشرينات القرن العشرين كان يوجد المسلمون في ثمان عشرة مقاطعة في بولندا مع كثافة مميّزة في شمال بولندا. وكان عدد المساجد ٤٤ مسجداً في عام ١٩١٨. ولكن التصفيات التي تعرّض لها الوجود الإسلامي هناك أدت إلى تلاشيهم من بعض الأماكن، وتشير التقارير الحديثة إلى تواجد المسلمين في قريتي بوهونيكي Bohoniki وكرشريناني Kruszyniany ومدينة بيالوستوك Bia-lystok وفي مدينة غدانسك Gdansk وسزكزجين Szczecin ثم في العاصمة وارسو، وقد اختفت الجماعات الإسلامية في كل من ايلبلاغ وزيلونا وغورا ووركالاو وكراكو وغوزو.

كان عدد المسلمين في بولندا في أوائل هذا القرن العشرين حوالي ١٥٠ألف شخص، وكما تقول مجلة «الدين في البلدان التي تسيطر عليها الشيوعية»

Religion in Communist Dominated areas, Vol. XXI, Nos. 7&8 1982.

الصادرة في نيويورك في عام ١٩٨٢: «بأن مائة ألف مسلم تتري من الذين

كانوا في بولندا قد تم تحويل معظمهم إلى كاثوليك عبر السنوات الماضية، وعلى هذا فقد تقلّص عددهم حاليا إلى ١٥ألف مسلم حسب التقديرات الإسلامية أو إلى ٦٠٠٠مسلم كما تفيد الجهات الحكومية في بولنده.

أما عن المساجد التي كان عددها ٤٤مسجداً منها مسجدان في العاصمة وارسو، فلم يبق منها الآن إلا مسجدان في كل من بوخونيكي وكروشيناني.

وضع المسلمين في بولندا اليوم:

كما هو الحال في جميع البلدان الشيوعية فإن أحوال المسلمين سيئة في بولندا والمسلمون مهددون بالانقراض، خاصة أن الذين يعرفون قراءة القرآن الكريم من مسلمي بولندا لايتجاوزون بضعة عشر. ومع أن بولندا تعترف بالتعليم الديني للأغلبية الكاثوليكية، لكن المسلمين محرومون من التعليم الإسلامي ونشر الكتب الدينية وممارسة كثير من الشعائر الإسلامية من حج وختان كمايمنع خروج المسلمين للاتصال بإخوانهم في العقيدة.

وقد زاد الضغط الشيوعي على المسلمين خلال حركات اتحاد نقابة العمال البولنديين التي يتزعمها ليخ فاليسيا في غدانسك نتيجة اشتراك العمال المسلمين في هذه الحركات فتعرّض المسلمون لمزيد من الاضطهادات الوحشية والاعتقالات منهم الدكتور بوغدان كوبانسكي الذي سجن لمدة ١٨شهراً.

ومع ذلك فهناك بعض النشاطات الإسلامية الرسمية التي تستعملها الأجهزة الشيوعية في الدعاية والإعلام لإيهام المسلمين في العالم بحرية النشاط الإسلامي، فيوجد المجلس الأعلى للاتحاد الإسلامي الديني الذي يضم خمسة مسلمين يمثلون ست جماعات إسلامية في بولندا.

كما أن هناك السيد محمود طه زوك إمام المسلمين في وارسو وأستاذ في

معهد الدراسات الأكاديمية للعلوم يزاول بعض النشاطات الإسلامية حيث قام في عام ١٩٧٣ بإصدار نشرة باسم الإسلام بمعاونة من الطلاب المصريين.

وقد أتم المستشرق البولندي الدكتور بيلافسكي الأستاذ بجامعة وارسو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البولندية بإشراف الجامع الأزهر في أوائل هذا العام ١٤٠٥هـ. مع أن أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة البولندية وضعت في عام ٨٥٨هـ في وارسو، كما أن المفتي الدكتور يعقوب سينكافيتش كان قد وضع ترجمة بولندية لمعاني القرآن الكريم في أوائل القرن العشرين.

يعمل المسلمون على ترميم وصيانة مسجدي قريتي بخوينكي وكروسزيناني بمساعدة من حكومة بولندا، كما يخططون على بناء مسجد في بياوستوك وقد وعدتهم حكومة عربية بالمساعدة ويقوم المسلمون في غدانسك ببناء مسجد فيها.

أما المركز الإسلامي في وارسو فقد قام المجلس الأعلى للاتحاد الديني الإسلامي بالاتصالات اللازمة مع السلطات البولندية بيد أنه تلقى وعداً من أحد رؤساء الجمهوريات العربية بالمساعدة، ولكن بعد أن حصل المسلمون على الأرض وموافقة بالبناء من الحكومة البولندية وإعداد التصاميم اللازمة له تنصل ذلك الرئيس من وعده، فتكلفت رابطة العالم الإسلامي، وانشأت المركز الإسلامي في وارسو بالفعل.

الأقلية الإسلامية في بولنده (في ملفات حقوق الأديان)

بمناسبة تحركات الكنيسة الكاثولوكية للتعبير عن مناهضتها للحكم الشيوعي في بولنده وزيارة بابا روما (البولندي الأصل) والمولد لبولنده-. راجع مركز حقوق الأديان التابع للأمم المتحدة بجنيف وضع الأقليات الدينية الأخرى هناك ومنها الأقلية الإسلامية وفيمايلي بعض معلومات المركز عن المسلمين في بولنده.

لايزيد عدد المسلمين على بضعة آلاف في شعب تعداد سكانه حوالي ٣٥مليون نسمة. هذا على الأقل هو العدد الرسمي لإحصاء الحكومة البولندية.

ويرجع وجود الإسلام في بولنده إلى هجرة واسعة حصلت زمان الحكم القيصري الروسي الذي استعمر بلاد المسلمين في آسيا الوسطى بل مارس الاضطهاد لهم ولمذهبهم ومارس عليهم الهجرة الإجبارية إلى بلاد نائية عن وطنهم الأصلي. مثل بولنده.ثم إن بعض الجوالي الإسلامية في بولنده هي من مخلفات الوجود العثماني الإسلامي في البلقان ولذلك فالجماعة الإسلامية في بولنده ترجع أصلاً إلى مواطن إسلامية في بلاد التتار والقوقاز وداغستان فضلاً عن العنصر التركي العثماني.

وفي حروب الأقاليم الأوروبية الشرقية لبولنده وغيرها ضد الاستعمار الروسي القيصري احترف عدد من المسلمين في تلك الديار صنعة الحرب ممايشبه المرتزقة.

وقد أبلى بعض هؤلاء الجنود المسلمين بلاءً حسنًا في صنعة القتال (وعلى الأخص العنصر التتاري) أدى إلى حصول البعض منهم على مراكز عليا في

القوات المسلحة الليتوانية والبولندية كما حظي مذهبهم الإسلامي باحترام من تعاون معهم.

وتسلسل عن قدماء المحاربين المسلمين هناك طائفة عسكرية ذات سمعة مهنية محترمة شاركت مع جيوش بولنده في الحرب ضد الاحتلال النازي الألماني في الحرب العالمية الثانية قبل أن تراجعت جيوش هتلر في السنوات الأخيرة من الحرب.

ثم إن الجيوش الألمانية إبان احتلالها للديار السوفييتية وجدت في القطاعات الإسلامية من تلك الديار (بلاد التتار والقوقاز) جماعات إسلامية أصابها اضطهاد من الحكم الشيوعي السوفييتي فمالت إلى الجيش الألماني إبان زحفه على روسيا السوفييتية.

ثم حصل انتقام حكومة ستالين للجماعة الإسلامية التتارية والقوقازية في عقاب جماعي لها حصل فيه النفي والتشريد لمئات الألوف من التتار والقوقازيين إلى أقطار نائية.

ولما استولى الحكم الشيوعي الموالي لموسكو على بلاد بولنده بعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة. حصل الضغط الشديد على المسلمين التتار والقوقازيين وغيرهم في بولنده - هذا بالإضافة إلى أن أغلبية الشعب البولندي على مذهب الكنيسة الكاثوليكية التي تستبعد أي وجود ديني لأي جماعة غير كاثوليكية في بولنده.

ولكن بولنده تتميز عن بقية دول أوروبا الشرقية الشيوعية بعجزها عن إبادة الوجود الديني المتأصل في البلاد- دين الكاثوليكية التي هي مذهب أغلبية الشعب. لذلك فالقانون البولندي الشيوعي لم يتعرض لهدم المعابد الدينية خوفًا من غضب الشعب وقد استفادت الجالية الإسلامية في بولنده من هذا

المناخ «المعتدل» نسبيًا في موقف السلطة البولندية الشيوعية فبقيت مساجد الجالية الإسلامية قائمة وكذلك المدارس الإسلامية المتواضعة والموجودة هنا وهناك.

ولكن المسلمين في بولنده أصبحوا في عزلة تامة عن أي ارتباط من أي نوع بالعالم الإسلامي فعجزوا عن تحسين مساجدهم وصيانة معالم دينهم ومدارسهم في شرقي بولنده قريب من الحدود السوفييتية.

وللجماعة الإسلامية وجود في أكبر ميناء بحري بولندي مدينة غدانسك مركز بناء السفن والمنفذ البحري الأهم لكل بولنده. وقد أقاموا مؤخراً مسجداً جديداً لهم. ومدارس ولكنها في عوز شديد إلى المعونة «الثقافية» والمعنوية والمادية من العالم الإسلامي.

وتقول ملفات مركز حقوق الإنسان إن المشكلة أصبحت لهذه الأقلية الإسلامية في بولنده أكبر لافتقارهم إلى الارتباط بالعالم الإسلامي. ويظهر أن الشعب والدولة البولندية تشعر بنوع من الوفاء للجماعة الإسلامية هناك بسبب ماضي الجماعة الإسلامية في خدماتها العسكرية لحركات التحرير البولندية ضد العنصرية الروسية وضد الاحتلال الألماني.

ومن أدلة ذلك أن سلطات البلدية في العاصمة (وارسو) وضعت مخططًا عمرانيًا لتحسين طريق عام في منطقة فيها مسجد إسلامي قديم، وبموجب تلك الخطة كان على ذلك المسجد أن ينهدم ولكن الجماعة الإسلامية اتصلت بالسلطات العليا فألغي من التخطيط هدم المسجد حرصًا على حرمات المسجد وحصل مثل ذلك بشأن مقبرة إسلامية قديمة ولازالت هذه المقبرة قائمة حتى الآن.

كما طلبت الجالية الإسلامية من مطبعة الحكومة البولندية الطبع مجانًا

لحوالي ٢٠ ألف نسخة من القرآن الكريم باللغة البولندية. وتم فعلاً الطبع ونفذت الطبعة بسرعة ثم أعيد طبع ٧٠ ألف نسخة من القرآن الكريم- ممايدل على وجود جالية إسلامية أكبر مماتدل عليه الإحصاءات الرسمية.

ويلاحظ من معلومات مركز حقوق الإنسان عدم قيام أي مسلم بولندي بالحج إلى مكة المكرمة منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة- وقد رتبت مؤخراً رابطة العالم الإسلامي في مكة مرة زيارة الحج لعدد مختار من الرجال المسلمين البولنديين. لأول مرة منذ ٤٠ عامًا ووعدت الرابطة بتزويد الجماعة الإسلامية بالمدرسين والمرشدين وبدعم المساجد والمدارس الإسلامية هناك إذا وافقت الحكومة البولندية.

هذا ويجدر بنا وقد وصلنا إلى هذه النقطة - الحديث المختصر عن حاضر بولنده مع نبذة إجمالية عن حالة المسلمين فيها وأن ننقل ترجمة لمنشور صادر عن بولنده نفسها يلخص تاريخها في أول نشأة البلاد البولندية إلى الوقت الذي زرناها فيه في عام ١٩٨٦م.

وقد جاءت الوقائع فيه من وجهة نظر وطنية بحتة، وفي طابع شيوعي لسرد الأحداث قبيل تولي الشيوعيين الحكم في بولندا وأثناء ذلك.

والقصد منه إعطاء القارئ الكريم صورة كاملة عن تاريخ هذه البلاد التي تناولها الحديث عن رحلتنا وماشاهدناه فيها.

أما أحوال المسلمين الحاضرة بالتفصيل فإنك تجدها في أثناء الكتاب والله أعلم بالصواب.



إطار عام موجز لتاريخ بولندا

من إعداد وكالة الأنباء البولندية بناء على طلب إدارة
التعاون الصحفي والعلمي والثقافي بوزارة الخارجية البولندية

قبل مايزيد على ألف عام قامت القبيلة السلوڤانية الغربية تحت حكم أسرة پياسْت المالكة بتوحيد مساحة كبيرة من أوربا الوسطى وأوجدت نظامًا كان الأساس في قيام الدولة البولندية.

وكان أول حاكم تاريخي لبولنده ميسزكو الذي دخل في المسيحية عام ٩٦٦م.

ونتيجة لذلك دخلت بولنده في مدار الثقافة اللاتينية ودعمت وضعها السياسي في أوربا الوسطى. وحّد ميسزكو الأرض الواقعة بين نهري أودرابغ وكذلك الواقعة بين جبال سُوديتين، كارپاثيا وبحر البلطيق.

واستمرت سياسة بناء سلطة الدولة على يد ابنه بوليسلاوس الشجاع الذي أدى التقاؤه عام ١٠٠٠م بالإمبراطور الروماني المقدس أوتو الثالث في غنيزنو- أول عاصمة تاريخية لبولنده - إلى تعزيز المكانة الدولية للدولة. وكان بوليسلاوس أول من حمل لقب «ملك» عام ١٠٢٥م.

وكان من بين أوائل الحكام الذين نجحوا في تقوية الدولة البولندية كازيمير المعيد (أواسط القرن الحادي عشر) وابنه بوليسلاوس الجرىء وحفيده بوليسلاوس (القرن الثاني عشر) الذي بعد موته مرت بولنده بمرحلة استمرت

١٥٠سنة من ضعف الحكومة المركزية - وهو وضع مماثل لما حدث في أماكن أخرى من أوروبا - أطلق عليها فترة التفكك الإقطاعي أو فترة حكم الأمراء. وفي تلك الفترة أصبحت كراكاو التي كانت مقر الأمير الإقطاعي، المركز الرئيسي لبولنده وعاصمتها.

ولقد تفاقمت الأوضاع السياسية الصعبة في بولنده بسبب العدوان الخارجي... فمن الشرق اجتاحت قبائل التتار البلاد ومن الغرب بدأت يومرانيا في السقوط تحت سيطرة البرادنبرغ الجرمانيين وفي الشمال وقعت أراضي بولنده ضحية لهجمات الليتوانيين والبروثينيين. وفي عام ١٢٢٦ أثناء حربه مع أعدائه الشماليين أدخل كونراد دوق مازوفيا رتبة الفرسان الچيرمانيين الذي خالفوا اتفاقهم مع الدوق وأقاموا دولة لهم على الأراضي البولندية وطبقوا وسائل شرسة في إخضاع السكان المجاورين وفي عام ١٣٠٨ استولوا بالمكر والخداع على پومرانيا وغدانسك.

ومع بداية القرن الرابع عشر تولى لاديسلاوس القصير النضال من أجل إعادة توحيد الأراضي البولندية وشهدت فترة حكمه بداية الحروب بين بولنده والفرسان الچرمانيين والتي استمرت قرابة قرن ونصف القرن من الزمان.

وقد نجح كازمير الأكبر في استعادة جزء من الأراضي البولندية التي استولى عليها الفرسان.

وفي ذلك الوقت كانت بولنده - بمساحة قدرها ٢٥٠ ألف كم٢ وتعداد سكاني قدره حوالي مليوني نسمة - واحدة من أكبر البلدان الأوروبية وكان لها تأثير لم يسبقه إلاَّ تأثير الإمبراطور الروماني المقدس والمجر على العلاقات في أوروبا الوسطى.

وأصبحت جامعة كراكاو التي أنشئت عام ١٣٦٤م كثاني جامعة في هذا الجزء من أوروبا - مركزاً نشطًا للعلم وقد امتد تأثيرها إلى ماوراء حدود بولنده.

وعندما مات كازمير الأكبر الذي لم يكن له ولد عام ١٣٧٠م انتهى حكم أسرة پياسْت المالكة. وبعد فترة قصيرة من حكم لويس المجرى (من أسرة أنغيڤين المالكة) آل العرش البولندي إلى ابنته غادويغا، في عام ١٣٨٥م تم توقيع اتفاقية مع حاكم ليتوانيا چاجيللو - الذي دخل في المسيحية مع كل الليتوانيين - أصبح هو بموجبه ملكًا على بولنده ومؤسسًا للأسرة المالكة الچاجيللية. وفي البداية اتحدث بولنده وليتوانيا على أساس هذا الاتحاد الشخصي وبعد ذلك بكثير (١٥٦٩م) على أساس وحدة رسمية. ولقد عزز زواج چادويغا، غاچيللو من قوة الدولتين وساعدهما في الكفاح سويًا ضد أي خطر مشترك من الفرسان الچيرمانيين التيوتونيين. وفي نفس الوقت كانت بولنده متورطة في حروب على حدودها الشرقية.

وفي معركة غرونولد عام ١٤١٠م هزمت الجيوش البولندية والليتوانية المتحدة الفرسان الچيرمانيين ولكن النصر النهائي لم يتحقق إلا في السنة الثالثة عشرة من الحرب (١٤٥٤ - ١٤٦٦م) أثناء حكم كازمير الرابع وكانت النتيجة عودة غدانسك بومرانيا إلى بولنده. وبالإضافة إلى ذلك فقد وقعت مساحات واسعة من المنطقة التي كانت تعرف آنذاك باسم بروسيا الملكية تحت السيادة البولندية بينما أصبحت البقية من تلك الأراضي والتي كانت تعرف باسم بروسيا الدوقية ضياعًا بولندية. ومع نهاية القرن السادس عشر كان حكم الچاجيللونيين قوة أوربية عظمى امتدت على ٨٠٠ ألف كيلو متر مربع شملت المجر وبوهيميا ومجموعًا سكانيًا تراوح بين ثمانية وعشرة ملايين نسمة وبذلك احتلت بولنده المركز الخامس أو السادس من حيث السكان في أوروبا، وقد عاش مايزيد على ٢٠٪من سكان بولنده في مدن تعداد أكبرها حوالي ٢٠,٠٠٠ نسمة ومن أمثلتها كراكاو، غدانسك، بوزنان، وارسو، روكلوفي سيلسيا.

وكان بولنده بلداً متسامحًا يعيش فيه قوميات عديدة تتراوح نسبة

البولنديين الأصليين من ٥٠ إلى ٦٠٪ من مجموع سكانها، وفي الوقت نفسه فإنَّ سيلسيا وبومرانيا الغربية التي كانت منفصلة عن بولنده كان يسكنها حوالي مليونين من البولنديين.

ومع دخول القرن السابع عشر كان هناك حوالي ٥ إلى ٦ملايين نسمة من البولنديين في أوروبا الوسطى.

ولقد صاحب التوسع الإقليمي لبولنده ودورها الهام على الساحة الأوروبية تطور اقتصادي وازدهار ثقافي ولهذا السبب عُرف القرن السادس عشر في بولنده بالعصر الذهبي... فقد شهدت تلك الفترة عطاءً سخيًا لأدباء وشعراء وفلاسفة مثل نيقولاوس كوبرنيقوس.. ميكولاچ مريچ (أبو الأدب البولندي) چان كوتشانوسكي - أحد مشاهير الشعراء البولنديين - اندرْنچ مزيكز مودرزوسكي أحد مشاهير الفلاسفة ورجال القانون البولنديين.

وأثناء حكم الچاچيلونيين حدثت تغيرات جذرية في بنية الدولة، فازدياد الأهمية الاقتصادية للملاك الكبار قد مكنهم تدريجيًا من تحقيق وضع متسيد في الحياة السياسية. كما أن البرلمان- تألف في القرن الخامس عشر والذي بدونه لم يكن الملك ليتخذ أية قرارات هامة - قد بدأ في أداء دوره الهام.

تشكل طبقة الملاك مايزيد على ١٠٪ من السكان البولنديين. ولقد ساهمت الحريات الشخصية الممنوحة لهم بالإضافة إلى دورهم في الحياة العامة في تعزيز حقيقة كون الكومنولث - وهو المصطلح الذي أطلق كثيراً على بولنده - نموذجًا سياسيًا جذابًا إذ كان يوفر ملجأً سياسيًا ودينيًا لعدة جماعات دينية مضطهدة في أوروبا، ففي القرن السادس عشر وصل عدد اليهود الفارين من الاضطهاد منذ العصور الوسطى في بلاد أخرى إلى حوالي مائة وخمسين ألفًا.

ولقد صاحبت التغيرات في البنية السياسية والحكومية قيودٌ واضحة في أدوار المدن وسكانها والتدهور التدريجي في أوضاع الريف. إن نظام

الاستعباد- رغم قلة شدته بالمقارنة مع دول أوروبية أخرى - كان أحد العوائق الرئيسة أمام التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بولنده.

وفي عام ١٥٧٢ مات آخر الملوك الچاچيلونيين (سيغيسمونر الثاني أغسطس) دون وريث يخلفه وبدأت في بولنده مرحلة «الملكية الانتخابية» بيد أن الملك المنتخب مدى الحياة كان محدود الصلاحيات في الوقت الذي كان فيه أرباب الأعمال البولنديين الذين كانوا يملكون أموالاً طائلة يلعبون دوراً بالغ التأثير في حياة الكومنولث. وقد بدأ نمط ديمقراطية التجار يتحول إلى حكم القلة من أرباب الأعمال الأمر الذي تدهور معه دور البرلمان ابتداءً من منتصف القرن السابع عشر.

ولقد شهر النصف الثاني من القرن السادس عشر بداية حروب طويلة مع روسيا استطاع الملوك البولنديين خلالها أن يحققوا عدة انتصارات ولكن مع قرب نهاية القرن السابع عشر وأثناء فترة حكم الملك چون الثالث مسوبيسكي بالتحديد تخلت بولنده عن محاولاتها للتوسع باتجاه الشرق

وفي عام ١٥٠٦م نقل الملك سيغيسمونر الثالث فازا العاصمة البولندية من كراكاو إلى وارسو وقد بدأت أثناء فترة حكمه سلسلة من الحروب ضد السويديين بسبب عزم هؤلاء على السيطرة على منطقة بحر البلطيق.

ولقد أدى الغزو السويدي لبولنده عام ١٦٥٥م إلى تدميرٍ شامل للعديد من المدن البولندية واجتياحٍ للريف البولندي. ولكسب هذه الحرب اضطرت بولنده إلى تقديم عدة تنازلات فمقابل المساعدة من حاكم براندنبرغ (ضد السويديين) أخذ هذا الأخير بروسيا الدوقية من بولنده. ولقد صار الدفاع لمدة ستة أسابيع عن دير بولس في چاسنا غورا/ تشستوتشوا ضد هجمة سويدية - من الملاحم الشعبية وقد توافق نجاحه مع تقدم في العمليات العسكرية مما أدى إلى معاهدة سلام لصالح بولنده.

ولقد شهد القرن السابع عشر في بولنده تكثيفًا للحروب ضد تركيا ففي محاولة لاستعادة منطقة في جنوبي أوكرانيا من أيدي الأتراك وقَّع الملك چون الثالث سوبيسكي اتفاقية مع النمسا أُطلق عليها الرابطة المناهضة للأتراك. وفي عام ١٦٨٣ حينما حاصر ڤينًّا جيش تركي قوامه ١٠٠,٠٠٠ مقاتل قاد الملك جيشًا مشتركًا من بولنديين ونمساويين وحقق نصراً على الأتراك. ولقد أدى هذ النصر إلى إيقاف التقدم التركي في أوروبا إلى الأبد.

وبعد موت الملك چون الثالث سوبيسكي اعتلى عرش بولنده ملكان من أسرة سكسونية هما أغسطس الثاني، أغسطس الثالث وبعد ذلك قاتل ستانيسلاوس ليزينسكي (والد زوجة لويس الرابع عشر ملك فرنسا) أغسطس الثالث للاستحواذ على عرش بولنده. ولقد شهدت هذه الفترة من تاريخ بولنده مزيداً من صغف المملكة وتزايد خلالها اعتماد بولنده علي جيرانها.

وأثناء حكم آخر ملك بولندي ستانيسلاوس أغسطس بونياتوسكي وقعت تغيرات جذرية فقد بدأت بولنده تفيق من حالة الركود الاقتصادي وأخذت الحياة الفكرية والأدبية في الازدهار وتحققت إنجازات واضحة في مجال التعليم إذ أنشئت أول وزارة للتعليم «اللجنة القومية للتعليم» عام ١٧٧٣م.

وفي ١٧٧٢م وبمبادرة من بروسيا جارة بولنده وقَّعت روسيا وبروسيا اتفاقية لاقتسام أراضي المملكة البولندية. في ذلك الوقت كانت مساحة بولندا ٧٣ ألف كيلو متر مربع ففقدت ٣٠٪ من هذه المساحة. ولقد كان أول تقسيم لبولنده بمثابة هزة أدركت بعدها البلاد مدى الحاجة إلى إجراء إصلاحات داخلية واسعة تمت خلال فترة برلمان الأعوام الأربعة (١٧٨٨-١٧٩٢م) حيث تم توسيع الجيش وتدعيم الاقتصاد القومي وإصلاح النظام السياسي وكان هذا هو التغيير الأهم إذ صدر دستور بولندي في ٣مايو ١٧٩١م وكان ثاني دستور مكتوب في العالم والأول من نوعه في أوربا.

وقد ضم أكثر أفكار عصره استنارة وراعى أهداف بولنده ونتائج خبراتها.

وفي تلك الفترة كان من سوء طالع بولنده أن أعلنت روسيا وبروسيا الحرب عليها ونتيجة لذلك وقع التقسيم الثاني لبولندا عام ١٧٩٣ بين روسيا وبروسيا.

ولقد أدى ذلك التقسيم الثاني إلى انتفاضة مسلحة في العام التالي بقيادة تاريوس بطل الثورة الأمريكية. ومع ذلك فقد هُزمت هذه الانتفاضة عام ١٧٩٤ ووقع التقسيم الثالث لأراضي بولندية بين روسيا وبروسيا والنمسا عام ١٧٩٥ ولم تعد هناك دولة بولندية.

وبعد الانهيار النهائي للمملكة البولندية ربط البولنديون آمالهم بفرنسا الثورية وانضمت فصائل بولندية إلى جانبها تحت شعار «الأحرار أخوة» وفي تلك الفترة أُلِّفت كلمات الأغنية التي أصبحت فيمابعد النشيد القومي والتي تقول «بولنده لم تنتهي بعد».

وفي عام ١٨٠٧م أنشأ نابليون دوقية في وارسو على أرض استولى عليها من بروسيا ووسَّعها عام ١٨٠٩ بأراضي كانت النمسا قد استولت عليها أثناء التقسيم. كانت مساحة الدوقية ١٥٣ ألف كيل متر مربع وعدد سكانها أربعة ملايين نسمة، وكان قيام دوقية وارسو بشيراً بإعادة ميلاد دولة بولنده رغم اعتمادها على فرنسا.

وقد نتج عن الموقف البولندي أثناء الفترة النابليونية قرار في مؤتمر ڤينا (١٨١٤-١٨١٥) برعاية جنين الدولة البولندية ونشأت مملكة بولندية على جزء كبير من دوقية وارسو وانضمت إلى روسيا، وكانت مساحة هذه المملكة ١٢٧ ألف كيل متر مربع وعدد سكانها ٢,٧مليون نسمة وألحقت المنطقة الغربية من دوقية وارسو بـ (بروسيا) باعتبارها دوقية بوزنان. وأصبحت كاراكاو والمناطق المحيطة بها جمهورية عُرفت باسم جمهورية كاراكاو ومُنحت حكمًا ذاتيًا.

شهدت المملكة عديدة من المشروعات الاقتصادية والثقافية وتطورت الحياة الأكاديمية في وارسو. ومع ذلك فإن اعتماد هذه المملكة الدستورية على نمط ملكي مستبد له سيطرة مطلقة على الإمبراطورية الروسية أصبح مصدر احتكاك مستمر.

وأخيراً فإنه في نوفمبر ١٨٣٠ انفجرت انتفاضة ولكنها مالبثت أن انهارت، وتلتها موجة اضطهاد ألغى خلالها الإمبراطور الدستور وحل حكومة المملكة (البولندية) وجيشها كما أغلق الجامعة.

ولقد أُجْبِرَ عدة آلاف من الثوريين البولنديين على الهجرة فيماعرف بالخروج الكبير الذي خلاله انتج الأدباء البولنديون أعظم أعمالهم ومن هؤلاء الأدباء آدم ميكيويز، جوليوس استواكي، فرديريك تشوبان.

وتحت شعار «من أجل حريتكم وحريتنا» شارك البولنديون في حركات التحرير الثورية الأوروبية وقاموا بمحاولات متكررة للقتال في بولنده نفسها. وقد قدَّم المهاجرون البولنديون إسهامات كبيرة في تنمية العديد من الدول في العالم.

ومن الانتفاضات الهامة انتفاضة يناير ١٨٦٣-١٨٦٤ لأنه في اليوم الأول من العام الجديد أصدر قادة الانتفاضة قراراً بتحرير الفلاحين وإعطائهم حقوقهم المدنية وتأججت جذوة المقاومة للقوات الروسية لمدة عام كامل. ولكن انهيار هذه الانتفاضة أدى إلى موجة جديدة من الاضطهاد استمرت حتى نهاية الملكية الروسية عام ١٩١٧م.

وبدأت عملية ترويس (جعل الشيىء روسيًا) كل مجالات الحياة في بولنده وخاصة إدارات الحكومة والتعليم. وطبِّقت سياسة مماثلة في المنطقة البولندية الواقعة تحت سيطرة بروسيا فيماعُرف بعملية جَرْمَنَة المجتمع البولندي. وفي

المنطقة المستقلة التي سيطرت عليها النمسا - والتي كانت تعرف باسم غيلاشيا - سمح باستخدام اللغة البولندية في المكاتب الحكومية والتعليم بعد ١٨٦٠م.

ولقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً متزايداً للرأسمالية في بولنده؛ فقد تزايد عدد طبقة العمال وفي عام ١٨٨٢ أنشئ حزب ماركسي تحت الأرض وكان الأول من نوعه على التراب البولندي وعُرف باسم حزب العمال. وفي ١٨٩٢م أنشئ الحزب الاشتراكي البولندي وفي عام ١٨٩٣ أنشئ الحزب الاشتراكي الديمقراطي لمملكة بولنده وليتوانيا. وقد ظهرت حركة فلاَّحية في غلاشيا أطلقت على نفسها حزب الفلاحين البولنديين الذي أصبح قوة مؤثرة في صياغة شكل الحياة السياسية في البلاد. وقد مثل الحزب الديمقراطي القومي مصالح الطبقة المالكة للعقارات.

ومع ذلك فإن قوى التقسيم لم تستطع أن تسيطر على تطور الثقافة القومية البولندية. ومن أشهر البولنديين في تلك الفترة: ماري كوري الحاصلة على جائزة نوبل في الطبيعة والكيمياء والأديب هنريك سينكيويكز الحاصل على جائزة نوبل في الأدب والكاتب بوليسلوپروس والرسام چان ماتيچكو والمؤلف الموسيقي ستانيسلومونيوسكو وعازف البيانو الشهير ايغناس بادريوسكي.

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت موجة جديدة من الهجرة فيماعرف آنذاك بالهجرة الاقتصادية ممانتج عنه مراكز سكانية كبيرة للبولنديين مازالت باقية للآن. ومن أكبر هذه المراكز الجماعة البولندية التي استوطنت بالولايات المتحدة الأمريكية والتي تقدر بعشرة ملايين نسمة.

وفي عام ١٩٠٥ قامت ثورة في روسيا وتلاها تمرد في المملكة البولندية ولقد صاحب الاضرابات والمظاهرات الجماهيرية كفاح مسلح ضد الإمبراطورية الروسية ومحاولات لإعادة «بولنة» مكاتب الحكومة والتعليم.

وفد وفرت الحرب العالمية الأولى فرصة لبولنده لاستعادة استقلالها وقد ساعد وجود القوى التي أسهمت في تقسيم بولنده بالمعسكر المضاد على تكوين وحدات من الجيش البولندي أظهرت من خلالها قتالها وأنها عاقدة العزم علي استعادة استقلال بولنده. ولقد قاتلت الفصائل البولندية التي قادها جوزيف بيلسودسكي ضد روسيا. وفي المراحل النهائية من القتال قاد الجنرال جوزيف هولر جيشًا قوامه ٨٠,٠٠٠ مقاتل لمقاومة الألمان في فرنسا. ولقد اتخذت القضية البولندية بُعداً دوليًا أعطاها إياه عزم البولنديين على استعادة استقلالهم.

وكان للثورة الروسية في أكتوبر ١٩١٧ - والتي غيرت الوجه السياسي للعالم- تأثيراً كبير على دفع التحرير البولندي ففي ١٩١٨/٨/٢٩ أصدر المجلس الشعبي «الكوميسار» قراراً يعترف بحق الأمة البولندية في الاستقلال والوحدة.

وفي نوفمبر عام ١٩١٨ استعادت بولنده استقلالها. وقد ساعدت العلاقات الدولية الجيدة لبولنده على تحقيق أهداف الأمة البولندية. كما أن النشاط المسلح للبولنديين أثناء الحرب العالمية الثانية لم يجعل العالم يتناسى بولنده: الدولة التي لم تقبل أبداً بفقدان هويتها. وقد وُلِدت الجمهورية البولندية كدولة رأسمالية ذات نظام سياسي ديمقراطي حُدِّدَتْ مبادئه في دستور مارس ١٩٢١.

ومع ذلك فإن الحزب الشيوعي البولندي الذي أنشئ عام ١٩١٩ كان من الأحزاب المحظورة مما اضطر قياداته إلى النشاط غير المشروع.

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى وجدت بولنده نفسها على حافة صراع مسلح مع ألمانيا التي رغبت في الاحتفاظ بالسيطرة على ذلك الجزء من بولنده الذي كان واقعًا تحت السيطرة البروسية. ولم تستعد بولنده أراضيها وأجزاء من سيلسيا وبومرانيا إلا نتيجة لتمرد عام ١٩١٨ في بولنده وتمرد ١٩١٩،

١٩٢٠، ١٩٢١ في سيلسيا. ولم يقبل الألمان بهذا الوضع الجديد.

في عام ١٩١٩ اندلعت الحرب البولندية الروسية. وقد انضم چوزيف بيلسودسكي رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش البولندي إلى حملة مضادة للسوڤييت نظمتها الدول المتحالفة المنتصرة والتي كانت تأمل بأن يتمكن بيلسودسكي من إملاء الشكل السياسي والإقليمي لأوروبا الشرقية. وعند نهاية هذه الحرب وتوقيع اتفاقية ريغا عام ١٩٢١ حصلت بولندا على الجزء الغربي من بيلوروسيا وأوكرانيا.

وفي عام ١٩٣٩ كان عدد سكان بولنه ٣٦مليونًا ثلثاهم من أصول عرقية بولندية والثلث الباقي خليط من يهود (٣,٥ مليون) بيلوروسيني وألمان. وقد عاش أغلبية السكان على الزراعة.

كان الفلاحون يملكون مايقل قليلاً عن نصف الأرض الزراعية وكانت بقية الأرض في حيازة كبار الملاك والدولة. وخلال السنوات العشرين من الحربين قُسّمت ثلاثة ملايين هكتار من الأرض غير أن هذا لم يحسن الوضع في الريف على نحو يُذكر.

ومع بداية الثلاثينات من القرن العشرين وجدت بولنده نفسها في أزمة كبيرة بسبب بطالة ثلث العمال اليدويين. وبعد ذلك بدأ الاقتصاد البولندي في التحسن وظهرت شركات صناعية عديدة وخاصة بالمنطقة الصناعية المركزية وميناء غدينيا. كما اتسعت شبكة السكك الحديدية وبدأت المدن في النمو.

ومع ذلك فإن مشكلة البطالة لم تكن قد حُلّت ولم يكن الجهد الاقتصادي لبولنده واضح الإيجابية. وفي نفس الوقت تحققت إنجازات كثيرة في توحيد البلاد وشعبها الذي عانى لمائة وخمسين سنة من التقسيم.

ولقد كانت الديمقراطية البرلمانية في بولنده قصيرة العمر، ففي عام ١٩٢٦ قام الفريق بيلسودسكي بانقلاب ناجح وبدأت الممارسات المستبدة تعبر عن

نفسها في دستور أبريل ١٩٣٥ المعادي للديمقراطية. ومنذ اللحظة التي وصل فيها هتلر إلى السلطة في ألمانيا خيمت سحابة سوداء على بولنده وفي محاولة للخروج من دائرة التهديد الألماني وقعت بولنده بيانًا مشتركًا مع ألمانيا عام ١٩٣٤ ودخلت في تحالف مع فرنسا وبريطانيا. ومن الناحية الأخرى وعلى الرغم من اتفاقية عدم الاعتداء الموقعة مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٢ اتسمت سياسة بولندا تجاه الاتحاد السوفييتي بالعداء وفقدان الثقة الأمر الذي جعل من العسير بناء حاجز حقيقي ضد تطلعات هتلر.

وفي أول سبتمبر ١٩٣٩ غزت ألمانيا بولنده وقاوم الجيش البولندي المعتدين لمدة خمسة أسابيع، وحينما أصبحت الهزيمة واقعة لامحالة دخل الجيش الأحمر المناطق الشرقية من بولنده والمأهولة بأغلبية من الأوكرانيين والبيلوروسيين.

ولقد أدى هذا الاحتلال إلى خسائر لم يشهدها التاريخ البولندي فقد مات على يد الغزاة ستة ملايين من البولنديين أي بمعدل واحد من كل خمسة أفراد. وبدأت معسكرات الاعتقال لليهود البولنديين في أوشْوتز، مجدانك وأُجْبِرَ الملايين على العمل وقدرت الخسائر في الثروة الوطنية آنذاك بحوالي ٤٠٪ بينما كانت الخسائر في الثقافة والتراث البولندي فوق كل التقديرات. لقد كانت القوى الغازية مصممة ليس فقط على الإبادة الجسدية للشعب البولندي بل على هدم الثقافة والآداب والفنون والحياة الدينية البولندية.

ومنذ اليوم الأول وحتى اليوم الأخير قاوم البولنديون الرايخ النازي من خلال العمل السري للمنظمات السياسية والمدنية البولندية.. حتى إن بولندا كانت الدولة الوحيدة من دول أوروبا التي اجتاحها النازي - ذات التعليم السري على كل المستويات حتى على مستوى الجامعة. كما كانت هناك حركة نشر سرية نشطة. ولقد لعبت المنظمات العسكرية السرية دوراً هامًا ومنها الجيش الوطني والجيش الشعبي وفصائل الفلاحين والتي قامت جميعها بأعمال أقضت مضجع

المعتدين. ولقد شاهد العالم بإعجاب النضال البطولي لوارسو لمدة ٦٣يوماً ضد القوات النازية المجهزة بأعتى الأسلحة آنذاك أثناء انتفاضة أغسطس / أكتوبر ١٩٤٤.

وكانت الحكومة البولندية في المنفى بمثابة استمرار لوجود الدولة البولندية وقد اتخذت هذه الحكومة في البداية من باريس مقراً لها ولكنها انتقلت إلى بريطانيا بعد سقوط فرنسا ترأس تلك الحكومة في المنفى الجنرال سيكورسكي (ولاديسلو سيكورسكي) الذي كان القائد العام للجيش البولندي في الغرب. وفي المرحلة الأخيرة منه قاتل ٤٠٠,٠٠٠ من الجيش الشعبي البولندي إلى جانب الجيش السوفيتي، ٢٠٠,٠٠٠ منهم إلى جانب الحلفاء الغربيين.

في عام ١٩٤٢ شكَّل الشيوعيون البولنديون حزب العمال البولندي وبمبادرة منهم تم تشكيل المجلس القومي في ٣١ ديسمبر ١٩٤٣م.

ولقد كان هذا المجلس بمثابة برلمان سري لبولندا الشعبية.

وفي ٢٢ يوليو ١٩٤٤ أعلن بيان اللجنة البولندية للتحرير القومي الذي بيَّن للشعب سبل العمل من أجل الاستقلال والديمقراطية والاشتراكية (وأصبح ذلك اليوم عيداً قومياً).

وفي عام ١٩٤٥ قامت حكومة مؤقتة وبدأت في إجراء اصلاحات سياسية واجتماعية. وفي تلك الفترة تحسنت العلاقات مع الاتحاد السوڤييتي وعادت الأراضي الشمالية والغربية العائدة لبولنده إلى وحدة ترابها. ووفقًا لقرارات مؤتمر بوتسدام أقيمت حدود بولنده على نهر الأودرا وبحر البلطيق.

وبدأت مهمة إعادة بناء البلاد والإصلاحات الزراعية التي أعادت ملكية الأرض للفلاحين. كما تم تأميم الصناعات الكبيرة والمتوسطة وفي انتخابات ١٩٤٧ نجحت العناصر المناصرة لبناء بولندا الشعبية.

وفي عام ١٩٤٨ ونتيجة للوحدة بين حزبي العمال البولندي والاشتراكي

البولندي نشأ حزب العمال البولندي المتحد والذي تبنى برنامجًا لبناء بولنده الاشتراكية من خلال خطط اقتصادية طويلة المدى؛في ذلك الوقت قاد الحزب بوليسلو بيروت الذي كان أيضًا رئيسًا للدولة. وفي عام ١٩٥٢ صادق البرلمان على دستور لجمهورية بولنده الشعبية.

وفي أكتوبر ١٩٥٦م انتخب ولاديسلو غو مولكا- الذي كان أمينًا عامًا لحزب العمال البولندي عام ١٩٤٥- أمينًا لحزب العمال البولندي المتحد. وقد شهدت بولنده بعد ذلك تحولاً في البنية الاجتماعية وكان لها جمع كبير من العمال المهرة والمتخصصين. وقضت بولنده على كل ماكبَّل البلاد من بطالة جماعية في المدن وبطالة مقنعة في الريف في ماضيها الرأسمالي كما قضت على الأمية وعلى الخوف ممايخبئه المستقبل. تحققت هذه الإنجازات الكبيرة في السبعينات وقد صاحبها أخطاء ونقائص منها كون تنمية الأصول المادية في الاقتصاد الوطني لم يصاحبها تغيرات ملائمة في نظام الحكم والإدارة. لقد تعطلت عملية التحول الديمقراطي في الحياة السياسية والاجتماعية وعملية مشاركة الشعب في الحكم والضبط الاجتماعي على جهاز الدولة رغم أن هذه الأمور من متطلبات تطور النظام الاشتراكي. وقد وقعت أخطاء كبيرة في السياسات الاقتصادية والاجتماعية مثل التجاوزات المتكررة في سياسة الإنفاق المالي- قلة تقدير دور الزراعة وإهمالها ونقص الاهتمام بالنمو المتجانس وإشراك القاعدة العريضة من الشعب وأخيراً المبالغة في الاعتماد على الأسواق الرأسمالية.

طفت هذه النقائص على السطح أثناء الأزمات الاقتصادية والاجتماعية عامي ١٩٨٠-١٩٨١ حينما نشطت قوى المعارضة داخل نقابة تضامن التي أصبحت- تحت تأثير الجماعات المتطرفة- حزبًا مناهضًا للاشتراكية. واجهت بولنده آنذاك خطر حرب أهلية مماحدا بمجلس الدولة إلى إصدار مرسوم في ١٩٨١/٢/١٢ بتطبيق الأحكام العرفية في كل أرجاء البلاد وتولى المجلس

العسكري للخلاص الوطني برئاسة الجنرال ياروزليسكي حكم البلاد وأصبح الجنرال ياروزليسكي رئيساً للوزراء وأميناً أول لحزب العمال البولندي المتحد. وهكذا أوقفت أنشطة أعداء الاشتراكية.

وفي نهاية ١٩٨٢ عُلّق العمل بقانون الأحكام العرفية وأُوقف نهائيًا في يوليو ١٩٨٣. وهُيأت الظروف لمزيد من الاستقرار واستمرار الإصلاح الاقتصادي من أجل التغلب على الأزمات الاقتصادية والاجتماعية وتوجه الجميع. نحو كل مامن شأنه صالح الوطن الاشتراكي.

تعليق

حدثت أمور بعد ذلك جديرة بالإيضاح هنا وإن كانت لاتخفى على المتتبعين لمجريات الأمور في بولندا وملخصها:

حركة العمال المعروفة باسم (نقابة تضامن) تنادي بنقابة حرة لاسيطرة للشيوعيين عليها.

وقامت مساندة دولية لحركة نقابة العمال البولنديين التي تزعمها- فاليسا، مما اضطر الحكام الشيوعيين بقيادة الجنرال ياروزليسكي إلى التخلي عن السلطة، خوفًا من وقوع البلاد في كارثة تاريخية (أي حرب أهلية) كما كان قد حدث لها عبر عصور ماضية في القرون السابقة؛ وبشكل لم يشهد له مثيل في التاريخ- تغيير نظام الحكم في بولنده من شيوعي إلى ديمقراطي في فترة انتقالية اتّسمت بالقبول بقناعة التغيير، دون أن تمر بولنده، بمراحل حرجة من التفكك الاجتماعي والسياسي، إن هذا التماثل في التغيير دليل مهم على أن الثقافة والتعلُم، ودماثة الأدب (البولندي) أسهمت كثيراً بانتشال البلاد من حافة مخاطر التغيير.


يوميات بولندا

يوم الثلاثاء ١٤٠٦/٨/٢٠هـ- ٢٩ أبريل ١٩٨٦م.

من موسكو إلى وارسو:

ودعنا الأخوة المرافقون من المسلمين ورؤساء الإدارات الدينية الثلاث في الاتحاد السوفييتي وهم الدكتور شمس الدين بن ضياء الدين بابا خانوف رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان والشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية لمسلمي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وسيبريا والشيخ محمود قيكي رئيس الإدارة الدينية فيمادون القفقاس لمن يكون في موسكو أما بالنسبة إلينا في البلدان العربية فإن ذلك يكون وراء القفقاس بطبيعة المال.

والقفقاس: اسم لهذه الجبال الشامخة التي كان يسميها أسلافنا العرب جبال (قفج). وكلهم قد رافقنا خلال جولتنا في الاتحاد السوفييتي لبعض الوقت أو الطريق واستقبلنا في مقر الإدارة الدينية التي يرأسها ماعدا الشيخ طلعت تاج الدين فإنه كان قد رافقنا في جميع جولتنا في الاتحاد السوفييتي ولازمنا ملازمة تامة خلال الزيارة منذ أول لحظة وصولنا إلى مطار موسكو حتى مغادرتنا في هذه الساعة إلى وارسو ولذلك كان توديعه مؤثراً فقد غلبه البكاء ولم يستطع مغالبة دموعه إلا بأن أشاح بوجهه إلى زاوية في المكان ليس فيها أحد كما كان في الوداع بعض المرافقين من الروس الذين كانوا يظهرون أن مهمتهم صحفية ورافقونا على هذا الأساس طيلة جولتنا في الاتحاد السوفييتي ولم نكن نتحدث إليهم خلال الرحلة إلا من خلال الإخوة المرافقين من المسلمين.

ركبنا طائرة (ايروفلوت) السوفييتية المشهورة عندنا في البلدان العربية بالروسية وإن كان هذا يخالف التسمية الرسمية لهذه البلاد الواسعة (الاتحاد السوفييتي) فإنه يشير إلى ما هو معروف واضح من كون الشعب الروسي الذي هو شعب واحد من شعوب عدة تقطن في الاتحاد السوفييتي هو الذي يتحكم-

في أمور البلاد أكثر من غيره من الشعوب التي لاحول لها ولا طول إلا في نطاق ما ترسمه لها السياسة الروسية الرسمية من أمور ليست أساسية.

وقد كتبت عن رحلتي داخل الاتحاد السوڤييتي التي تنتهي الآن كتابين أحدهما بعنوان «في بلاد المسلمين المنسيين، بخارى وماوراء النهر»؛ والثاني: زيارة للمسلمين في الاتحاد السوفيتي». قيدت فيهما ملاحظات عن تلك الرحلات في داخل الاتحاد السوڤييتي وماانطبع في ذهني عماشاهدته فيها.

غادرت الطائرة مطار موسكو الدولي في التاسعة وعشر دقائق صباحًا، وأعلنت المضيفة أن مدة الطيران إلى وارسو ستستغرق ساعة وأربعين دقيقة. وكان الإعلان بالروسية ثم الإنجليزية فالبولندية على خلاف الرحلات الداخلية في الاتحاد السوڤييتي فإن الإعلان يكون مقتصراً على اللغة الروسية.

وكنا ونحن ستة نشغل أكثر مقاعد الدرجة الأولى في الطائرة التي هي ثمانية مقاعد فقط في صفين اثنين وهي طائرة نفاثة من طراز ليوشن. من صنع الاتحاد السوڤييتي يشبه مظهرها على البعد مظهر طائرة لوكهيد د، سي٩ ويقرب من طائرة بوينج ٧٢٧.

ولم يكن معنا في الدرجة الأولى أحد من المسافرين على حين كان عدد المسافرين في الدرجة السياحية لابأس به من حيث الكثرة.

وحلقت الطائرة فوق منطقة موسكو التي بدت مجللة بالغابات وقد أخذت أشجارها تصحو بعد السبات الشتوي العميق لاسيما أنها قد شهدت أيامًا شامسة منها أمس واليوم.

وعندما قدمنا إلى موسكو قبل خمسة عشر يومًا بالضبط كانت درجة الحرارة فيها صفراً مئويًا وكان الجو شتويًا عابسًا بل مظلمًا وإن كان الإخوة المسلمون هنا قد جاملونا فقالوا إنكم قدمتم معكم بالربيع ذلك بأنه رغم كون درجة الحرارة في موسكو هي درجة التجمد عند وصولكم فإنه لأول مرة بعد شتاء هذا العام

يسمع الرعد ويلمع البرق فيها إذ العادة فيها أن يكون الجو ثالجًا في الشتاء وإذا نزل مطر فيه فإنه لايكون مصحوبًا بالبرق والرعد.

وبعد ذلك تركنا موسكو لزيارة أنحاء عديدة من الاتحاد السوفييتي وعندما عدنا إليها قبل يومين كان الجو قد تغير بالفعل إذ كانت درجة الحرارة اثنتين وعشرين درجة مئوية فكانت الشمس ساطعة وقد شاهدنا الأشجار فيها وهي تسرع بالأوراق حتى يخيل للمرء أنها تسابق الزمن لأنها تعلم بالفطرة أن عمر الأزهار والأوراق فيها هو قصير بالنسبة إلى عمرها في الأقطار المعتدلة إذ سيحل البرد مرة ثانية في شهر أكتوبر.

ومن الملاحظ بوجه عام في الطائرة كما كنا لاحظنا ذلك من القطار عند القدوم إلى موسكو أن منطقة موسكو تكاد تعتبر غابة واحدة إلا ماقطعه الإنسان من أشجارها لحاجته إلى الأشجار.

ويلاحظ المرء أيضًا تجمعات سكنية في وسط الغابات ومصانع تلوث مداخنها أجواء هذه الغابات إلا أن الملاحظ أيضًا أنهم لايجعلون المصانع مزدحمة، بل هي متباعدة فيها وأهم ماتكون عليه المصانع أن تكون بقرب طريق جيد في وسط هذه الغابات.

وكانت ضيافة الدرجة الأولى في الطائرة جيدة في هذه المرة كما قدموا لنا هدية ركاب الدرجة الأولى أنموذجًا مصغراً لمصباح من النحاس ذي طابع إسلامي جنوبي - جنوب الاتحاد السوفييتي.

ومن حسن حظنا أن الجو كان صاحيًا طول الطريق فتمتعنا برؤية الأرض تحتنا رغم ارتفاع الطائرة.

ولشيء مهم آخر وهو أن انفجار المفاعل النووي السوفييتي في بلدة (شيرنوبل) قد أوجد سحابة ذرية بطبيعة الحال - وإذا كان الجو غائمًا فإن السحب ستتلوث بالغبار الذري أما إذا كان صاحيًا فإن من المحتمل أن تدفعه

الرياح والعوامل الجوية الأخرى بعيداً عن المنطقة ولايتساقط إلى الأرض من هذه السحابة الذرية إلا أجزاء معينة.

ومع ذلك فإنه سيطرت علينا فكرةأن الطائرة وهي تطير من موسكو إلى وارسو لابد أن تخترق المنطقة الموبوءة بالغبار الذري لأن المفاعل المعطوب يقع في تلك المنطقة.

قبل الوصول:

بدأت الطائرة التدني إلى الأرض في جو صاحٍ بل شامس جميل فتجلت طبيعة الأرض تحتها ذات حقول زراعية بعضها أخضر خضرة ليست كثيفة وبعضها ليس فيه خضرة ربما كان متروكا ليزرع زراعة صيفية أو يترك فترة من أجل أن تخصبه الشمس والهواء بعد أن أخصبته الثلوج في الشتاء.

وبين تلك الحقول مساكن على هيئة قرى صغيرة ذات بيوت جيدة الطلاء وأما الأشجار فإنها على كونها ليست أشجار الغابات في أغلب الأماكن فإنها تبدو مخضرة أكثر من اخضرار أشجار الغابات في موسكو.

ومن اللافت للنظر أن هذه الحقول المزروعة تبدو كبيرة متسعة المساحة ممايعطي الانطباع بأنها كلها أو أكثرها مزارع حكومية وليست مزارع للأفراد وهذه هي طبيعة النظام الشيوعي الذي تملك الحكومة فيه كل الأرض دون غيرها ولايكون للأفراد إلا قطع صغيرة جداً محدودة المساحة.

وقبل الوصول أعلنت مضيفة الطائرة أن درجة الحرارة في وارسو هي الآن خمس عشرة درجة مئوية وأن توقيت وارسو يتأخر عن التوقيت الصيفي لمدينة موسكو بساعتين.

وهذا معناه أننا سنصل في التاسعة إلا عشر دقائق بتوقيت وارسو وأن درجة الحرارة سترتفع أكثر في وسط النهار.

وهذا أمر مفرح في هذه البلاد الشمالية الباردة التي كنا قد أشفقنا من أن لانستطيع العمل فيها من شدة البرد في شهر أبريل.

ثم تدنت الطائرة أكثر إلى الأرض فاتضحت الشوارع في ضواحي المدينة وماقرب منها ذات استقامة ظاهرة ممايدل على أنها طرق حديثة وأما السيارات التي تسير فيها فإن أكثرها هي سيارات النقل وبينها قليل من الناقلات أما السيارات الصغيرة فإنها فيها ليست كثيرة.

وأما المنازل في ضواحي المدينة فإن أكثرها بيض الطلاء ذات سقوف سود أو رمادية غير بهيجة.

في مطار وارسو:

أهم منظر بجانب المطار كان منظر مصنع ينفث دخانه بقوة وأعشاب نامية كثيفة تحيط بالمدارج والأشجار خضرة بل نضرة ربما كان ذلك لكونها قد صحت من نومها الشتوي الطويل قبل أن تصحو أشجار موسكو ومدارج المطار ضيقة ولكنها ممتدة وساحات وقوف الطائرات واسعة وفيها طائرات عديدة واقفة.

وكان هبوط الطائرة في التاسعة إلا ثلثًا بتوقيت وارسو مع أننا كنا غادرنا موسكو في التاسعة وعشر دقائق بتوقيتها ولكن فرق التوقيت بين المدينتين هو ساعتان كما تقدم.

وعندما وقفت الطائرة بادر إليها ثلاثة من الجنود مدججين بالسلاح، ووقفوا في وضع الاستعداد عند سلم النزول.

وهذا أمر لم أر له مثيلاً إلاّ في دولة شيوعية أخرى هي رومانيا وذلك عندما زرتها قبل عشرة أشهر وقد ذكرت حديث تلك الزيارة في كتاب «داخل الستار العقيدي».

عندما فتح باب الطائرة أوقف المضيفون الركاب حتى نزلنا وركبنا في حافلة

كبيرة لم يشاركنا الركوب فيها أحد.ثم وقفت السيارة أمام قاعة كبار الزوار في المطار فوجدنا في الاستقبال عدداً من الأشخاص منهم.

الأخ ستيفان مصطفى موخاريسكي رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي.

والأخ حمدالله بوغسواف زاغورسكي رئيس الجماعة الإسلامية في وارسو وعضو المجلس الأعلى بالاتحاد الإسلامي البولندي.

والسيد الكسندر خالد بويسكي إمام الجماعة الإسلامية في بياوستوك.

والسيدة فالنتينا فالكيفيتش ممثلة وزير شئون الأديان في بولندا.

والأستاذ محمد الجابري (من المملكة المغربية) نائب رئيس جمعية الصداقة المغربية البولندية.

والأستاذ نجيب الصحراوي (من المغرب أيضًا) سكرتير لجنة الصداقة المغربية البولندية.

تكلم الأخ مصطفى موخاريسكي بكلمة مختصرة تضمنت الترحيب بالوفد والتنويه عن أنه أول وفد إسلامي من بلاد الحرمين الشريفين يأتي إلى بولندا لزيارة المسلمين فيها.

وقد رددت عليه بكلمة مناسبة وقلت فيها إننا نحمد الله تعالى على أن أمنية اللقاء بالإخوة المسلمين البولنديين قد تحققت.

وقد كنا حاولنا أن نمر ببولندا في الصيف الماضي ولم يتيسر ذلك، ونرجو أن نتدارس وإياكم كل مايتعلق بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية، وبين الجمعيات الإسلامية البولندية التي تمثلونها.

وكان يتكلم بالبولندية ويترجم كلامه إلى العربية الأخ نجيب الصحراوي.

ثم تكلمت ممثلة وزير الأديان ڤالنتينا مالكيفيتش وقالت إنني أرحب بكم باسم الوزير وكان يود أن يكون بنفسه في استقبالكم غير أنه خارج وارسو في

الوقت الحاضر وسوف يراكم بعد عودته إلي وارسو فيمابعد.

ونحن نرحب بكم في بلادنا ونرجو لكم طيب الإقامة فيها كما نخبركم أننا باسم الحكومة البولندية يسرنا أن نقدم إليكم أية تسهيلات تريدونها وبخاصة مايتعلق بالاجتماع بالمواطنين المسلمين البولنديين وبزيارتهم في مناطق سكناهم خارج العاصمة وارسو.

فرددت عليها بالشكر. ثم انصرفت مودعة.



ولم يفتحوا أمتعتنا على كثرتها وهي تضم هدايا إضافية من الإخوة المسلمين في الاتحاد السوفييتي كما تضم هدايا أعددناها نحن للأخوة المسلمين في هذه البلاد ومنها مصاحف فاخرة الطباعة ومذهبة التجليد مطبوعة في المدينة المنورة وعباءات عربية وساعات يدوية وتمر من تمر المدينة المنورة.

مع العالم بأنني أنا الوحيد الذي يحمل جواز سفر سياسيًا وأما بقية الإخوة من أعضاء الوفد فإن جوازاتهم معتادة.

في مدينة وارسو:

عند الخروج من المطار وجدنا عدداً من الإخوة المسلمين منهم نائب رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي الأخ علي خالسكي أو خالصكي وهو إمام أحد المساجد في بولندا خارج العاصمة لأنه لايوجد في العاصمة مسجد.

ثم انتقلنا على حافلة صغيرة إلى فندق فيكتوريا في قلب المدينة.

وكان الإخوة المسلمون قد أعدوها هنا لأن فيها أربعة وعشرين كرسيًا وذلك يكفي لركوب الوفد والمرافقين ومن قد يصاحبونهم كما أنها حملت أمتعتنا الخاصة في مؤخرتها مع مانحتاج إليه من الهدايا في خارج العاصمة وارسو.

وقال الأخوة والحافلة تسير في شوارع المدينة في جو شامس ممتع. إن هذا اليوم في بلادنا يشبه أيام السعودية ولقد جئتم بالدفء والربيع معكم فقبل أيام قليلة كان الجو بارداً بل كان عابسًا.

وهذه العبارة من عبارات المجاملة سمعنا مثيلات لها في الاتحاد السوڤييتي حيث كنا جئنا بالفعل في أيام شامسة ربيعية بعد الشتاء البارد الطويل الذي كان قد ران على تلك البلاد ومن ملاحظتنا على أهل البلاد لأول وهلة أن ألوانهم أكثر إشراقًا من ألوان أهل الاتحاد السوڤييتي على وجه العموم كما أن الجو أيضًا هو الآن أكثر إشراقًا من بلاد الروس خاصة التي مررنا بها مثل منطقتي (لينين فراد) و(موسكو).

وحتى الأشجار فإنها خضراء نضرة والزهور متفتحة ومظاهر الشوارع والأبنية أكثر بهجة أيضًا لأن حكومة الاتحاد السوڤييتي تجعل الأولوية - بدون نزاع - لما يكسب الدولة السوڤييتية القوة والمنعة بغض النظر في سبيل ذلك عن الاعتبارات الأخرى كوسائل الترفيه للشعب أو حتى وسائل تجميل البلاد إلا إذا كان ذلك لايؤثر على هذه الأمور الأولية، فالشوارع أكثر تشجيراً والميادين أكثر تزهيراً.

وقبل الوصول إلى وسط المدينة الذي فيه فندق فيكتوريا حيث من المقرر أن تناول طعاماً سموه طعام الإفطار فيه نتباحث في شأن برنامج الزيارة الذي قرروه.

كانت هناك أبنية كثيرة متعددة الطوابق (عمارات) وهي حكومية تؤجرها الدولة على المستأجرين من أبناء الشعب ولكننا عرفنا بعد ذلك أن المرء يتقدم بطلب الحصول على شقة من الشقق الحكومية ولكن تمضي سنوات طويلة قبل أن يصله الدور في الحصول عليه وبالغ بعضهم بأن قال إنه ربما لايصل إليه الدور إلا بعد خمس عشرة سنة !



صورة للقسم الحديث في وسط وارسو التقطتها من نافذة الفندق

أما إذا كان يملك دولارات سواء أكان أحضرها من الخارج بصفة مشروعة ظاهرة كأن يكون عمل هناك أو يكون له أقارب يسكنون في بلاد حرة غنية كالولايات المتحدة الأمريكية أو كندا أو أستراليا وسواء اشتراها بالسوق السوداء، وهي تباع بأغلى من سعرها الرسمي الذي قررته الحكومة بخمسة

أضعاف فإنه يجد المسكن الذي يشتريه جاهزاً في أيام قليلة ولايحتاج إلى انتظار.

وقل مثل ذلك في الحصول على سيارة أو هاتف.

في قلب وارسو:

وقلب المدينة يتألف في أغلبه من أبنية فخمة قديمة بمعنى أنها كانت موجودة قبل دخول الشيوعية في البلاد واستيلائها على الحكم فيها وفي الشوارع خطوط متعددة من خطوط (الترمواي) ذكرني بالذي كان موجوداً في القاهرة قبل ثلاثين سنة وألغي منها قبل سنوات مع الحاجة الماسة إليه.

وهم هنا يستعملونه مع كثرة الحافلات الحكومية التي تنقل الناس بالأجرة غير أنه أرخص منها أجرة وأكثر حملا للناس.

وقد رأيت عرباته جيدة الطلاء. حسنة المظهر.

ويذكر بهذه المناسبة أن الترام أو الترمواي هذا لايزال موجوداً في أكثر المدن السوفييتية التي مررنا بها في زيارتنا هذه.

أما السيارات الصغيرة الموجودة في الشوارع فإنها أكثر فيها من السيارات الصغيرة في شوارع المدن السوفييتية وأكثرها صغيرة الحجم (فيات) الإيطالية أو مايماثلها ولكنها لاتصل إلى عدد السيارات التي في شوارع البلدان غير الشيوعية المماثلة لبولندا في عدد السكان.

وقفت الحافلة عند بوابة فندق فيكتوريا في وسط المدينة ووقف مضيفونا فترة يتناقشون فيما بينهم باللغة الوطنية فانتهزت الفرصة للنظر فيما حول الفندق فكان أظهر مافي ذلك (عمارات) سكنية عالية من عمارات الشقق الحكومية في الجانب الآخر من الميدان الذي يقع عليه الفندق وحديقة جيدة وهي من حدائق عدة مررنا بها الآن، وبناء ضخم جداً بناه الروس وسلموه للبولنديين

بعد الانتصار على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وقيام الحكم الشيوعي في بولندا ويضم أربعة متاحف وأربعة مسارح وأربع قاعات كبيرة للمحاضرات تتسع لعشرة آلاف شخص وذكروا أن الحزب الشيوعي البولندي يعقد اجتماعًا فيه وعقد فيه حلف وارسو لأول مرة ولذلك سمي بهذا الاسم وإن كان المقر الرسمي للحزب الآن يقع في الاتحاد السوڤييتي.

حالة المسلمين في السابق:



على مائدة الإفطار في فندق فيكتوريا

على مائدة الإفطار في الفندق خطب الأخ استيفان مصطفى موخارسكي رئيس الاتحاد الإسلامي وكان رئيسًا له منذ اثنتي عشرة سنة.

فقال: إننا نرحب بكم أيها الأخوة المسلمون الذين قدموا من المنبع منبع الدين الإسلامي الحنيف مهابط الوحي في مكة المكرمة وإننا باسم المسلمين البولنديين جميعًا نبلغكم سرورنا وابتهاجنا لزيارتكم هذه التي كنا نتطلع إليها منذ سنين طويلة.

إننا أيها الأخوة قد حافظنا على إسلامنا منذ ستمائة سنة وهذه صفة نادرة أن تحافظ أقلية على إسلامها هذه المدة الطويلة رغم كون البلاد لم تخضع لسلطة المسلمين ونحن الأقلية الأوروبية الوحيدة في هذا الشأن.

ونحن نعيش في تسامح مع إخواننا الآخرين في الوطن ونرجو أن يكون هذا التسامح الذي نعيشه هنا مثالاً حتى للدول الاشتراكية - يعني الشيوعية - التي يعيش فيها مسلمون. إن بلادنا تتبع الآن نظامًا في الحكم ماركسيًا ولكننا نلاحظ أن التسامح مابين الأقلية من المسلمين وبين الأكثرية من غير المسلمين في البلاد لم يتغير حتى في هذا العهد الماركسي لأن ذلك قد صار من القيم الراسخة عند البولنديين.

إن زيارتكم هذه سيكون لها أثر على المسلمين في هذه البلاد لأنهم على الأقل سيشعرون بأن هناك من إخوانهم المسلمين في الخارج من يهتم بهم لاسيما إذا كان الاهتمام بهم قادمًا من بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية.

وسوف يتعلم الأخوة المسلمون منكم أثناء هذه الزيارة مايحتاجون إليه في أمور دينهم بصفتكم جئتم من منبع الإسلام.

ولذلك نرجو أن تبدوا لنا ملاحظاتكم على طريقة تأديتنا لشعائرنا الإسلامية التي ربما كان بعضها لايسير على الطريقة الإسلامية الصحيحة ولكن الخطأ في تأديتها ناشئ من الانعزال الطويل الذي استمر ستة قرون وعاشه المسلمون البولنديون في هذه البلاد.

ونرجو أن تسامحونا عماقد تلاحظونه من أخطاء في تأديتنا لشعائر ديننا.

فرددت عليه بكلمة شكرته فيها على الترحيب بوفدنا وحسن الظن فيه وأبديت لهم استعداد الوفد لبيان أية ملاحظة قد يلاحظها في هذا الموضوع.

وقلت: إن تمسك الإخوة المسلمين بدينهم طيلة هذه القرون مع عدم وجود اتصالات مابينهم وبين إخوتهم المسلمين في البلدان الإسلامية يدل على قوة إيمانهم وحرصهم على التمسك بدينهم وعدم تأثير الأعداء عليهم الذين اجتهدوا في تحويلهم عن دينهم ولكنهم لم يستطيعوا.

وقلت لهم: فيمايتعلق بالعلاقة مابين الأخوة المسلمين البولنديين وإخوتهم المسلمين في العالم نرجو أن تكون زيارة وفدنا هذا فاتحة خير في هذا السبيل وأن تستمر العلاقات بل وتزداد قوة في المستقبل مابين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي هي منظمة شعبية عالمية وبين الجمعيات الإسلامية في بولندا التي هي جمعيات رسمية مسجلة لدى الجهات المختصة. وأن يكون في هذا التعاون الخير للجميع على هدى من الدين الإسلامي الصحيح الذي يأمر بالتعاون والتناصح والتناصر مابين المسلمين.

هذا وقد حضر الحفلة عدد قليل من الإخوة المسلمين البولنديين والإخوان المغربيان محمد الجابري ونجيب الصحراوي وكان الأخ الصحراوي هو المترجم من البولندية إلى العربية وبالعكس.

خلال مدينة وارسو:

لم يكن السير خلال مدينة (وارسو) مقصوداً لنا ولإخواننا المستقبلين البولنديين لأن البرنامج الذي وجدناهم قد وضعوه واتفقنا عليه بعد أن خففنا مدته من عشرة أيام كما كانوا يرغبون إلى أن نبقى ستة أيام لم يكن يتضمن الجولة في مدينة وارسو في هذا اليوم وإنما وضعوا ذلك في آخر الزيارة وقد وضعوا الفقرة الأولى في الزيارة لمدينة (بياوستوك) الذي هي المدينة الأولى في بولندا التي يوجد فيها أكبر عدد من المسلمين كما يوجد المسلمون أيضًا في بعض القرى الصغيرة التي لاتبعد عنها كثيراً.

وكنا حاولنا أن تقتصر الزيارة على ثلاثة أيام بديلة من عشرة كما اقترحوا

وأن تتم الزيارة التي اقترحوها كلها خلال تلك الأيام الثلاثة عن طريق برنامج مكثف غير أنهم ذكرو أن المسلمين منتشرون في أنحاء البلاد البولندية وأكثر الأماكن التي يقيمون فيها لاتوجد فيها مطارات ولاتتيسر المواصلات إليها في كل وقت ولذلك أعدوا هذه الحافلة الصغيرة التي ستنقلنا جميعًا إلى تلك الأماكن رغم كون بعضها يبعد عن بعض أكثر من ستمائة كيلومتر.

ورغم كوننا قدمنا من الاتحاد السوفييتي بعد زيارة ذات برامج مكثفة استمرت خمسة عشر يومًا واستمر العمل في كل يوم منها ليلاً ونهاراً وكنا في أشد الحاجة إلى الراحة بعد ذلك فإننا وجدنا أنفسنا نرحب برغبة هؤلاء الإخوة المسلمين في أن نزور المسلمين في مواطنهم في بولندا ونطلع على مساجدهم ونلتقي بجماهيرهم. وكان لابد لنا من ترك بعض أمتعتنا في بيت أحد الأخوين المغربيين كما أننا نحتاج إلى شرائط للمصورات وإلى أشياء أخرى.

فقمنا بالذهاب إلى بيت الأخ المغربي حيث سارت الحافلة فوق جسر إسمنتي فوقه جسر أيضًا وكان منظر هذا الجسر الذي يركبه جسر مثله آخر غريبًا في مدن البلدان الشيوعية ثم جسر آخر فوق النهر الذي تقع عليه مدينة وارسو.

وكان أكثر مافي المدينة ظهوراً بعد الأبنية القديمة الفخمة في قلبها الأبنية الحديثة المتعددة الطوابق (العمارات) السكنية التي تتألف من شقق للإسكان العام وكلها بنتها الدولة لأنه ليس من الممكن في ظل الأنظمة الشيوعية أن يتمكن شخص من سائر الناس من بناء بيت له منفرد بالأسمنت المسلح، ففي المدن لايملك الأرض التي هي مملوكة للدولة وهو لايملك المال اللازم للبناء، كما أنه لو فرض أنه يملك هذا وذاك، فإن القوانين السارية تحدد المساحة التي يحق لكل فرد أن يسكن فيها.

ولذلك كان المرء يرى هذه (العمارات) السكنية الفخمة ظاهرة في ضواحي المدن في البلدان الشيوعية لكونها الوسيلة الوحيدة لإيجاد المساكن الجديدة

للمواطنين من عامة الشعب.

وقد اجتزنا شارعًا واسعًا مستقيمًا عليه جسور متعددة ذكروا أنه فخر أهل المدينة لأنهم استطاعوا شقه ويمتد من غرب المدينة إلى شرقها ثم سهلوه للمرور السريع بحيث أقاموا فوقه جسوراً عدة. وهو الشارع الوحيد في العاصمة من هذا النوع وقلت للإخوة السعوديين في وفدنا: انظروا إليهم يفتخرون بشارع واحد ولو رأوا الشوارع المتعددة الواسعة ذات الأنفاق والجسور في الرياض لخجلوا من أن يفتخروا بشق هذا الشارع الواحد.

وإذا قلنا إن لمدينة الرياض وضعًا خاصًا فإننا نحيلهم على بعض المدن الصغيرة والمتوسطة في الولايات المتحدة الأمريكية بل في أمريكا الجنوبية وسوف يرون أن فخرهم واعتزازهم بهذا الشارع ليس في محله.

ثم وصلنا إلى أحياء من مدينة وارسو ذات بيوت منفردة مبنية بالآجر وذات سقوف مسنمة وكلها قد غرست في أرصفتها الأشجار.

وعلى ذكر الأرصفة أقول إن الأرصفة في مدينة وارسو- على وجه العموم- هي أحسن من الأرصفة في أغلب المدن السوفييتية سواء من حيث العناية بالتبليط أو بالتشجير أو بالنظافة.

ولاحظت أنهم يدعون أماكن في الأرصفة العريضة دون تبليط وذلك من أجل أن تنمو فيها الحشائش فتكون بمثابة الأفاريز الخضر في الأرصفة مع أنهم في بلادهم لاينقصهم المنظر الأخضر في هذا الفصل الربيعي وفي فصل الصيف.

أما فيماغير ذلك من الفصول فإن الخضرة لايتيسر لهم مرآها أبداً إلاّ داخل البيوت الزجاجية أو بيوت اللدائن التي تدفأ وتنمو فيها الحشائش.

وعندما كنا نتعجب من هذا الاخضرار المبهج ومن منظر الزهور الجميلة كان الأخ نجيب الصحراوي والأخوة المسلمون المرافقون من البولنديين يقولون: إن هذا كله عمره أيام معدودة وإنه قبل هذه الأيام كان منظر البلاد كله منظر الأرض

الجدباء الخالية من الخضرة حيث كان قد ران عليها شتاء طويل شديد البرد ولم يكن المرء يرى في الأماكن الخلوية أو العامة أي عود أخضر فضلاً عن أن يرى زهرة متفتحة.

وكرروا مجاملتهم بقولهم: لقد جئتم معكم بفصل الربيع وبالدفء الذي يتمناه الجميع وبخاصة هذه الشمس المشرقة في السماء الصاحية الصافية.

فقلنا: الحمد لله وله الشكر.

وعندما كنا ننتظر أمام بيت الأخ نجيب الصحراوي كنت أتمشى في المنطقة المحيطة به وهو في حي ذي منازل صغيرة منفردة حسنة المظهر، فرأيت طائفة من المعوقين يتمشون في الشمس على عربات أو مع بعض الممرضات والظاهر أن السبب في ذلك هو قرب المكان من أحد الملاجئ أو المستشفيات التي يوجد بها هؤلاء المعاقون أو بالتعبير العربي الفصيح ذوو العاهات لأن كلمة المعاقين في مثل هذا المعنى ليست عريقة في العربية.

ورأيت عربة خشبية يجرها حصان وهي محملة بأشياء ثقيلة وسائق العربة أو صاحبها يحثها على السير برفع صوته وبشد زمام العربة كما يفعل أمثاله في بعض البلدان المختلفة وظني أنه لايسمح لمثل هذه العربات بالسير إلاّ في مناطق معينة مثل هذه الضواحي لأنني لم أرها في الأماكن الفاخرة في قلب المدينة.

زلوتي والزلط:

بمناسبة البحث عن أشرطة للتصوير الملون سألناهم عن عملة هذه البلاد فأجاب الأخوة العرب، أنها (الزلط) والزلط في لغة العامة من المصريين تعني الحصى الصغار.

ولما استفسرت منهم عن حقيقة الأمر قالوا: إن اسم العملة البولندية هي (زلوتي) ولكننا نحن العرب وفينا بعض الأخوة المصريين نسميها (الزلط) وهذا ماقلناه لكم عفو الخاطر ودون أن نقصد بذلك التنكيت أو التنادر.

وقد سماها الإخوة العرب بالزلط لقرب اسمها من ذلك ولأن قيمتها قد هبطت ولاتزال تواصل الهبوط بل الانحدار.

فالسعر الرسمي للدولار في الوقت الحاضر هو مائة وخمسة وستون (زلوتيا) والسعر في السوق الحرة هو ستمائة وسبعون أي مايقارب أربعة أضعاف.

قالوا: والمهم في الأمر ليس هذا فحسب وإنما هو كون الحكومة تعرف ذلك بل تعترف به فيباع الدولار ويشترى بهذا السعر المرتفع في السوق التي تسمى سوداء في غير هذه البلاد وهي طبيعية هنا ولاتنكر الحكومة على من يفعل ذلك.

وقد عمدت الحكومة نفسها إلى بيع طوائف من السلع المستوردة بالدولار الأمريكي لا تبيعها إلاّ به سواء على المواطنين البولنديين أو غيرهم من المقيمين والسياح وهي لاتسأل المواطنين عن الجهة التي حصلوا منها على الدولار ولاعن الطريقة التي اشتروه بها فهي بذلك تقر وجود هذه السوق السوداء، بل حتى السلع الضرورية ومنها بعض الأدوية لاتبيعها الحكومة إلا بالدولار، والحكومة هي الجهة الوحيدة التي تملك حق البيع والشراء بدون حدود مثل غيرها من الحكومات الشيوعية، بل حتى السيارات والأجهزة الكهربائية التي تسمى بالكماليات تبيعها الحكومة بالدولارات ولاتسأل مشتريها عن الكيفية التي

حصل بها على الدولار.

وذلك لحاجتها الماسة إلى الدولار في تسديد ديونها الخارجية وفي استيراد السلع الضرورية التي لاتنتج في البلاد.

هذا وعندما قلت للإخوة العرب: إن كلمة (زلط) هذه التي يتنادرون بها على العملة البولندية هي تعني النقود في بعض البلدان العربية كاليمن وإن لهذه الكلمة أصلاً فصيحًا صحيحًا استغربوا ذلك.

ومع هذا التحقير لقيمة الزلط البولندي أو (الزلوتي) فإنه يعتبر جيداً بل ممتازاً للسياح وللمقيمين الذين يحضرون معهم عملة عالمية كالدولار، لأن السلع والأشياء العامة التي تنتجها هذه البلاد البولندية وتبيعها بالعملة المحلية هي رخيصة جداً بالنسبة للسياح على حين كونها غالية جداً بالنسبة للمواطنين البولنديين وذلك لانخفاض الأجور في هذه البلاد وندرة بعض الأشياء غير الضرورية التي قد يحتاجون إلى شرائها بالعملة الأجنبية كالدولار الذي لايحصلون عليه إلا بأضعاف قيمته الرسمية فمثلاً الراتب الشهري للطبيب الذي مضت عليه مدة في الخدمة وجميع الأطباء هم موظفون حكوميون هي في حدود عشرين ألف زولوتي.

ومثل ذلك الراتب الشهري للمهندس وللعامل الفني، فالعامل الفني يتقاضى الأجر الشهري مثل مايتقاضاه المهندس أو الطبيب لأن هذه الحكومة - كما تقول - هي حكومة العمال.

البحث عن الشرائط الملونة:

وعدنا إلى قلب المدينة للبحث عن محل نجد فيه الشرائط الملونة لآلات التصوير وفضلت أن تكون من صنع أمريكي وقد أخبرنا إخوتنا أنها توجد في المحلات التي لاتبيع إلا بالدولار الأمريكي فوقفنا عند واحد منها ولم نجد فيه

شيئًا كما وقفنا عند آخر ماأسرع أن خرج بعض الأخوة قائلين إن الشرائط (الأفلام) موجودة فيه ولكن هناك صف طويل من المشترين إذا وقفنا فيه وانتظرنا أن يصلنا الدور ضاع علينا الوقت ثم انتقلنا إلى منطقة أخرى واشتروا من أحد محلاتها تلك الشرائط بالدولار بثمن أغلى قليلاً مماتباع به في بلادنا.

وانتهزت الوقت الذي ذهب فيه الأخوة لشراء الشرائط فنزلت أتمشى في الشارع وهو في سوق قديم من أسواق البيع والشراء قبل استيلاء الشيوعيين على الحكم يدل على ذلك كبر المحلات التجارية الموجودة فيه وحالة أبنيته فرأيت محلاً عليه طابور من الناس قد وصل إلى بابه الخارجي فقال لي الأخ المرافق إنه محل لبيع الخمور خاصة وأنه لايبيع إلا بالدولار ومع ذلك يقبل القوم على الشراء منه وذلك لقرب أعياد العمال بأول مايو حيث ينتهزون هذه الفرصة ويكثرون من شرب الخمر.

ثم رأيت بائعة لديها فاكهةأكثرها من التفاح وقد كتب عليه سعره مثل سائر المعروضات للبيع فهي كلها هنا تكتب عليها سعرها حتى الأشياء الصغيرة منها مثل علبة الكبريت.

فرأيت أنه كتبوا سعر التفاح عليه رخيصًا جداً وهو مائة وعشرون (زولوتيا) للكيلو وهذا معناه بالنسبة إلينا أن يكون ثمن الكيلو من التفاح أقل من خمس دولار أمريكي أي ٢٠٪ من الدولار كمايعبر عنه عوام الكتاب عندنا ويساوي ذلك حوالي ثلثي ريال سعودي.

وأما بالنسبة إلي المواطنين البولنديين فإنه يساوي ثلاثة أرباع الدولار، والأهم من ذلك أنه يساوي راتب ربع يوم للموظف الجامعي أو لنقل إن راتب الموظف اليومي يساوي أربعة كيلات من التفاح وتلك تساوي في بلادنا ستة عشر ريالاً سعوديًا فكأن ذلك الموظف الجامعي يعمل يوميًا بمايساوي ستة عشر ريالاً سعوديا يدفع منها أجرة سكنه وأسرته وكذلك إطعامهم وكسوتهم.

وقد مثلت على بهذا لأن قيمة العملة مجردة عن مستوى الحياة وعن مستوى الرواتب في أي بلد لاتعطي القيمة الحقيقة للعملة..

من وارسو إلى بياوستوك:

غادرنا مدينة وارسو قاصدين مدينة (بياوستوك) التي قلت إن فيها عدداً من المسلمين أكثر من أية مدينة بولندية أخرى. وعلى الحافلة الصغيرة التي استأجرها الأخوة المسلمون لنا من إحدى الجهات الحكومية وكون الجمعية الإسلامية هي التي استأجرتها مفيد لنا من ناحية الثمن بل هو ينزل بالأجرة إلى أقل قليلاً من الربع ذلك أنهم يقبلون منهم أن يدفعوا أجرة هذه الحافلة بالعملة البولندية لكونهم مواطنين بولنديين أما نحن فإنهم لايقبلون منا أن ندفع بغير الدولار وبالسعر الرسمي الذي يقل أربعة أضعاف عن السعر الحر. وكانت مغادرة وارسو في الواحدة والنصف بتوقيت وارسو ويوافق ذلك الثالثة والنصف بالتوقيت الصيفي لمدينة موسكو التي قدمنا منها في هذا الصباح.

البلاد آمنة:

على ذكر السفر سألنا الإخوة العرب والإخوة المسلمين المقيمين في هذه البلاد عن حالة الأمن في البلاد ؟ فأجابوا أنها جيدة وأن المرء يمكنه أن يسير منفرداً في الشوارع سواء في الليل أو النهار من دون أن يخشى سارقًا أو منتهبًا.

إلا أنهم استدركوا أنها مع ذلك قد أصبحت في السنتين الأخيرتين أقل أمنًا مماكانت عليه في الماضي وذلك بسبب سوء الحالة الاقتصادية والفقر والعوز الذي شمل طوائف كبيرة من أهله وبخاصة منهم من ابتلوا بالشراب أو بغيره ممايأكل مدخولاتهم المحدودة أصلاً وقد يدفعهم ذلك إلى تناول مالايحل لهم من متاع تصل إليه أيديهم ومن أشياء لجيرانهم إلا أن ذلك لايخل بصفة عامة بحالة الأمن الجيدة وبخاصة حين المقارنة بحالة الأمن في البلدان الغربية

الرأسمالية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وكما ذكر الإخوة عن حالة الأمن هنا أنها جيدة ذكروا أن الشعب البولندي نفسه يعتبر شعبًا طيبًا بمعنى أنه ليس من طبيعته حب الخصام والنزاع فضلاً عن إلحاق الأذى بالآخرين، وجميع الذين عاشوا في البلاد من الأجانب يذكرون حسن معاملة هذا الشعب لهم.

فقلت لمحدثي إن الشعب البولندي يعتبر من الشعوب السلافية مثله في ذلك مثل شعب يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وهي شعوب عرفنا من أكثرها وداعة الأخلاق وطيب المعاملة للغريب.

في ريف بولندا:

غادرنا مدينة وارسو فوصلنا إلى جسر على نهر (فيستولا) وهو أكبر الأنهار في المنطقة، وقالوا إن معنى اسمه هو النهر الكبير لأن كلمة نهر في البولندية (فيسوا).

وهو أقل قليلاً من نهر دجلة وأقل كثيراً من نهر النيل.

وهناك أنهار كثيرة في البلاد قد نمر ببعضها.

وبهذه المناسبة وبخاصة حين يتطرق الحديث إلى كون البلاد لاتعاني نقصًا في المياه وذلك لكثرة أنهارها وغزارة أمطارها ووفرة ثلوجها في الشتاء، ممايجعلها ذات بحيرات عديدة يصل عددها إلى المئات سألتهم عن الفواكه الموجودة في البلاد في الوقت الحاضر؟ فذكروا أنه لاتوجد الآن فاكهة طازجة أصلاً.

وقالوا إن البلاد تنتج أنواعًا محدودة من الفاكهة من أهمها التفاح والكمثرى.

أما الفواكه الأخرى المشهورة في البلدان العربية كالبرتقال والعنب فإنها لاتنتج هنا أصلاً، وإنما تستورد على نطاق ضيق جداً لأن الدولة التي هي

المستورد الوحيد تفضل أن تدفع العملة الصعبة النادرة لديها في سلع ضرورية للبلاد.

وإذا وجدت هذه الفواكه المستوردة فإنها تباع بأثمان باهظة.

ثم انطلقنا مع ريف بولندا الذي تكثر فيه البيوت الصغيرة الخاصة وهي مقامة من الخشب ومعنى كونها خاصة أنها ليست حكومية وإنما بإمكان الشخص أن يشتريها من الحكومة أو أن يشتري أرضها وهي في العادة صغيرة جداً ويقيم عليها هذا البيت الريفي الصغير.

وبعضها للفلاحين الذين يملكون قطعة صغيرة جداً من الأرض يزرعونها بأنفسهم ويستغلونها لأنفسهم والملكية الصغيرة جداً للأراضي الزراعية موجودة هنا كما هي موجودة في الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية ولكن بشروط معينة وعلى نطاق ضيق.

وهذه البيوت الريفية هي في الحقيقة أكواخ خشبية أو لاتعدو أن تكون كذلك فهي كلها من الخشب الموجود بوفرة في هذه البلاد وهي سيئة المظهر.



منظر من ريف بولندا

والطريق الريفية هذه إزفلتية جيدة إلا أنها واسعة فهي تتسع لأكثر من سيارتين متقابلتين.

وجميع الريف الذي يخترقه الطريق مزروع فلاترى فيه أية قطعة صغيرة خالية من الزراعة ماعدا بعض القطع المعدة للزرع وليست خضراء.

وأكثر الريف مؤلف من قطع كبيرة مملوكة للدولة وذلك ظاهر من مساحتها ومن عدد الحيوان الموجود فيها وكذلك من آلات الحرث التي تعمل فيها. لأن المزارع الفردية صغيرة المساحة، قليلة الحيوان لاتكاد توجد فيها آلة زراعية لأن أهلها أضعف من أن يستطيعوا الحصول على تلك الآلات لو أرادوا الحصول عليها.

وغالبًا مايكون في الأراضي الصغيرة المملوكة للأفراد أسرة تضم أكثر من واحد وكلها تعمل في هذه الأرض وتستطيع زراعتهامن دون المساعدة بالآلات الحديثة.

وبعض البيوت الريفية هنا مبني بالآجر ومسقف بالصفيح الصدي، والذي صار كذلك لعدم تعهده بالطلاء على هيئة سنام وأكثرها من طابق واحد وأقلها من طابقين.

والزراعة هنا كلها حقلية بمعنى أنها حقول متسعة للحبوب ومن أهمها القمح الشتوي الذي يبذر قبل نزول الثلج فينزل عليه الثلج ويمنعه من النبات فتذهب جذوره في الأرض حتى إذا حان الربيع وذابت الثلوج بدأ بالاخضرار والازدهار وذلك في مثل هذا الوقت الذي نحن فيه الآن.

وقد ذكروا أن أكثر حقول القمح هنا مملوكة للدولة ومع ذلك فإن بولندا التي هي عبارة عن حديقة واحدة بمعنى أنها معمورة بالزراعة وكانت تصدر القمح في السابق قد أصبحت الآن مضطرة إلى استيراد بعض ماتحتاج إليه من القمح إضافة إلى ماتنتجه منه.

ومررنا بخنازير في إحدى المزارع فأبدى بعض الأخوة المرافقين تأففه من منظرها وقال! لماذا يربونها فعلق الأخ استيفان مصطفى موخارسكي على ذلك بقوله: دعهم يفعلون ذلك حتى يرخص لحم البقر لنا لأننا لنا البقر ولهم الخنازير.

ومررنا بمناطق محددة منها غابات ملتفة الأشجار وقالوا إن المنطقة كلها كانت في الأصل من مناطق الغابات غير أنهم قطعوا أشجار الغابات من أجل زراعة الحبوب في مكانها.

وقد بقيت بعض الأشجار الكبيرة على جانبي الطريق من أجل الظل والوقاية فيه إضافة إلى جمال المنظر، ورأيناهم قطعوا الأغصان الجانبية للأشجار وطلوا مكان القطع بمادة بيضاء لئلا يدخلها الندى ومياه الأمطار والمياه التي تذوب من الثلوج في الشتاء. والسيارات التي تسير على هذا الطريق ليست كثيرة وأغلبها من سيارات النقل الكبيرة والمتوسطة وأما سيارات الركوب الصغيرة فهي قليلة.

وبهذه المناسبة ذكروا لنا أن أكثر السيارات الموجودة في البلاد هي مصنعة هنا بمعنى أن تجميعها وبعض أجزائها يصنع في بولندا بموجب اتفاقات مع شركات السيارات العالمية.

ومع ذلك ذكروا أن المواطن البولندي إذا أراد شراء سيارة من الحكومة كان عليه أن ينتظر سنوات حتى يصله الدور فيحصل على سيارة يستطيع أن يدفع ثمنها بالعملة المحلية.

أما إذا كان يستطيع الحصول على ثمن السيارة بالعملة الصعبة كالدولار مثلاً فإنه يستطيع أن يحصل على السيارة في غضون أيام.

مدينة فيشكوف:

مر الطريق فوق جسر على نهر يسمى (بوك) وبعده بقليل مررنا بمدينة

(فيشكوف) وأخذنا الطريق مع شارعها العام الذي يبدو غير واسع.

وكانت بنا حاجة إلى فنجان من الشاي بعد السفر وبخاصة أن موعد الغداء قد حان فطلبت منهم أن نجلس في مقهاة من مقاهي هذه المدينة أو مطعم من مطاعمها حتى نستريح على فنجان من الشاي أو القهوة فيها وإذا تيسر أكل شيء خفيف فيها.

فاعتذروا بأنهم لم يلاحظوا شيئًا من ذلك على الطريق العام وبعضهم كالأخ مصطفى موخارسكي هو من أهل (بياوستوك) من الذين يترددون على هذا الطريق مابينها وبين (وارسو) بالسيارات.

تركنا مدينة فيشكوف دون أن نقف فيها وواصلنا السير مع الطريق نفسه الذي يذهب جهة الشمال الشرقي وينتهي بالحدود الشمالية الشرقية مع الحدود الروسية.

وكلما أوغل الطريق في الريف تجلت طبيعة الخضرة الكثيفة ماعدا الأشجار فإن خضرة بعضها لم تكتمل بعد عريها من الأوراق في فصل الشتاء.

ومن الأشياء اللافتة للنظر هنا أكوام من أكوام التبن قد جمعت للعلف وكومت بكثرة ذكرتني بأكوام التبن التي لايكاد النظر يخطئها في ريف الصين الشيوعية أكثره من تبن القمح وبعضه من تبن الأرز. وأكوام أخرى من الأخشاب التي قطعت من الغابات وأعدت للنقل. ومنظر عربة خشبية يجرها حصان.

والجو معتدل جداً بل يميل إلى الحر بحيث لايشعر المرء منا نحن العرب وقد لبسنا ملابس ليست ثقيلة إلا أنه في بلادنا في فصل الربيع وهذا أمر عجبنا له وكان عجب إخوتنا البولنديين بل وإعجابهم به أكثر من عجبنا بكثير.

إذ لم يكونوا يتوقعون مثل هذا الجو الدفيء في هذا الأيام. بل يعتبرونه حاراً لأنه جاء إليهم بعد وقت غير بعيد من البرد الشديد.

بلدة مستروف:

ثم مررنا ببلدة (مستروف) أظهر الأشياء فيه كنيسة فخمة البناء، على شارعها العام وهي أعلى بناء فيمارأيناه من هذه البلدة.

ورأينا بعد أن غادرناها كنيسة تبنى في قرية صغيرة بل ربما لاتصل إلى اسم قرية لقلة مساكنها.

وبهذه المناسبة أذكر أنه تكررت رؤيتنا بعد ذلك للكنائس الجديدة التي لاتزال تحت الإنشاء وقد ذكر لنا الإخوة المرافقون أنه في غضون السنوات العشر الأخيرة حيث حصل التسامح أو لنقل التراخي الشيوعي في البلاد، وتلبية لرغبات الأكثرية الساحقة من المواطنين الذين هم من غير الشيوعيين وأغلبهم من المسيحيين المتدينين فقد جرى بناء مالايقل عن ألف كنيسة في سائر أنحاء بولندا.

وقالوا لنا إنه قد أصبح الآن في كل قرية ولو كانت صغيرة كنيسة حتى في التجمعات السكنية التي وجدت بعد الحكم الشيوعي في البلاد.

ويذكر هنا أن عدد أعضاء الحزب الشيوعي البولندي حسب الإحصاء الرسمي للحكومة يبلغ مليونا ومائتي ألف شخص وكان قبل حركة التضامن العمالية يبلغ مليونا وخمسمائة ألف شخص كما قالوا.

على حين أن مجموع سكان بولندا يبلغ ستة وثلاثين مليونًا وخمسمائة ألف نسمة أغلبهم من المسيحيين الكاثوليكيين ومنهم أقلية مسيحية أرثوذكسية.

ومن هنا نعرف ضآلة أعداد أعضاء الحزب الشيوعي واعترافهم الضمني بأن حكمهم هو حكم أقلية قليلة عن طريق اعترافهم بعدد الشيوعيين المتدني.

ومع أنهم لايتيحون للشعب أن تكون له يد في اختيار من يريدهم من غير الشيوعيين في البلاد فإنهم لايستحيون من أن يرددوا بأن حكمهم هو حكم شعبي ديمقراطي.

وهذا يشبهه مايعلنه الروس من أن بلادهم بلاد سوفييتية بماتعنيه هذه الكلمة حرفيًا باللغة الروسية وهو الشورى مع أن الشيوعيين الذين يحكمون تلك البلاد الواسعة هم أيضًا أقلية ضئيلة إذا نسب عددهم إلى مجموع عدد السكان وأنهم لم يمارسوا مرة واحدة أن يستشيروا شعب الاتحاد السوفييتي أو شعوبه في أمورهم مثل نظام الحكم أو حتى حدود الملكية أو حرية التنقل أو حتى حرية المعارضة ولو الكلامية للحكام.

وليس للشورى عندهم معنى اللهم إلا إذا كانت تعني أن الشيوعيين أنفسهم يتشاورون فيمابينهم حول مايريدون أن يقرروه في حكم الأغلبية المسلوبة الرأي من السكان!.

بلدة زامبرو:

اخترق الطريق بلدة تدعى (زامبرو) وهي صغيرة ذات أبنية كبيرة نوعًا ما ولكنها متفرقة وبيوت منفردة قديمة أكثرها مبني بالآجر وبعضها مبني بالطين المطلي بالجص وتشترك مع غيرها من البيوت القديمة والأكواخ الخشبية الصغيرة في كونها كلها ذات سقوف مسنمة اتقاء للمطر والثلج الكثير الذي يظل يسقط على هذه البلاد لمدة طويلة في الشتاء.

فكرة جيدة:

أرانا الأخ استيفان مصطفى موخارسكي مجلداً ضخمًا وقال: هذا الكتاب يتعلق فيمانحن بصدده من أحوال المسلمين فهو كتاب ألفه أحد المسلمين في

عام ١٩٢٩م وطبع آنذاك ويتضمن أسماء الأسر الإسلامية وشعار كل أسرة منها.

وأراني الشعار فرأيته شبيهًا بالوسم الذي كان يضعه العرب على الماشية وبخاصة على الإبل وكنا قبل التغير الاجتماعي والاقتصادي الأخير في بلادنا نفعله.

فكان لكل أسرة في بلادنا على سبيل المثال وسم خاص تسم به الإبل وذلك بكيها بالنار على هيئة ذلك الوسم ويبقى ذلك في البعير لايمحى ويعرف البعير بأنه ملك فلان إذا رؤي وسمهم الخصوصي الذي هو في الحقيقة لايزيد على كونه علامة مميزة.

وهذه الأسر المسلمة البولندية لكل واحد منها شعار خاص رسمه صاحب هذا الكتاب. ويمكن للمسلم أن يرجع إلى الشعار أو العلامة التي تتخذها أسرته علامة مميزة لها ثم يبحث عن ذلك في الكتاب إن لم يهتد إلى اسم الأسرة فيستدل بذلك عليها.

ويذكر أن الكتاب خاص بالمسلمين التتاريين الذين يقطنون في شرقي بولندا وشمالها الشرقي وهؤلاء جرت العادة عندهم على أن تكون لكل أسرة منهم علامة مميزة.

وكان الكتاب قد طبع في عام ١٩٢٩ كما قلت ونفدت نسخه كلها في ذلك الوقت حتى صار نادراً ثم أعيد طبعه أخيراً وطبع منه نسخ كثيرة نفدت بسرعة إذ تلقفته أيدي الأسر التتارية المسلمة التي زاد عددها زيادة طبيعية حتى فقدت نسخه أو كادت.

وهذه فكرة جديرة بالاحتذاء أن يؤلف الإخوة المسلمون في بلاد الأقليات الإسلامية كتبًا في بيان أسرهم، ومايكون لها من شعارات أو علامات مميزة

حتى يتعرف الأبناء على أصولهم. ويحافظوا على أنفسهم من الضياع والذوبان في الأغلبية الكافرة.

وبطبيعة الحال أن هذا الموضوع يكتسب أهمية خاصة من وجود الإخوة المسلمين تحت هذا الحكم الشيوعي الملحد الذي يربى النشئ على مبادئ الإلحاد وإنكار الأديان وإلا لو أمكن للمسلمين إنشاء المدارس الإسلامية التي تعلم النشء تعليمًا إسلاميًا وتربي أولاد المسلمين على ذلك لكانت الحاجة إلى مثل هذا الكتاب أقل.

هذا وقد واصلت الحافلة السير في هذا الطريق البولندي الريفي في ريف أخضر لايكاد يختلف جزء عن جزء فيه في هذا الوضع.

وبحثت عن الحيوان الذي يوجد عادة في الأرياف الخضرة فلم أر إلا أعداداً قليلة من الأبقار وأما الحيوانات الأخرى فإنه لاتكاد ترى من الطريق بخلاف ماعليه الحال في الريف الروسي أو حتى الروماني مثلاً الذي كنت شاهدته قبل حوالي عشرة أشهر.

هذه بياوستوك:

قبل الوصول إلى مدينة (بياوستوك) لبس مرافقنا الأخ الإمام (علي خالسكي)، أوخالص كي القلنسوة المميزة وكان وضعها قبل ذلك على الرف وسألت الأخوة عما إذا كان ينبغي لنا أن نلبس كامل ملابسنا العربية وكنا خلعنا بعضها في السيارة للتخفف.

فقالوا: إننا سنذهب إلى فندق حجزنا فيه لكم وإن الاجتماع بالمسلمين سيكون بعد ذلك كما شاهدنا قبيل الوصول لمدينة (بياوستوك) قطاراً للشحن طويلاً كثير العربات وقالوا: السبب في ذلك أن بولندا تصدر الفحم الحجري

والأخشاب ومثل هذا القطار يحمل هذه البضائع الثقيلة إلى الموانئ للتصدير.

كما شاهدنا بعض الفلاحين وهم وأطفالهم في ثياب نظيفة جيدة شأنهم في ذلك شأن الفلاحين في أكثر البلدان الباردة.

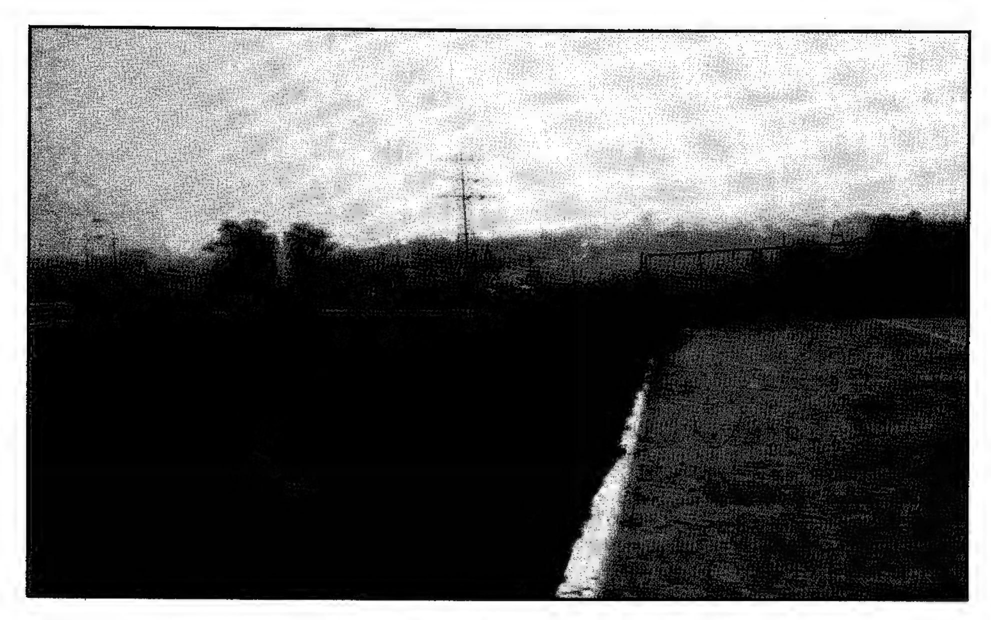
وصلنا مدينة (بياوستوك) في الرابعة والنصف عصراً وذلك بعد أن قضينا ثلاث ساعات كاملة في السير قطعنا فيها مائة كيلو متر من وارسو إلى (بياوستوك) وجدنا عند باب الفندق بعض المسلمين على رأسهم الأخ علي بازارا يفش) رئيس الجمعية الإسلامية لمدينة (بياوستوك) وقد حياني بتقديم باقة من الزهور.



الاستقبال بباقة من الزهور عند الوصول إلى بياوستوك

ونزلنا في (فندق لسني) ومعناه فندق الغابة أو الغابي - إن صحت النسبة- ويقع في ضاحية جديدة تكاد تكون خالية من الأبنية السكنية على الطريق

العام ما بين وارسو وبياوستوك.



المنطقة المحيطة بفندق الغابة في بياوستوك

الضيافة غير المباشرة:

يجدر بالذكر هنا أن رئيس الاتحاد الإسلامي لبولندا كان قد أرسل إليَّ رسالة مؤثرة ونحن في مكة المكرمة يرحب فيه بزيارة وفدنا إلى بولندا ويقول في آخر رسالته أرجو أن تحيطوا علمًا بأن الحالة الاقتصادية للمسلمين لاتسمح باستضافتكم أنتم وأعضاء وفدكم ولذلك ستكون إقامتكم في بولندا على نفقتكم.

وكان بذلك يقرر شيئًا متقرراً في أذهاننا فنحن لانقبل أن يستضيفنا أحد من الإخوة المسلمين في الخارج إلا إذا عجزنا عن ذلك والفضل في ذلك لله تعالى الذي من علينا فأغدق علينا من نعمه ومنها المال الوافر فكانت الأنظمة المعمول

بها عندنا تعطي كل موظف يسافر إلى الخارج في مهمة رسمية من المال مايزيد على حاجته في السفر.

وإذاً لاحاجة للضيافة إلا أن بعض الجماعات الإسلامية الكبيرة تصر على الاستضافة ومن هؤلاء الأخوة المسلمون في الاتحاد السوڤييتي فقد أخبرونا أن ضيافتنا ستكون مدة إقامتنا في الاتحاد السوڤييتي وهي خمسة عشر يومًا على ضيافة الإدارات الدينية التي يمولها المسلمون أنفسهم، ولاتعطيهم الحكومة أي شيء من المال. بل إنها تأخذ منهم أموالاً عن طريق ماتتبرع به هذه الإدارات الدينية لبعض المؤسسات الحكومية.

وأما هؤلاء الإخوة المسلمون البولنديون فإنهم قد قدموا الاعتذار إلينا عن الضيافة قبل أن نغادر بلادنا.

وعندما وصلنا إلى مطار وارسو في هذا الصباح أخبرناهم أننا نشكرهم على استقبالنا وأن موضوع الاستضافة لم يكن وارداً في أذهاننا.

غير أن الأخ (نجيب الصحراوي) الذي كان ولايزال هو المترجم والمرافق لنا قال إن الأخوة المسلمين قرروا أن يستضيفوكم بطريقة أخرى وهي أن يتولوا استضافتكم ظاهريا بمعنى أن يحجزوا لكم الفنادق باسمهم، وأن ينفقوا ماتحتاجونه أنتم في هذه المدة باسمهم أيضًا على أن يأخذوا ذلك منكم بالعملة المحلية التي تستطيعون بسهولة أن تصرفوا الدولارات بها بالسعر الحر المعترف به من الجميع أو أن تدفعوا إليهم الدولارات بالسعر الحر أيضًا.

وهذا معناه أن تنخفض أجرة الغرفة في الفندق إلى الربع أو أقل من ذلك بالنسبة إلى ماتستأجرونها أنتم أنفسكم لأن الفنادق والمطاعم والمؤسسات ستعاملكم بما تعامل به السياح الأجانب الذين تطلب منهم أن يدفعوا الأجرة بالعملة الصعبة وبالسعر الرسمي الذي يقل أربعة أضعاف عن السعر الحر إلى ماقد يحصلون عليه من تخفيض في الأجرة لكونهم جمعية معترفًا بها من قبل

الحكومة.

وهكذا كان، فقد أخبرونا أن أجرة الغرفة المنفردة في هذا الفندق ستكون لنا في حدود خمسة دولارات أمريكية في اليوم كما وجدتهم حجزوا لي خاصة جناحًا أسموه شقة وذكروا أن أجرته تكون على هذا الاعتبار اثني عشر دولاراً.

وهذا الجناح يشتمل على غرفة للنوم وقاعة للجلوس ويتصل به ركن للاجتماع وفيه ثلاثة حمامات وجهاز للتلفزة وثلاجة وعدة خزائن للألبسة والأمتعة.

ويقع في الركن الغربي للفندق ولذلك يطل على ثلاث جهات إحداها الشمالية التي تلي الطريق العام.

غداء الجمعيات الإسلامية:



غداء الجمعيات الإسلامية

استرحنا لمدة ساعة في الفندق ثم نادانا منادى الغداء في الخامسة والنصف وهي بالنسبة إلينا السابعة والنصف وذلك لكوننا تركنا موسكو التي توقيتها

هو السابعة والنصف.

وهذا الغداء أقامه اتحاد الجمعيات الإسلامية لوفدنا وحضره عدد من الإخوة المسلمين من أهل هذه المدينة وغيرهم ممن وفدوا من القرى المجاورة.

وكان غداء جيداً لذيذاً ربما كان قسم من لذته راجعًا إلى حاجتنا إليه في الخامسة والنصف ومن الأشياء المميزة فيه حبات من المشمش المصبر جاءوا به مع المقبلات أو مقدمات المائدة، وفلفل كبير غير حار قد صبّروه بطريقة خاصة حتى صار لذيذ الطعم لايظهر فيه الملح ولحوم مصبرة باردة.

ثم جاءوا باللحم الحار من الشواء البقري (استيك) مع بقية أطباق المائدة وكل ذلك مقدر تقديراً لما يكفي من دون أن يجاوز الكفاية.

وقد استمر الغداء حتى السادسة والربع.

وكان الغداء في قاعة خاصة في الفندق وليس في المطعم العام.

أما الشراب فإنه الشائع هنا وفي الاتحاد السوفييتي وهو الماء المعدني الذي يحضرون معه الكوكاكولا لمن يفضلها عليه.

الاجتماع العام بزعماء المسلمين:

وفي الساعة السابعة والنصف مساءً انعقد الاجتماع العام الموسع بالإخوة المسئولين في الجمعيات الإسلامية التي يضمها الاتحاد الإسلامي البولندي ومعهم أعضاء المجلس الأعلى الإسلامي الذي يضم بعض العاملين في الجمعيات الإسلامية وشخصيات مسلمة من غيرهم.

وقد حضر إلى جانب الإخوة المسلمين بعض الصحفيين والمصورين الذين كان بعضهم ركب معنا وبعضهم كنا رأيناهم عند الوصول في وارسو ولحقوا بنا إلى (بياوستوك)، وتم في إحدى قاعات الفندق الذي نسكن فيه.

وقد بدأ الأخ استيفان مصطفى موخارسكي بتعريفنا الإخوة المسلمين البولنديين الحاضرين وهم:

١- السيد/ علي إسكندر بازارفيتش.

رئيس الجماعة الإسلامية في بياوستوك.

٢- السيد/ استيفان مصطفى ياشبنسكي.

رئيس الجماعة الإسلامية في بخونيكي

٣- السيد/ إبراهيم تلكوفسكي

رئيس الجماعة الإسلامية في كروشيناني

٤- الدكتور/ أمير ميفوستوف بوتورجسكي

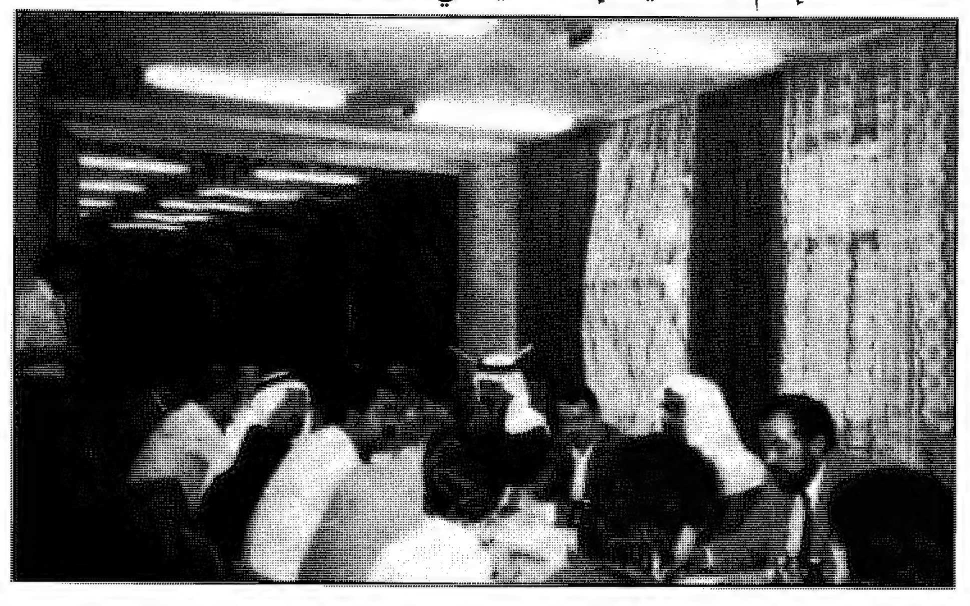
رئيس جمعية الشباب المسلم البولندي.

٥- الانسة/ عائشة الزبيتا سولكافيتش

رئيسة جمعية الشباب المسلم في سكوكا.

٦- الإمام علي خالدوفسكي.

إمام الجماعتين الإسلاميتين في وارسو وبياوستوك.



الاجتماع بالمسئولين في الجمعيات الإسلامية

ثم ابتدأ السيد استيفان مصطفى موخارسكي الحديث فألقى كلمة مسهبة سمعنا فيها حقائق ومعلومات عن الإخوة المسلمين في هذه البلاد لم نسمع بها من قبل لأنها كانت مجهولة لنا.

وكان الأخ نجيب الصحراوي يترجم لنا من البولندية للعربية فكان مما قاله:

إن تاريخ المسلمين في بولندا يرجع إلى ستمائة عام ومنذ ذلك التاريخ وبالرغم من عزلتهم عن إخوتهم في الإسلام في العالم فالمسلمون البولنديون الذين ينتمون إلى التتار يحافظون على دينهم، وإن الحكومة تؤمن لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية. ولكن حياة المسلمين الانعزالية في بولندا وصعوبة اتصالهم بالعالم الإسلامي في الماضي أثر في ثقافتهم الدينية فقد تكون هناك بعض الأخطاء في العبادات، فنرجو من أعضاء وفد الرابطة ملاحظة ذلك وتوجيه الإرشاد والنصح.

ثم استمر رئيس مجلس الاتحاد السيد موخارسكي بشرح أوضاع المسلمين ومشاكلهم، فقال إن المسلمين يتمركزون في محافظة بياوستوك ويوجد لهم مسجدان قديمان أحدهما في قرية كروشيناني والآخر في قرية بخونيكي، أما في بياوستوك فالمسلمون يقيمون صلاتهم في منزل صغير منحته الدولة مؤقتاً للمسلمين بدون أجر. ويسعى المسلمون إلى بناء مسجد كبير لهم في مدينة بياوستوك وكذلك في وارسو العاصمة بيد أن فقر المسلمين وضعف مواردهم المالية يحول دون تنفيذ المشروع وكذلك هناك مسجد في طور البناء في غدانسك في شمال بولندا مساعدة الثري الكويتي الشيخ علي التركي الذي وهب المسجد بمساعدة قدرها ثمانية آلاف دولار. وقد استقبلنا بعض الوفود الإسلامية التي اطلعت على أحوالنا ووعدت بالمساعدة ولكن لم يردنا منهم شيء إلى اليوم... ويكفي أن نشير إلى قلة مواردنا المالية أننا اعتذرنا عن استضافتكم والتمسنا أن يتحمل الوفد مصاريف إقامته في بولندا.

بالإضافة إلى ذلك نلاقي مشاكل في تعليم أبنائنا أحكام الإسلام وإرشاد

المسلمين لأمور دينهم ولانجد كتبًا باللغة البولندية التي توضح تعاليم الإسلام علاوة على ذلك فإننا نتطلع لأداء فريضة الحج وزيارة الحرمين الشريفين ولم يحدث أن حج مسلم بولندي بعد الحرب العالمية الثانية. كما يرجو شبابنا المسلم الاتصال بإخوانهم المسلمين وبالهيئات الإسلامية التي تتعامل مع الشباب المسلم.

فألقيت بعده كلمة مبسوطة قدمت فيها أولا الإخوة من أعضاء وفدنا إلى الإخوة المسلمين البولنديين ثم بينت لهم الغرض من مجيئنا إلى هذه البلاد وأنه في المقام الأول- الاجتماع بالإخوة المسلمين البولنديين والاطلاع على أحوالهم والتعاون على حل مايعرض لهم من مشكلات في أمور دينهم.

وبينت لهم الغرض من إنشاء رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وأنها منظمة شعبية عالمية تهدف إلى ربط الجمعيات الإسلامية في العالم برابط أخوي وثيق دون التدخل في الشئون الداخلية أو الأوضاع السياسة في أي بلد من البلدان إلا بمقدار ماتسمح به ظروف ذلك البلد ومايرى الإخوة المسلمون أن التدخل فيها مفيد لهم وأنه لاينشأ عنه ضرر يلحق بهم.

وأوضحت لهم المجالات التي يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن تقدم لهم المساعدات التي أكره أن يفهم منها أننا نمن على الإخوة المسلمين أو أننا يد عليا فيها لذلك أقول إنها تعاون على البر والتقوى.

فنحن من أهدافنا أن ينهض الإخوة المسلمون وأن تقوم المؤسسات الإسلامية كالمساجد والمدارس في كل مكان والأخوة المسلمون الذين يبدأون بإقامة هذه المؤسسات هم في الحقيقة يكونون قد ساعدونا على تحقيق هذه الأهداف. ونحن إذ نقدم بعض المال أو التأييد المعنوي لهم على ذلك إنما نساعدهم على أهدافهم فالأمر كله لايخلو أن يكون فيه مساعدة متبادلة من الطرفين وليس من طرف واحد. ولذلك أفضل أن أسميه تعاونًا عملاً بلفظ الآية الكريمة (وتعاونوا

على البر والتقوى).

وقلت لهم إننا سندرس في الرابطة إمكانية المساهمة في بناء مسجدي بياوستوك ووارسو إذا كانت الجماعة قد حصلت على الأرض والترخيص وبدأت في بنائها وأشعرت الرابطة بعد ذلك بالمبلغ المتبقي لإكمال المشروع. أما مسجد غدانسك الذي في طور البناء فسينظر الوفد عند زيارته في مساعدته.

وبخصوص تعليم أبنائكم وتوعية المسلمين بتعاليم الدين الحنيف فالرابطة على استعداد لإرسال دعاة متفرغين لكم اثنين أو ثلاثة يعلمون أبناءكم في أيام العطل الأسبوعية ويقومون بإمامة المسلمين في المساجد وتوجيههم وإرشادهم وذلك إذا ساعد مجلس الاتحاد الديني الإسلامي في تأمين سمات الدخول والإقامة لهم في بولندا.

كما يسر الرابطة أن تقدم لكم ثلاثة منح دراسية لأبنائكم لدراسة العلوم الإسلامية والعربية في إحدى الجامعات الإسلامية في القاهرة وعمان وغيرهما تتحمل الرابطة جميع نفقاتهم الدراسية وإقامتهم وتذاكر سفرهم مدة الدراسة.



مناقشة الموضوعات الإسلامية

والرابطة تستضيف سنويًا عدداً من حجاج الدول الاشتراكية مثل الاتحاد السوفييتي، والصين الشعبية ورومانيا خلال موسم الحج واستضافتها تكون من وصولهم إلى جدة ثم مغادرتهم منها بعد الحج، أي يأتي الحجاج من بلادهم على نفقاتهم إلى جدة ومن ثم تتولى الرابطة بقية التكاليف في مكة المكرمة ومشاعر الحج والمدينة المنورة وحتى يغادر الحجاج من جدة إلى بلادهم ويمكن للرابطة أن تستضيف من المسلمين البولنديين الذي يرغبون أداء فريضة الحج بحد أقصى عشرة أشخاص في المرحلة الأولى. على أن يتم إشعار الرابطة بطلب الاستضافة في الحج قبل موسم الحج بثلاثة أو أربعة أشهر مع تحديد المدينة التي يتوقفون فيها لأخذ سمات الدخول من السفارة السعودية فيها.

وستعمل الرابطة على تزويدكم بالكتب الإسلامية اللازمة وبالمصاحف الكريمة وإذا وجدت كتب إسلامية باللغة البولندية فستساهم الرابطة معكم في طبعها هنا في بولندا توفيراً للجهد والمال وتعميمًا للفائدة.

وتوجد الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وهي هيئة عالمية تعتني بالشباب المسلم وتقيم مخيمات إسلامية في بعض دول العالم سنويًا وإذا كتب لنا رئيس جمعية الشباب المسلم البولندي فسنقدمه إلى الندوة مع توصية بالتعاون مع الجمعية.

ثم تحدث رئيس مجلس الاتحاد الديني الإسلامي عن زيارة سماحة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان واجتماعه بالمسلمين واطلاعه على أحوالهم ووعدهم بالمساعدة. فأجابه رئيس الوفد بأن سماحة المفتي عرض أحوالهم على الرابطة وجمعت لهم مساعدة مالية سلمت له شيكًا مقداره ٥٨ ألف دولار تقريبًا وأن سماحة المفتي الشيخ حسن خالد سيأتي إليهم - إن شاء الله - ويسلمهم المبلغ.

وبعد ذلك سأل رئيس مجلس الاتحاد الديني الإسلامي عن رأي وفد الرابطة في الأحمدية وأن المجلس رد مذكرة أحيلت إليه من وزارة شئون الأديان تقدم

إليها الأحمديون بتسجيل جماعتهم لديها قائلاً بأن الأحمديين غير مسلمين فهل كان عمله هذا صحيحًا ؟.

فشكره وفد الرابطة على صنيعه وقال بأن الأحمدية ليست من الإسلام في شيء، فهم ينكرون أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ويدعون بنبوة ميرزا غلام أحمد كما ينكرون مدلول آيات القرآن الكريم وغير ذلك من الأشياء التي تخرجهم من دائرة الإسلام وأن عدة جهات إسلامية مثل الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة وجامعة الأزهر ومجلس الفتوى في باكستان أصدرت فتاوى بتكفيرهم وأن الرابطة على استعداد لتزويدهم بتلك الفتاوى لزيادة الإيضاح ودعم موقفهم من تلك الفئة الضالة.

وكان بعد الكلمات نقاش طويل شارك فيه الجميع وبخاصة أن كل طرف كان يجهل أشياء كثيرة عن ظروف الطرف الآخر نتيجة للانقطاع الطويل في الاتصال مابين الإخوة المسلمين البولنديين وبين رابطة العالم الإسلامي.

حتى إنهم كانوا يقولون ويكررون القول بأن وفدنا ربما كان أول وفد في التاريخ يقدم من الأراضي المقدسة مهابط الوحي ومنطلق الدعوة الإسلامية إلى هذه البلدان البولندية.

ويذكر أنه حتى بالنسبة إلى الحج فلم يتيسر لأحد من الأخوة المسلمين البولنديين أن يؤدي فريضة الحج في السنين الأخيرة ولايذكرون أن أحداً منهم أدى فريضة الحج منذ أن نشبت الحرب العالمية الثانية.

وقد امتد الاجتماع إلى مابعد الساعة العاشرة ليلاً بقليل التي هي بالنسبة إليها هي الثانية عشرة والنصف بالنظر إلى توقيت البلاد التي قدمنا منها وهي الاتحاد السوفييتي.

وكان اجتماعًا مفيداً جيدا أكد ماشعرت به من أننا في الحقيقة كنا قد قصرنا بحق هؤلاء البولنديين وأنه كان يجب علينا أن نكون قد أرسلنا وفداً من

الرابطة إليهم قبل ذلك بزمن ليجتمع بهم ويتفقد شؤونهم ويقترح المساعدات اللازمة للنهوض بمايحتاجون إليه من مشروعات لاسيما مع كونهم يعيشون وسط تحدٍ مزدوج من حكم الشيوعية الملحدة ونفوذ الأكثرية الكاثولكية التي تتلقى الأموال وأنواع المساعدات الأخرى من المؤسسات والجماعات المسيحية في العالم وعلى رأسها (الفاتيكان) الذي يكفي أن نذكر لقوة نفوذه أن (بابا روما) الذي يرأس دولة الفاتيكان هو كاثوليكي بولندي.

وكان أكثر الحاضرين تعبا هو الأخ نجيب الصحراوي الذي كان يترجم من البولندية إلى العربية ومن العربية إلى البولندية فكان دائم الكلام على حين كان المتكلمون غيره يستريحون أثناء الترجمة.

وفي نهاية الاجتماع بدأ إمام من الإخوة أئمة المساجد في المنطقة بدعاء غلط فيه في مواضع كثيرة سواء في إخراج الكلمات أو في معانيها ولكن الجمع من الأخوة البولنديين من الحاضرين كانوا يتابعونه بالتأمين وهم لايعرفون معنى مايقوله ولم يجد من يصحح له غلطه، لأنه ربما لم يكن يجد من الإخوة المسلمين العرب من يستمع إليه.

الرعب النووي:

في العاشرة والنصف وبعد ربع ساعة من الاستراحة في الغرف عدنا إلى القاعة الخاصة في الفندق لتناول طعام العشاء مع عدد من كبار الإخوة المسلمين فكان موضوع الحديث الرئيسي ما جد في هذه الليلة من الفزع النووي الذي مصدره انتشاره الإشعاع الذري من محطة المفاعل النووي السوفييتي الذي كان قد انفجر يوم السبت الماضي في بلدة (تشيرنوبل) القريبة من مدينة كييف عاصمة جمهورية (أوكرانيا) السوفييتية.وهي جمهورية مجاورة لبولندا.

بل إن مدينة كييف التي لاتبعد عن المفاعل الذري الذي أصابه العطب إلا بمائة وثلاثين كيلومتراً لاتبعد عن مدينة بياوستوك - كما ذكروا لنا - إلا بمسافة مائتي كيلو متر.

وكان الاتحاد السوفييتي قد أعلن عن العطب الذي أصاب المفاعل الذري في (تشيرنوبل) يوم أمس الإثنين وقد سمعت ذلك من إذاعة موسكو العربية وأنا في مدينة موسكو نفسها ولكن الخبر الذي أذيع كان قد قلل من شأن العطب الذي أصاب المفاعل وقال إنه قد أمكن السيطرة عليه وإن بقية المفاعلات وهي ثلاثة قد أوقفت عن العمل وهي بحالة صالحة وذلك إلى حين يتم إصلاح المفاعل المعطوب نهائيًا.

وكنا في يوم السبت الماضي الذي وقع فيه انفجار المفاعل المذكور في مدينة (لينين قراد) وهي بعيدة عن بلدة (تشيرنوبل) التي فيها المفاعل الذري كما أنه لم يعلن عن أي شيء ولم يشعر به الناس. وسافرنا من مدينة (لينين قراد) في مساء الأحد بالقطار وقضينا الليل كله فيه ووصلنا إلى (موسكو) في صباح الإثنين وهي بعيدة عن موضع المفاعل الذري هذا الذي أصابه العطب بتسعمائة وسبعين كيلومتراً.

وإضافة إلى بعدها هذا عنه فإنه لم تبلغنا عنه أخبار توضح حجم الدمار

الذي أصابه ولاكيفية انتشار الغبار الذري وماقد يصيب من يتعرض له من أضرار طيلة يوم الإثنين وليلته وصباح الثلاثاء الذي سافرنا فيه إلى بولندا وهو صباح هذا اليوم.

وذلك شأن الحكومة السوفييتية في حجبها لكثير من الحقائق عن عيون الشعب بل الشعوب التي تقطن الاتحاد السوفييتي لأنه لايوجد في البلاد رأي عام قادر على لوم الحكومة فضلاً عن إسقاطها لكونها حجبت عنه بعض المعلومات كما يوجد مثل هذا الرأي العام المؤثر في البلدان الغربية الحرة.

غير أن الأمر في الإشعاع الذري مختلف عنه في أمور داخلية أخرى إذ لم يعترف هذا الإشعاع المنبعث من المحطة النووية السوفييتية بالحدود وإنما ألف سحابة من الإشعاع الذري ذكرت الإذاعات العالمية في هذا اليوم وكررت ذلك أنها قد مرت فوق بولندا وتجاوزتها لتمر فوق (فنلندا) ذات النظام الحر التي أعلنت عن قدوم هذه السحابة الخطرة من بولندا وأنها ذاهبة إلى السويد.

وقد حفز هذا الحكومة البولندية التي لم تعلن أول الأمر عن هذا الغبار الذري المدمر رغم كونه بدأ بها مقتدية في عدم المبالاة أو في محاولة كتمان الأمور الهامة بقدوتها الاشتراكية الكبرى (الاتحاد السوفييتي).

غير أن الأمر قد خرج عن نطاق السيطرة المحلية، وصعب كتمانه فأعلنت حكومة بولندا نفسها أن الإشعاع الذري قد انتشر في البلاد على هيئة سحابة ذرية يتساقط منها الغبار الذري وبخاصة في الجهة الشمالية الشرقية من بولندا وهي الأكثر قربًا من موقع المفاعل السوفييتي الذي أصابه الدمار في (تشيرنوبل) وهذه المنطقة هي التي نحن فيها الآن فعاصمتها هي مدينة (بياوستوك).

وقد أعلنت الحكومة البولندية للشعب أن مستوى الإشعاع في أجواء البلاد قد زاد خمسمائة مرة عن المعدل الطبيعي للإشعاع في الظروف المعتادة، وأن هذا

يقتضي المبادرة إلى تلقيح جميع الأطفال حتى سن السابعة دون تأخير. وأن تلقح النساء الحوامل أيضًا - وأن المستشفيات ستعيش حالة طوارئ لهذا الغرض فتفتح أبوابها طيلة الليل والنهار.

وقالت إنه يجب تجنب أكل الخضروات وشرب الألبان..

قالوا: أما البالغون فلاداعي لتحصينهم ضد الإشعاع في هذه المرحلة خاصة وذكروا أن الحكومة تقول إنها ستراقب مستوى الإشعاع في الجو وتتصرف على ضوء ماقد يطرأ عليه من زيادة أو نقص.

القرب أكثر من مصدر الخطر:

وتدارسنا أمر البرنامج الذي كان قد أقر من قبل للزيارة في هذه المنطقة التي تعد من مناطق سكن المسلمين في بولندا فعرفنا أن المقرر أن نتوجه بعد غد إلى قرى أقرب إلى موقع المفاعل النووي الذي تنبعث منه الإشعاعات النووية الخطرة من مدينة (بياوستوك) هذه بكثير إذ يقع على بعد كيلو متر واحد من حدود أوكرانيا التي هي حدود الاتحاد السوفييتي وفي الاتجاه الأقرب إلى موقع الخطر.

وهي تبعد عن مدينة بياوستوك هذه بسبعة وأربعين كيلو متراً.

وقد تشاورنا فيمابيننا في الذهاب إلى هناك مع مايعنيه ذلك من اقتراب من الخطر الذي جزعنا الآن من وصوله إلينا بل من وصولنا إليه من وارسو فكيف نذهب مختارين إلى موقع أكثر قربًا منه وقال أحد الإخوة من أعضاء الوفد: وإن الرسول ﷺ نهى عن القدوم إلى الوباء إذا ظهر في البلاد فقال: «إذا ظهر الوباء في بلد أنتم فيه فلاتخرجوا منه وإذا ظهر في بلد فلاتقدموا عليه» فكيف نقدم على هذا البلاء الذري الذي هو كالوباء سواء بسواء؟.

وكنا نتحدث فيمابيننا بالعربية التي لايفهمها إلا الأخ نجيب الصحراوي

فطرحنا عليهم فكرة العدول عن زيارة القرى الواقعة على حدود الاتحاد السوڤييتي التي هي أقرب إلى موقع انبعاث الإشعاع الذري فاستعظموا ذلك بل استفظعوه وقالوا إن المسلمين كانوا ينتظرون قدومكم منذ سنين وقد أبلغناهم بموعد وصولكم إليهم ففرحوا بذلك واستعدوا له فماذا يكون عليه حالهم إذا ألغيتم زيارتهم.

وبالنسبة إلى الإشعاع الذري قالوا: إننا وهم سنبقى هنا إلى آخر الدهر معرضين لذلك الإشعاع أما أنتم فإنكم ستبقون عندهم يومًا أو يومين ثم ترحلون.

ولم يكن بدمن الإستجابة لطلب المسلمين وليكن مايكون و(لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا) وتصورنا حالهم وحال غيرهم من المواطنين البولنديين في هذه البلاد التي بليت بالوباء العقدي الشيوعي. وابتليت بالغبار الذري المنبعث من مفاعل بناه من يسمونهم أصدقاءهم الاشتراكيين ولكنهم لم يدفعوا عنهم حتى شر هذا المفاعل فلم يخبروهم من أول الأمر بالخطر الذي داهمهم حتى يستعدوا له على الأقل. وليس بإمكانهم أن يهربوا من هذا الخطر بل ليس بإمكانهم حتى أن يخرجوا من المنطقة ليعيشوا في منطقة أخرى أكثر أمنًا حتى يزول الخطر.

وذلك لأن البلاد البولندية كلها تحت الخطر الذري الآن ولكن بعضها أقل خطراً من بعض ولأن الناس في البلدان الاشتراكية لايستطيعون أن يغادروا مقار أعمالهم ليعيشوا في غيرها فترة من الوقت يعملون أي عمل لأن الأعمال محددة وموزعة من قبل الحكومة وليس الفرد حراً في اختيار العمل الذي يريده في المكان الذي يهوى السكن فيه.

فأخبرنا الأخوة أننا سنمضي في تنفيذ البرنامج الموضوع لزيارتنا وسنزور كل المناطق حتى الأكثر قربًا من موقع الخطر.

مجد الأسلاف:

وقد أخبرتهم خلال العشاء عن تاريخ التتار الذين ينتمون إليهم وقبلهم البلغار المشهورون في التاريخ العربي القديم وأنهم أصحاب ماضٍ إسلامي عظيم ومجد عريق بحيث كانوا يحكمون الروس أنفسهم حتى إن إمارة موسكو كانت تدفع الإتاوة أو الجزية لحكومة التتار التي كانت تتخذ من مدينة قازان عاصمة لها.

وأن أسلافهم التتار كانوا من أشد الناس تمسكًا بدينهم ومحافظة على شخصيتهم المتميزة حتى إنهم رغم مضي أكثر من أربعمائة سنة على سقوط دولتهم على يد الروس الذين لايزالون يحكمونهم متمسكين بإسلامهم ومحافظين على لغتهم التتارية المميزة لهم.

ولقد عجبوا من هذه الأخبار التي لم يسمع بها أكثرهم وقال أحدهم: إذا يكون الروس بإيذاء أخوتنا المسلمين التتاريين الذي وقعوا في أيدي الروس بعد الحرب العالمية الثانية عندما ضمت روسيا إليها منطقة من بولندا يقطنها عدد من الأخوة المسلمين يكونون ينتقمون من أسلافهم في أشخاص هؤلاء المسلمين البولنديين المعاصرين فقد هدموا مساجدهم التي تبلغ العشرين كلها ولم يبقوا لهم مسجداً واحداً وحتى في هذا اليوم فإنه لايوجد في تلك المنطقة المتاخمة لمنطقتنا أي مسجد.

وكان بعض الأخوة قد استفتى وفدنا بشأنهم، فقال: إنه لا يوجد مسجد واحد لهم الآن وإنهم يصلون العيد في المقبرة لأنه لا توجد لهم أمكنة خاصة بهم فهل تجوز الصلاة في المقبرة فأخبرهم أنه لا يجوز وأن عليهم أن يبحثوا عن ميدان عام أو حديقة يؤدون فيها صلاة العيد.

كما أن عليهم أن يجتهدوا في بناء مسجد على الأقل يكفي للجمعة والعيد في إحدى القرى المتوسطة وأخبرتهم أن إخوانهم في الاتحاد السوفيتي حسبما

عرفت من حالهم وأنا حديث عهد بهم سوف يساعدونهم على بناء هذا المسجد.

أما أن يبقوا بدون مسجد واحد فإن هذا لاينبغي وهو يحقق مايريده أعداء الإسلام لهم من أن ينسوا دينهم بل أن ينسى نشؤهم الجديد حتى كونهم مسلمين لاقدر الله..

والملاحظ هنا أن الأخوة المسلمين التتاريين من أهل بولندا ومن أهل هذه المنطقة المجاورة لهم التي يسيطر عليها الروس الآن هم أقل اجتهاداً في بناء المساجد وفي المحافظة على وجودهم فإخوتهم في الاتحاد السوفييتي لايزالون يبنون المساجد ويتبرعون لها.

وقد أخبرنا الشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية للقسم الأوروبي وسيبيريا في الاتحاد السوفييتي أن الأخوة التتاريين يتبرعون للمشروعات الإسلامية وقال وهو يشير إلى رئيس الجمعية الإسلامية في مدينة (قازان) عاصمة جمهورية (تتارستان) السوفييتية: لقد أحضر لنا هذا العام خمسين ألف روبل تبرعا من المسلمين في منطقته للإدارة الدينية.

وهذا المبلغ يساوي بالصرف الرسمي حوالي سبعين ألف دولار أمريكي وهو مبلغ كبير بالنسبة إلى دخول الناس المحدودة في الاتحاد السوفييتي.

كما أن إخوتهم المسلمين التتاريين الذين هاجروا من المنطقة الروسية إلى فنلندا. واستقروا هناك قد تبرعوا فيمابينهم حتى بنوا بناء ضخمًا ذا طوابق متعددة في القلب التجاري من مدينة هلسنكي وبنوا فيه حوانيت ومكاتب للشركات يؤجرونها ويصرفون ريعها على مايحتاجون من أمور دينهم وقد جعلوا الطابق الخامس من البناء مسجداً وماتحته قاعة اجتماعات عامة للاحتفال في المناسبات الدينية مثل العيدين والإفطار في رمضان وحفلات الزواج وغير ذلك.

وكنت عـرضت عليـهم عندمـا زرتـهم في عـام ١٣٩٦هـ -١٩٧٦م، أى منذ عشـر سنوات أن أعـمل على إرسـال مـاقـد يحتـاجـونه من مـسـاعـدة مـاليـة لمشروعاتهم الإسلامية فذكروا أنهم لايحتاجون إلى مساعدة مالية من الخارج لأن لديهم مايكفي لذلك من تبرعاتهم الخاصة.

يوم الأربعاء ١٤٠٦/٨/٢١هـ - ١٩٨٦/٤/٣٠م.

صباح بياوستوك:

كان صباح مدينة بياوستوك هادئًا جميلاً أعقب نومًا عميقًا لم نذق مثله منذ أيام لازدحام البرنامج في رحلتنا في الاتحاد السوڤييتي.

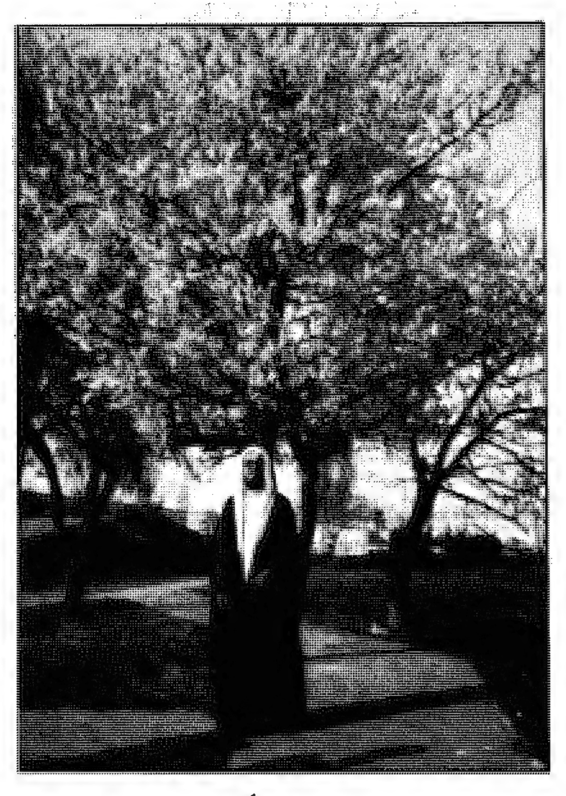
وكانت أول إطلالة من نافذة الفندق الهادئ (فندق لسني) أو فندق الغابة هو على حديقة له هادئة حديثة الإنشاء تسبح في ضوء الشمس الغامر الذي يبشر بيوم كيوم أمس مشرق دفيء، ورغم كونه يقع على شارع عام بل طريق عام هو الطريق الرئيسي الوحيد الممتد من (بياوستوك) إلى وارسو العاصمة فإن النوم فيه كان هادئًا. وذلك لكونهم جعلوا له مقدمة واسعة من فناء مكشوف شغلوا بعضه بحديقة ليس فيها أشجار وإنما هي الزهور والمزروعات الخضر القصيرة وبعضه بفناء جعلوه موقفًا للسيارات.

إضافة إلى القلة النسبية في السيارات بل القلة الحقيقية في عدد السيارات بالنسبة إلى عددها في البلدان الحرة كبلادنا.

وحتى الأشجار العالية التي يراها المرء في المنطقة المحيطة بالفندق وعدد منها في حديقة كانت موجودة قبل إنشائه قد خيل إليَّ أن خضرتها قد زادت عماهي عليه بالأمس وكأنها تسابق الزمن لأنها تعلم أن المدة التي تستطيع فيها الاخضرار في هذه البلاد الشمالية النائية هي محدودة الزمن معدودة الأيام.

وكل شيء من نوافذ الجناح الذي أسكن فيه هو جميل وإن لم يكن فخمًا وحتى القلائل من الناس الذين يراهم المرء هنا هم كسائر الناس نظيفو الثياب

والأجسام فلاتصطدم عينك بشيء قبيح.



في حديقة فندق الغابة

وإنما القبيح هو مايصطدم فيه فكرك من فكر شيوعي أفقر الغني ولم يغنِ الفقير وتسمع كل من تحدثه من أهل البلاد يشكو إليك من شر هذا النظام مر الشكوى ولكنه لايستطيع غير ذلك.

فهم يشكون تسلط الحكام الشيوعيين، ويشكون الوساطة والذلفى للمحسوبين على النظام الشيوعي الذين يستطيعون الحصول على مايريدونه دون غيرهم.

ثم إن الأدهى من ذلك هو أن اليأس قد ران على أفكار أكثرهم ففقدوا حتى

الأمل في التخلص القريب منه رغم كون عدد الشيوعيين ومؤيديهم إلى نقصان.

ولكن بعضهم قد اقتنع بوحي من الشيوعيين أن الاشتراكية ويريدون بها الشيوعية الحاكمة هي الوسيلة الوحيدة لحماية البلاد البولندية بل المحافظة على وجودها من هجمات الألمان وغيرهم من الجيران الأقوياء.

ويزعمون لهم رغم كون الجميع يكن الكره الشديد للروس ولكل ماهو روسي إن الروس هم الضمانة الوحيدة لبولندا والبولنديين دون أن تقع البلاد تحت حكم الألمان أو أن يقتطع الألمان منها قطعًا يضمونها إليهم كما فعلوا في الماضي.

وهذا مايضاعف الحزن والأسى في نفوسهم ويبعد الأمل في الخلاص القريب من تفكير العامة منهم.

الوباء الذري:

كان حديث الإذاعات التي استمعنا إليها البارحة وفي هذا الصباح عن هذا الوباء الذري المنبعث من المحطة الروسية المختلة أو لنقل الخربة في بلدة (تشيرنوبل) التي لاتبعد كثيراً عن المنطقة التي نحن فيها الآن.

وكان موعد الإفطار هذا اليوم متأخراً حسب موعد اخترناه وذلك لحاجتنا إلى النوم ولعدم وجود برنامج موعد عمل في أول هذ الصباح.

غير أن طعام الإفطار كاد يتحول إلى جلسة إنذار فقد جاء إلينا الأخ استيفان مصطفى موخارسكي أثناء تناول الإفطار وهو لايكاد يستطيع أن يفتح عينيه من السهر والإعياء وقال: إني طول الليلة البارحة كنت واقفًا في صف من صفوف الانتظار (طابور) طويل ومعي أولادي أريد تلقيحهم في المستشفى عن الإشعاع الذري الذين أكدت الحكومة البولندية نفسها الآن أنه ارتفع إلى مستوى عالٍ بل خطير وقال: إنه لم يصلني الدور إلا في الثالثة من قبل الفجر.

وكانت الإذاعات العربية التي استمعنا إليها في هذا الصباح كلها تذكر أخبار الاحتياط بل الإجراءات الفعلية التي اتخذتها بعض الدول البعيدة عن موقع الكارثة الروسية بالنسبة إلى بولندا مثل ألمانيا الغربية التي تفصلها عن بولندا ألمانيا الشرقية ومثل إيطاليا وكلها تعلن أن الغبار الذري قد انتشر في أجوائها ولوث خضرواتها بل سمم لبن أنعامها. وذكرت أنه ينذر بالخطر على صحة أفرادها.

فما بالك بنا نحن الذين نقيم الآن في أقرب نقطة من دولة أجنبية إلى بؤرة الوباء الذري وماقولك في كوننا سنسير غداً إلى نقطة أقرب ممانحن فيه الآن إلى تلك البؤرة الذرية بكثير؟.

وذكر الإخوة البولنديون أن التلفزة البولندية كانت الليلة البارحة تواصل التحذير الشديد من التهاون في تحصين الأطفال وقالوا: إن تلقيحهم ضد الإشعاع الذري الذي خيم على البلاد ضروري وكذلك تواصل التحذير من تناول الألبان ومن أكل الخضروات.

وقالت الحكومة البولندية ماقالته الأخبار الخارجية عنها من أن السحابة الذرية المنبعثة من المحطة الذرية الروسية المعطوبة قد خيمت على بولندا فترة ثم دارت حولها.

وقالت الإذاعة: إن من حسن حظ البلاد أن الجو صحو ولم تسقط أمطار وإلا لكانت سقطت مقادير إضافية من الإشعاع مع الأمطار فسممت المزروعات بل ربما سممت مصادر المياه التي من أهمها مياه الشرب علاوة على ماتساقط من الغبار الذري دون أمطار.

جولة في مدينة بياوستوك.

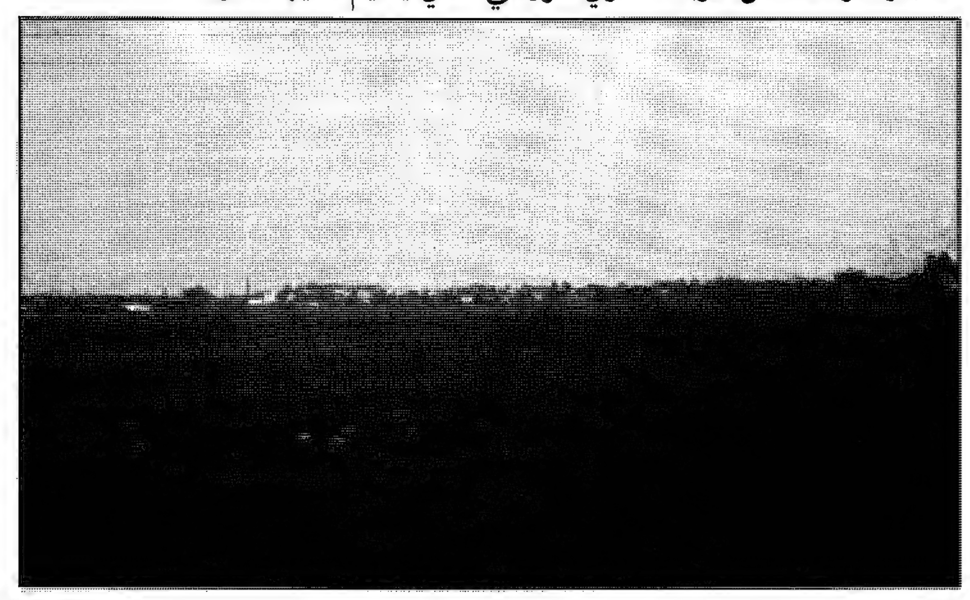
معنى اسمها (المنحدر الأبيض)، باللغة البولندية فبياو: أبيض وستوك:

منحدر مع أنه ليس فيها منحدرات حادة تستحق أن تسمى باسمها المدينة وأن ينوه بها. وإنما توجد فيها أماكن مرتفعة ارتفاعًا خفيفًا.

بدأت الجولة في العاشرة والنصف فغيرنا ملابسنا العربية إلى الزي العالمي المسمى بالإفرنجي لكوننا في جولة حرة غير رسمية.

وركبنا حافلتنا الصغيرة تاركين فندقنا (الغابي) الذي يقع إلى الغرب من المدينة ممايبعد عن قلبها بحوالي سبعة كيلومترات.

فكان منظر المدينة وضواحيها جميلاً يشعرك بالهدوء والراحة لولا هذه الأخبار المزعجة عن الوباء الذري الروسي الذي يخيم عليها الآن.

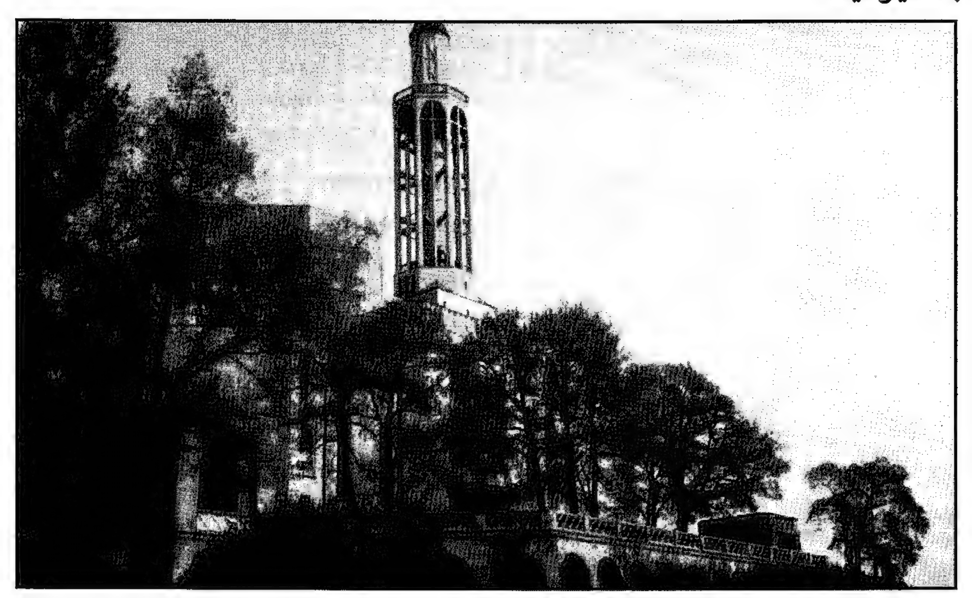


ظاهر بياوستوك

ذات الطراز الإسلامي:

قال الأخ مصطفى موخارسكي سأريكم الكنيسة ذات الطراز الإسلامي قال وهي مع ذلك أكبر كنيسة في مدينة (بياوستوك) وكان الطراز الإسلامي يتجلى

بالفعل في برجها الذي يشبه الصومعة التي هي المنارة الأندلسية التي لاتزال مستعملة في المغرب وبعض أقطار السودان الغربي في إفريقية الغربية والصومعة هي المئذنة المربعة التي تتألف من أقسام مكونة أعلاها أضيق من أسفلها كما يتجلى طابع البناء الإسلامي بشيء غريب أيضًا وهو أن بناة الكنيسة قد وضعوا تحت الصليب الذي يعلو برجها هلالا كالهلال الذي هو شعار الأبنية الإسلامية وتقع هذه الكنيسة على ربوة في قلب المدينة القديمة المهم، الذي لم يذهب به قدمه إلى الإهمال بل لايزال يتجدد لأنه لايوجد جديد يكون مثله فيحل محله كماهي الحال في أكثر المدن العريقة التي ابتليت بالشيوعية.



الكنيسة التي بنيت على الطراز العربي في بياوستوك

وقال الإخوة المسلمون البولنديون: إننا لاندري السبب الذي حمل بُناة الكنيسة هذه على إظهارها بهذا الشكل وربما كان ذلك للمراغمة أو لمجرد

التقليد لطراز عريق جميل من أطرزة البناء المشهورة.

في قلب المدينة:

وقلب المدينة هو التجاري المهم فيها ولكن التجارة فيها لاتعتبر تجارة بالمعنى المفهوم لذلك عند سائر الناس خارج العالم الشيوعي الذين قد يفهمون التجارة على أنها البيع والشراء والأخذ والعطاء ومايصحب ذلك أو يتبعه من ربح أو خسارة.



شارع رئيسي في بياوستوك

فالتجارة هنا مقتصرة على طرف واحد هو البائع وطرف ثانٍ هو المشتري ولا أحد غير ذلك فالأول هو الحكومة وهي وحدها البائع الذي يربح من البيع والثاني هو عامة الشعب وهو وحده الذي يدفع المال للبائع.

ولذلك تنعدم روح المنافسة في تقديم الأحسن من البضائع وإنما عليك إذا أردت أن تشتري شيئًا أن تبحث عن الأقرب منه إلى ذوقك فتشتريه ولاسبيل

إلى أن تجد ماتريده بالضبط إذا لم يكن متيسراً في محل أو محلات متعددة لأن البضائع كله مقدمة من الحكومة وهي تقدر أسعارها وتضمن ذلك ماتربحه من بيعها.

ويجد المرء طوائف من الناس يدخلون المحلات التجارية يشترون منها مايحتاجونه أو يشترون مايكون أقرب إلى مايريدونه إذا لم يجدوا مايريدونه.

أما شوارع هذا القلب التجاري للمدينة فإنها جيدة وبعضها مزفلت وبعضها مرصوف بحجارة صغيرة كالتي تكون في أزقة المدينة العريقة كالقاهرة ودمشق وروما.

لمن يعزفون؟

غداً الخميس يحل عيد العمال الذي اعتبره الشيوعيون أهم عيد عندهم وهو اليوم الأول من شهر مايو من كل عام.

وقد رأينا البولنديين الذين يحكمهم حزب عمال أو مجموعة أهم من فيها العمال كمايزعمون قد استعدوا لهذا اليوم بأن نصبوا مظاهر الزينة التي أهمها تعليق مئات الأعلام الوطنية البولندية وأعلام الحزب الحاكم.

هذا في كل مكان رأيناه. ورأيناهم اليوم قد أضافوا شيئًا عملوه في مدينة (بياوستوك) لم نره أو على الأدق لم نسمعه في مدينة وارسو أمس.

وهو أنهم نصبوا مكبرات للصوت في الشوارع الرئيسية من قلب المدينة وأخذوا يذيعون منها الموسيقى تعزف ألحانًا رقيقة وأحيانًا ألحانًا حماسية.

وتساءلت في نفسي قائلاً: لمن يعزفون؟ أللشعب الذي ترفض أكثريته حسب اعترافهم الحكومي الرسمي الشيوعية ونظامها الذي يسمونه اشتراكيًا؟.

أم للناس في هذه الأيام بالذات التي يخيم فيها الوباء الذري القادم من الجار الاشتراكي الكبير: (روسيا)؟.



في شارع رئيسي في بياوستوك مع الأخ مصطفى موخارسكي

ورأيت بعض الأمهات في الشوارع ومعهن أطفالهن والخطر الذري الذي يسببه هذا الوباء المنتشر يحوم فوق رؤوسهم فلا يستطعن له رداً.

وماذا عن النساء؟

خرج أهل المدينة هذا اليوم إلى الشوارع بكثرة وبخاصة ربات البيوت من النساء بمناسبة الحديث عنهن ونحن نراهن الآن من كافة الأعمار ولانقول الطبقات لأن الناس وبخاصة النساء هن قد أصبحن كلهن طبقة واحدة تحت الحكم الاشتراكي.

فيتبادر إلى الذهن السؤال عن حظهن مثلاً من الجمال، وقد يشمل السؤال أيضًا ماهن عليه من الجمال في الملبس وفي القدرة على التجمل والتزين.

والجواب السريع لهذا السؤال الذي يكتنفه الإجمال أنهن على غاية من

الجمال فهن من الجنس السلافي الذي يسميه أسلافنا العرب بالجنس الصقلبي، وطالما تذكرت ماذكره مؤرخونا عن أسلافنا من اتخاذهم الجواري الصقلبيات ومغالاتهم في أثمانهن وتفضيلهم لهن على الجواري الروميات مثلاً وعندما رأيتهن هذا اليوم تذكرت ذلك كما كنت تذكرته عندما زرت يوغسلافيا ورأيت السلافيات. أو الصقلبيات هناك.

والغريب في الأمر أنه إلى جمال التقاطيع في وجوههن والنضارة أو اللون الوردي الذي يميل إلى اللون الذهبي في سحنهن إن لم يكن ذلك اللون الذهبي منعكساً على وجوههن من شعورهن التي هي جميلة بل رائعة الجمال كوجوههن فإن قاماتهن مديدة وقوامهن يميل إلى الرشاقة في الأغلب الأعم من حالهن.

حتى إن المرء لايكاد يرى الغليظات الأجسام اللائي يراهن في البلاد الروسية على سبيل المثال. ولايرى المرء مايكدر جمالهن إلا شيئًا يراه في وجههن وعلى مظاهرهن بعد التأمل وهو أن بعضهن تنقصهن النضارة التي يسببها ترف المعيشة والوفرة المنتقاة في الغذاء الذي لابد أن تكون قد اكتملت فيه العناصر التي لاتكون مكتملة إلا إذا اشتمل الغذاء على الفاكهة، فالفاكهة هنا عسيرة المنال عليهن مثل بقية الشعب البولندي تحت الحكم الشيوعي.

فيخيل إليّ أن بعضهن لايجد غذاء كاملاً مناسبًا للجسم في هذا الجو البارد بل الثالج في أغلب أيامه.

على أنه لاينبغي أن يفهم من ذلك أن المرء يرى عليهن مظاهر الهزال أو سوء الحال فهذا ليس مقصوداً لأنه ليس موجوداً هنا.

والقوم عندهم وفرة في الألبان والأجبان وعندهم مقادير جيدة من اللحوم، وعندهم الطقس البارد ووقوع البلاد بعيداً عن الأشعة الشمسية الاستوائية أو القريبة من الاستوائية التي تشوه الألوان قد جعل ألوانهن صافية وبشراتهن نقية ومناظرهن طلية. والله أعلم بالأمور الخفية.

أمثلة من أسعارهم:

دخلنا متجراً آخر في قلب المدينة وهو كبير واسع مؤلف من بناء في طابقين، ليس فيهما مصاعد كما هي عليه الحال في أكثر الأبنية في الاتحاد السوفييتي وبولندا إلا مازاد على أربعة طوابق ونحو ذلك، فاشترينا حقائب جلدية صغيرة بثمن رخيص جداً هو مايساوي بالصرف الحر أي بالسوق السوداء اثني عشر دولاراً وذلك أن الجلود من بلادهم والصناعة بأيدي عمالهم الذين يعملون بأجور رخيصة.

والأرخص من ذلك بل البالغ في الرخص هو ثمن الملابس ومن ذلك أن القوم اشتروا بدلات - جمع بدلة - الواحدة منها مؤلفة من صدري (جاكيت) وسروال (بنطلون) من جنس واحد بمتوسط قدره ثمانية دولارات بالصرف الحر وجدناها جاهزة فأمعن الرفاق فيها شراء.

ولكن الأغرب من ذلك أنهم أصلحوها بمعنى قصروا بعضها أو ضيقوه بمايقرب من ثلاثة أرباع الثمن عند خياط طلب الأجر بالدولار وأعطوه ذلك من أجل السرعة في العمل. وليست من القماش الجيد.

وتجولت في عدد من الحوانيت فرأيت واحداً صغيراً يبيع الفاكهة وقد كتبوا على كل شيء فيه سعره بالأرقام العربية التي نسميها نحن بالإفرنجية وهي واضحة لايستعمل غيرها حتى في البلدان ذات اللغات التي تكتب بغير الحروف اللاتينية مثل الصينية والتايلندية وكذلك الروسية التي تكتب بالحروف السيريلية.

ورأيت في أسعار هذه الفواكه العجب بالنسبة إلى مانعرفه عن أسعارها في بلادنا.

فمثلاً البرتقال كتبوا عليه قيمة الكيلو منه ألف وثلاثمائة (زولوتي). وهذا يساوي بالصرف الرسمي ثمانية دولارات أمريكية وبالصرف الحر دولارين،

ووجه الغرابة أن التفاح وكان معروضًا بجانبه كتب عليه قيمته مائة وعشرة (زولوتيات). وهذا يساوي بالصرف غير الرسمي دولاراً إلاَّ ربعًا وبالصرف الرسمي خمس دولار أو ٢٠٪ من الدولار كما صار يعبر عند بعض العوام من الكتَّاب.

ووجه الغرابة أن يكون البرتقال أغلى من التفاح بعشرة أضعاف بمعنى أن قيمة الكيلو من البرتقال تساوي عشرة (كيلات) من التفاح.

والسبب في ذلك أن البرتقال مستورد من الخارج بالعملة الأجنبية الغالية، أما التفاح فإنما تنتجه بلادهم.

ومن الأشياء التي تلفت النظر سعر الطماطم فقد كتبوه ثمانمائة (زلوتي) للكيلو، وهذا غالٍ جداً لأن الوقت الآن يعتبر شتاء بالنسبة لإنتاجه وقد تعبوا عليه وأنتبوه تحت الحظائر البلاستيكية المسماة بالبيوت الزجاجية وخسروا عليه بالتدفئة لذلك صار غالي التكاليف على قلته.

وقد أخبرنا الإخوة أن سعره بعد شهرين من الآن أي بعدما ينضج المزروع منه زراعة معتادة ينزل إلى أقل من سعره هذا بعشرين ضعفًا.

والخيار هنا الكيلو بأربعمائة وأربعين (زولوتيا) والبقدونس الصرة الصغيرة التي تباع في بلادنا بريال كتبوا سعرها عليها أربعمائة زولوتيا وهو كذلك يرخص في فصل الصيف.

ومن الملاحظات في هذه الجولة أن القوم مؤدبون مع الغرباء ومع بعضهم بعضًا وهم أيضًا غير فضوليين والسيارات الخاصة في بلادهم كثيرة ولذلك تمتلىء المواقف المعدة على جانبي الشارع في قلب المدينة بالسيارات.

ولكن مظاهر الحاجة بادية عليهم إلا أن ثيابهم وملابسهم وأبدانهم نظيفة ولاتجد فيهم من هو متسخ الثوب بل لاتجد فيهم من ليس بأنيق الثوب سواء من الكبار أو الصغار فنظافة الثياب إلى جانب كيها وجمالها الظاهر هو الطابع الذي لا طابع غيره عندهم.

إلى مسجد بياوستوك:



مسجد بياوستوك

عند الواحدة ظهراً خلعنا الملابس العالمية (الإفرنجية) ولبسنا الملابس العربية لأننا سوف نذهب إلى مسجد (بياوستوك) فجعل سائق الحافلة التي نركبها ينظر إلينا بعجب واستغراب وبخاصة أننا لبسنا العبي - جمع عباءة - وقال للأخوة المرافقين وهو لايعرف إلا البولندية: إنه لم ير لباساً عربياً في حياته، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تكلم فيها بشأننا فقد كان صامتاً صموت الكراسي التي نجلس عليها في سيارته - وربما صارت هذه هي الأخيرة أيضاً.

إلا أنني سألته عن اسمه وعن مدينته في بولندا فقال: اسمي (كاياك اندري) وقال (كاياك) تقرأ من اليسار إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار من دون تغيير.

يريد أنها مثل كلمة (ليبيا) بالعربية إذا قرأتها من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين لو فرض أنك قطعت حروفها وجعلتها صفا كالحروف اللاتينية لم يتغير النطق بها.

تركنا فندقنا (فندق لسني) قاصدين مسجد بياوستوك، وكانوا قالوا لنا: إن فيها مسجدين ولكننا لم نر إلا واحداً فسلكنا شوارع جيدة بل جميلة، على جوانبها أبنية سكنية متعددة الطوابق (عمارات) بهيجة المنظر ومررنا بعدة دوارات وهي الأماكن المستديرة في مفارق الشوارع المتعددة الاتجاه ولكنها مليئة بالزهور والأعشاب الخضراء الجميلة.

وكثرة هذه الدوارات تدل على قلة الجسور في المدينة، بل إننا لم نر في مدينة (بياوستوك) هذه أي جسر.

والجميل في الأمر - أيضًا - عندنا وعندهم هذه الشمس الساطعة والجو الدافئ المريح الذي لم نتوقعه في هذه البلاد الشمالية الباردة في مثل هذا الفصل من السنة وهم كذلك لم يكونوا يتوقعونه كما أخبرونا وقد أعربوا عدة مرات في عدة مناسبات عن سرورهم بقدومنا الذي جاء معه الدفء والشمس الساطعة ومعنى ذلك هو الربيع وبهجته وزهوره وازدهار الخضروات فيه.



ساحة في بياوستوك

وكلما أمعنا في شوارع المدينة اتضحت لنا سعة شوارعها وجمال تخطيطها.

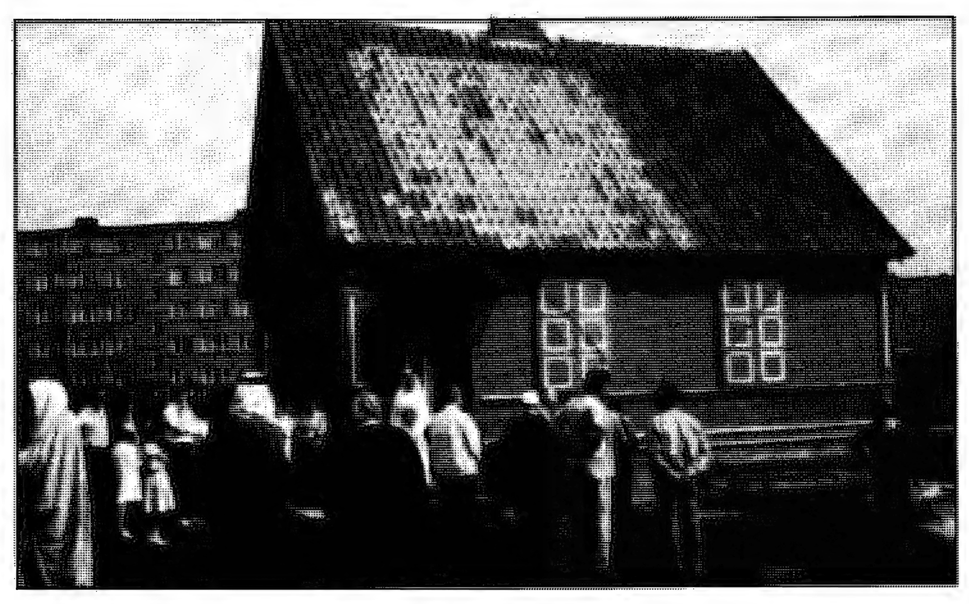
ومررنا بضاحية من ضواحي المدينة قليلة المنازل، جميلة المناظر، منبسطة

فأوقفنا الأخوة فيها على أرض واسعة ينوون أن يبنوا عليه جامع (بياوستوك) الذي يحلمون بإنشائه وقالوا: إن الحكومة لاتبيع الأراضي بيعًا جازمًا، وإنما تبيعها مؤقتًا إلى سنوات معدودة هي تسع وتسعون سنة وإلا فهي تبيع الأرض بثمن رخيص إذا كانت لمؤسسة عامة كالمسجد.

قالوا: ولكننا وجدنا منطقة فيها بيوت ريفية كالأكواخ متجاورة نستطيع أن نشتري منها مايكفي لأرض المسجد إلا أنه أعلى من سعر الحكومة ولكن الأرض تكون مملوكة ملكًا باتًا دائمًا للمسجد.

قال الأخ استيفان مصطفى موخارسكي رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي لقد جمعنا حوالي ثلاثة آلاف دولار من تبرعات المسلمين هنا ويحتاج ثمن الأرض على أقل تقدير إلى اثني عشر ألف دولار فقلت له إننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون بهذا المبلغ إذا اشتريتم هذه الأرض أو مثلها للمسجد ومستعدون أيضًا بإرسال مبلغ آخر لكم إذا بدأتم العمارة. فشكروا ذلك وأعظموه.

مسجد بياوستوك:



عند الدخول إلى مسجد بياوستوك

لم نكن نتخيل أن المسجد بهذه البساطة من العمارة ولابهذه المساحة من الصغر لأننا ألفيناه بناء خشبيًا صغيراً على هيئة منزل معتاد ذي سقف مسنم يدخل إليه من درج خشبي قصير.

وطول المسجد عشرة أمتار وعرضه مثلها فتكون مساحته مائة متر مربع ويتألف من غرفتين متجاورتين خصصوا إحداهما للرجال والأخرى بجانبها يصلي فيها النساء، وعجبنا لصغره أو لعجز هؤلاء الأخوة عن تعمير ماهو أكبر منه لأنه واقع في فناء مكشوف مسور بسور من الأعواد لابأس بسعته فتخيلنا أنه كان بإمكانهم أن يبنوا في هذه المساحة مسجداً أكبر ولكن عجبنا زال وحزننا زاد عندما سألناهم عن تاريخ بناء هذا المسجد فأخبرونا أنه بيت قديم مبنى على الطريق التقليدي للبيوت الخشبية التقليدية في بولندا ولذلك اعتبرته الحكومة البولندية أثراً من الآثار العريقة التي لايجوز أن يتصرف فيها الأفراد فأعطونا إياه لنتخذه مسجداً مادمنا في حاجة إليه.

وجدنا في الاستقبال عند المسجد طائفة من الإخوة المسلمين من رجال ونساء مسنات على رأسهم الإمام علي خالد فسكي إمام هذا المسجد وكذلك الرجال كلهم مسنون ماعدا اثنين.

فقه عظيم!

بعد السلام والاستقبال المليء بالعواطف المهتاجة تقدم الإمام علي خالد الذي ربما كانوا يعتبرونه أكثرهم فقهًا فقال: نحن سنصلي الظهر عشر ركعات أربع سنة قبل الفرض وأربع فرض واثنتين سنة بعدها.



في مسجد بياوستوك

فقلت له: إن الفرض هو أربع ركعات والبقية سنة بمعنى أنه لاينبغي المداومة عليها واعتبارها جزءاً من صلاة الظهر فهذا إضافة إلى كونه يثقل على الناس وبخاصة من الشبان الذين يريدون أداء الصلاة المفروضة وحدها فإنه يوهم الزيادة على الصلاة المفروضة بشيء لم يأذن به الله.

والأغرب من ذلك أنهم استعدوا لصلاة السنة الأربع كما قالوا فتقدم الإمام إلى المحراب واصطف خلفه المأمومون من الرجال واصطفت النساء خلف الجميع وعرفنا أنهم سيصلون هذه السنة الرباعية كما يقولون جماعة فأفهمناهم أننا وقد دخلنا المسجد الآن سنصلي تحية المسجد ركعتين وننوي أيضًا السنة قبل صلاة الظهر لذلك لن نصلي معهم وتقدم الإمام وقد لبس زيًا مهيبًا ووضع فوق رأسه طربوشًا أدار عليه عمامة خفيفة وكانت المفاجأة لنا أن شرع بالقراءة ونحن في الظهر والصلاة سنة.

وكانت المفاجأة الثانية التي أنست الأولى لأنها أغرب منها أنه صلى بالقوم إمامًا صلاة السنة وهي أربع ركعات يجهر فيها كلها بالفاتحة وسورة قصيرة بعدها أو آيات قرآنية ويجهر بالقراءة حتى في الركعتين الأخيرتين.

فهو إذا صلى بهم كما نصلي نحن جماعة صلاة العشاء إلا أنه صار يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين ويقرأ بعد الفاتحة بعض الآيات أيضًا وذلك خلاف السنة المتبعة في الصلاة الجهرية.

وكل هذا كان في السنة قبل صلاة الظهر.

وقد ذكرت قول هذا الأخ الإمام نفسه من قبل: إننا قد أخذنا الدين الإسلامي تلقينًا عن أبنائنا وآباؤنا كانوا قد أخذوه عن آبائهم فإن لاحظتم شيئًا علينا فأرجو أن تنبهونا إليه، لأنه ليس عندنا من علماء الدين من ينبهوننا إلى ذلك، وقد نبهت الإمام إلى السنة في هذا الموضوع ولكنه لم يقتنع لأول وهلة، ومع غرابة هذا الذي ذكرته فإن طريقة القراءة والدعاء الطويل بعد الصلاة بل المراسم الطويلة التي تشمل الدعاء الجماعي والانفرادي ثم قراءة القرآن كانت أغرب وأعجب وتبين كيف يفعل الجهل وانقطاع العلم، وفقدان العلماء بالدين.

ونحن عندما نذكر هذا لانلقي اللوم على هؤلاء الإخوة الكرام الذين صبروا وصابروا في التمسك بدينهم على مدى قرون من التعصب المسيحي تلتها الشيوعية الملحدة التي رانت على البلاد وبخاصة في أول عهدها وإبان طغيانها المادي الملحد وإنما نذكر ذلك لبيان الواقع الذي شاهدناه.

وإذا كان لابد من لوم في هذه المناسبة فليكن اللوم موجهًا إلينا نحن القادرين في البلدان الإسلامية على أن نمدهم بمايحتاجون إليه من أسباب المعرفة الدينية ولكننا لم نفعل.

وبعد أن انتهوا من هذه السنة الرباعية الجهرية في الظهر، وكنا قد انتهينا قبلهم من تأدية تحية المسجد ركعتين ألقيت فيهم كلمة أوضحت فيها السنة الصحيحة في هذا الأمر وأنه لاينبغي تأدية السنة جماعة كما تؤدى الفريضة كما أن السنة عدم الجهر بالقراءة فيها.

فرد الإمام علي خالد على ذلك بقوله «إنني أجهر بالقراءة لكي يتعلم المصلون مني كيفية قراءة الفاتحة ومابعدها من السور لأنهم لايحسنون ذلك، فشكرته على حسن قصده وقلت له: إن الأولى أن يتعلموا ذلك خارج الصلاة فالفاتحة ليست صعبة التعلم على من يريد تعلمها وهي التي تجب قراءتها في الصلاة ولاتسقط قراءتها إلا عن المأموم مع أفضلية قراءتها في سكنات الإمام وعمن لايستطيع قراءتها بحيث جرب ذلك وعجز عنه فلايكلف الله نفساً إلا وسعها، وأما غيرها من السور فإن تعلمها مطلوب وهو سهل وبخاصة قصار السور في آخر المصحف.

صلاة الظهر:

أخذ المؤذن ينادي للصلاة بآذان صحيح لانقص فيه ولازيادة وبصوت رخيم حزين، بل إنه كالنوح وتخيلته النوح على حالة المسلمين التي تركوا فيها إخوانهم في الدين كالمساكين في ديار المحرومين.

وبعد أن أنهى الأذان أقام للصلاة إقامة لاتختلف عماسبقها في الغرابة إذ ابتدأ بقوله: قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة: الله أكبر الله أكبر لاإله إلا الله. ولم يتكلم بأول الإقامة.

وقد طلبوا مني أن أومهم في صلاة الظهر فامتنعت عن ذلك بغية الاطلاع على كيفية أداء صلاة الفريضة عندهم حتى أوضح لهم بعد ذلك ماأراهم بحاجة

إلى أن يوضح لهم. ولو كنت صليت فيهم بخلاف مايعرفون ربما كان ذلك مدعاة لنفورهم شأن من يجابه مجابهة صريحة ومباشرة بخلاف ماكان قد نشأ هو وآباؤه عليه فإن ذلك يولد في نفسه رد فعل من عدم الاستجابة.

وقد امتنعت تقديراً للإمام ومن أجل أن نرى كيف يؤدون صلاتهم فكانت المفاجأة أنه لم يستجب لنصيحتي وجهر بالقراءة في ركعات الصلاة الأربع كلها حتى الركعتين الأخيرتين من صلاة الظهر قرأ فيهما جهراً سورة قصيرة بعد الفاتحة.

وكان مع ذلك يجهر بالتسبيح في الركعات والسجدات وبدعاء التشهد.

وكانت صلاته إلى ذلك معتدلة فالقوم حنفية ومعروف عن الحنفية أنهم لايرون أن الطمأنينة في الصلاة ركن كما هو عندنا لذلك تجدهم يسرعون في أداء الصلاة.

ولكن الطمأنينة بل التطويل فيها جاء بعد الصلاة إذ بدأ الإمام الدعاء جهراً ثم بدأ بالتسبيح والتحميد أيضًا جهراً والقوم يتابعونه كل ذلك في طول ظاهر ثم تلا آيات من القرآن الكريم قال بعدها: سبحان ربك رب العزة عمايصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان المصلون يتابعونه على ذلك بصوت جماعي منغم.

ثم تلا دعاء باللغة العربية كان يقرأه من كتاب معه مطبوع ثم عاد مرة ثانية إلى الدعاء وفي الأخير تلا سورة الفاتحة بنطق يعسر عليه فقد كان يصعب عليه النطق بالحروف الحلقية كما كانت تصعب عليه قراءة بعض الجمل ولكنه يستعين على قراءتها بكتاب معه.

وقد استغرقت المراسم الدعائية هذه وقتًا أطول من وقت الصلاة بكثير بيد أن

أكثرهم لايفهم ماتلاه الإمام منها إذ أكثرها بالعربية التي لايفهم الإمام معناها ولايحسن النطق بها نطقًا صحيحًا فكيف بالآخرين؟.

لذلك نهضت بعد الصلاة فألقيت فيهم كلمة ترجمها إلى البولندية الأخ نجيب الصحراوي قلت فيها من بين ماقلته:

جئنا إليكم من جوار الحرمين الشريفين نحمل إليكم تحيات وسلام إخوانكم في الدين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.. ومن إخوانكم المسلمين في العالم الذين يمثلهم مندوبون لهم في مجالس الرابطة ونزوركم كما نزور إخوانكم المسلمين في البلدان الإسلامية ولكن نزوركم أيضًا لنهنئكم على أنكم حافظتم على دينكم منذ ستمائة عام ممايدل على تمسككم بالدين عبر هذه القرون الطويلة.

ولقد بدأنا بزيارة هذه البلاد بعهد جديد في التعاون بين الرابطة والجماعات الإسلامية لخدمة المسلمين والتعاون الذي نريده بين الرابطة والجماعات المسلمة لن يكون موجهًا ضد غير المسلمين وإنما القصد التعاون لصالح المسلمين وفيه منفعة للجميع يقول الله عز وجل ﴿إنما المومنون إخوة﴾ والأخوة الإسلامية تقتضي التعاون وأول مايبدأ به التعاون هو الالتقاء والتعارف ثم العمل المشترك ونرجو من خلال التعاون بين الجماعات الإسلامية في بلادكم والرابطة العمل لصالح الإسلام في مجتمعكم.

ولقد سمعنا من بعض الإخوة البارحة خوفهم على أبنائهم بل جيلهم هم أيضًا إذا مات الإمام بعد عمر طويل وهو قد تجاوز الستين وهذا القول صحيح ويجب العمل السريع لتعليم الأبناء أحكام وتعاليم الإسلام.

وفي حديثنا مع بعض المسلمين مساء أمس عرضنا عليهم مساعدة الرابطة

في الأمور التالية التي يمكن إنفاذها فوراً:

(١) تخصيص ثلاثة منح دراسية لأبناء المسلمين البولنديين لدراسة العلوم الإسلامية في إحدى الجامعات الإسلامية.

(٢) تعيين داعية أو إرساله إليكم حتى يوجد شخص متفرغ يقوم بإمامة المسلمين وارشادهم وتوعيتهم ويتولى تعليم الأطفال القرآن الكريم وأحكام الدين.

(٣) المساعدة العاجلة على بناء المسجد وأول ذلك شراء أراضٍ كافية له.

وأما بقية أوجه التعاون فإنها متروكة حسب احتياجاتكم وإمكانات الرابطة التي تتلقى آلاف الطلبات من مختلف أنحاء العالم.

ثم وجهت كلامي للإمام بأن السنة في صلاتي الظهر والعصر هو ألا يجهر الإمام بالقراءة فيهما بل يقرأ الفاتحة وغيرها من الآيات والتسبيح والتشهد ماعدا التكبيرات سراً والأفضل اتباع السنة وإنني أقول لكم هذا علناً لأن الإمام طلب منا في حديثه مساء أمس أن نرشدهم إلى أخطائهم.

وقد لاحظ الجميع أن عدد الحاضرين للصلاة لم يكن بالكثرة المتوقعة فاعتذر الأخ مصطفى موخارسكي رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي بقوله إن مسجدنا صغير وإن المسلمين مشغولون في هذه الساعة بأعمالهم لأن اليوم هو يوم عمل يسبق يوم العطلة غداً.

كما قال: إنه من العادة أن يحضر الاجتماعات الإسلامية أعداد كبيرة من الأخوات المسلمات غير أن أكثرهن اليوم مشغولات في المستشفيات ذهبن إليها لتلقيح أولادهن ضد الإشعاع الذري الناتج عن حادث المفاعل النووي

السوفييتي في بلدة تشيرنوبل القريبة من هذه المنطقة والأطفال الذين لقحوا في الليلة البارحة هم في المدارس الآن، ونرجو أن يكون عدد الحاضرين أكبر عندما يحين موعد اللقاء بالمسلمين في الخامسة من عصر هذا اليوم.

وقد علقت على اعتذاره بصغر المسجد بأن مسجد الرسول ﷺ كان في أول مقدمه المدينة من سعف النخيل ثم بناه ووسعه ﷺ بعد ذلك بالطين والأخشاب، ونرجو أن تتمكنوا من بناء مسجد واسع لائق بماضي المسلمين التاريخي العريق في هذه البلاد ونحن في رابطة العالم الإسلامي سوف نسهم معكم في تشييد المسجد بإذن الله.

الاحتفال بالذبيحة:

التقطنا صوراً تذكارية عند باب المسجد مع الإخوة المسلمين ثم طلبوا منا بعدها أن نقف عند خروف سيذبحونه احتفالاً بقدومنا إلى بلادهم وقالوا: إن هذه عادة قديمة عندهم أن يكرموا الضيوف المحتفى بهم بذبح ذبيحة.

فذبحوا خروفًا مسكينًا في ناحية من فناء المسجد الذي كان محاطًا بسور من الأعواد المهذبة وذلك على مشهد من المسلمين الذين كان عددهم قد زاد من رجال ونساء وأطفال.

وسألت أحد الإخوة عمايفعلون بالخروف بعد الذبح لأن موعد الغداء قد فات فأجاب: إنهم يفرقون لحمه على بيوت المسلمين وإن ذبحه إنما هو لمجرد التعبير عن إكرام الضيف والاحتفاء به.

ومن الطريف أن الإمام أظهر كتابًا معه مكتوبًا بالعربية مترجمة إلى البولندية وأخذ يبحث عن العبارة التي تقال عند الذبح وهي بسم الله والله أكبر يرينا إياها بالعربية ثم ينطق بها بصعوبة يلقنها ذابح الخروف، لأنه هو نفسه -

أي الإمام - لم يكن يحفظها.



الذبيحة احتفاء بقدوم الوفد

غداء ودواء:

غادرنا المسجد مشيًا على الأقدام إلى بناء ليس فيه مصعد مؤلف من عدة طوابق (عمارة) وذلك لتناول الغداء في منزل أخينا (علي بازارافيتش) غير البعيد عن المسجد إذ تفصل بينهما مسافة مكشوفة فيها أشجار من أشجار الفاكهة لم تكتمل أوراقها اكتمالاً تامًا بعد موت في الشتاء طويل.

فوجدنا البيت شقة حكومية ضيقة بل بالغة الضيق بقياس مااعتدنا عليه من المنازل في بلادنا فهي مؤلفة من ثلاث غرف صغيرة وأثاثها من الكراسي والخزائن الخشبية قد زاد الغرف ضيقًا وتؤجرها الدولة على المواطنين بأجر رخيص ولايخرج منها ساكنها في العادة لأنه لايستطيع أن يبني له بيتًا خاصًا

به لذلك يعتبرها بمثابة الملك له إلا أنه لايستطيع بيعها بطبيعة الحال.

والمشكل العظيم الآن في بولندا أن طالب المنزل وليكن شقة مثل هذه عليه أن ينتظر دوره بمعنى أن تبني الدولة منازل تسلمها لمن تقدموا بالحجز وذلك لمدة قد تصل إلى خمسة عشر عامًا كما أخبرونا إذا ماأراد استئجار المنزل بالطريقة الحكومية المألوفة التي منها أن يكون الاستئجار بالعملة البولندية المحلية أما إذا كان يستطيع الحصول على نقود أجنبية قابلة للتحويل فإنه يستطيع الحصول في الحال على المنزل الذي يريده ولاتسأله الدولة عن المصدر الذي أحضر منه النقود الأجنبية وذلك لأن الجميع يتاجرون بها والدولة حريصة على أن يكفي من يستطيع من المواطنين نفسه ولكن أولئك هم القليل بل هم الأقلون الذين يكونون من ذوي الحظ العظيم الذين يعملون في الخارج أو لهم أقارب يرسلون إليهم نقوداً من أوروبا أو أمريكا.



الأخ علي بازارا فيتش على يمين المؤلف أثناء المأدبة.

حضر المأدبة معنا من الأخوة البولنديين الأخ (استيفان مصطفى موخارسكي) والإمام خالد خالصكي والأخ نجيب الصحراوي الذي لاغنى لنا عنه في الترجمة بل هو لساننا الناطق وسمعنا اللاقط.

وكانت المائدة مبسطة كما طلبنا أن تكون فاشتملت أول الأمر على مايشبه الجريش عندنا وهو بر مجروش يقدم كما يقدم الأرز، ثم لحم بالمرق أكلنا منه لأنه - فيما أخبرونا - به مذبوح قبل تلوث الجو هنا بالإشعاع الذري الروسي. وأما السلطة فإنها ربما كانت أغلى ماعلى المائدة لأنها من الخس والطماطم وهذه غالية في مثل هذا الوقت كما تقدم. وهو أيضًا مماقطع من شجره قبل التلوث الذري.

ولم تخل المائدة من البطاطس الذي يعتبر غذاء رئيسيًا للشعب يخزنونه للشتاء في مخازن خاصة كما نفعل نحن بالتمر.

وبهذه المناسبة سألناهم عن قيمة الكيلو من اللحم فأخبرونا بأن اللحم الذي تبيعه الحكومة هو رخيص الثمن ولكنه غير جيد النوع كما أن كميته محدودة لكل فرد بكيلين اثنين ونصف في الشهر لاتجوز له الزيادة على ذلك المقدار مع كون البلاد تصدر اللحوم إلى الخارج من أجل الحصول على العملة الأجنبية الصعبة.

أما إذا أراد الشخص أن يشتري المزيد من اللحم فإنه يستطيع أن يشتريه من المحلات الخاصة التي تبيعه بثمن مرتفع بالنسبة إلى دخولهم المحدودة.

وفي نهاية الطعام أخبرونا بأن أختًا لنا طبيبة مسلمة تعمل في مستشفى حكومي قد أحضرت لنا دواء يفيد الجسم بمنع تراكم الإشعاع الذري فيه.

وذكروا أن هذا هو تخصيص لنا بهذا الدواء من باب التكريم والاعتناء، لأنه يعطى منه للأطفال والنساء الحوامل بمقادير معينة ولايعطى لسائر الناس مع أن الوباء الذري لايفرق بين شخص وآخر ولكن البالغين هم أقدر على مقاومة

التلوث الذري من الأطفال والحوامل ولم يكن في وسعهم تعميمه على سائر الناس.

جاءوا بالدواء سائلاً أسود كريه المنظر والرائحة. وأما طعمه فإنه يذكر المرء بما قرأه عن الزقوم شراب أهل الجحيم، فكانوا يسكبون قطرات منه في فنجان يتجرعه المرء ولايكاد يسيغه لولا أنه يستمع إلى ماذكروه عنه من كونه يقاوم تغلغل الوباء الذري في جسم الإنسان الذي يدخل فيه الوباء كالشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم. ولكنه طبقًا لما ذكروه عنه لايغادر الجسم إذا دخل فيه إلا بعلاج يطول قد يزول معه الوباء وربما لايزول وهو في كل ذلك يمعن في الجسم تخريبًا على مدى السنين وقد يورث ذلك للنسل كما كان قد أهلك الحرث والنسل وأفسد الزرع والضرع.

مع محافظ المنطقة:

طبقًا للبرنامج الذي وجدنا الأخوة المسلمين قد أعدوه من قبل ذهبنا لزيارة محافظ المنطقة ويسمونه محافظ محافظة بياوستوك وهو الحاكم الإداري للمنطقة وزيارته مهمة بالنسبة للإخوة المسلمين الذين لبثوا ردحًا من الزمن لم يزرهم وفد رسمي من بلد له أهميته السياسية والاقتصادية وله مكانته الدولية كالمملكة العربية السعودية.

فهم بذلك يريدون إظهار مكانتهم لدى المسلمين في خارج البلاد التماسًا للمكانة في الداخل ونحن أيضًا نريد ذلك، فنريد أن ترتفع مكانة المسلمين في كل البلاد التي يؤلف المسلمون أقلية عددية بين سكانها.

لذلك لم نمانع في زيارة المحافظ بل اعتبرناها فرصة لهذا الأمر.

ذهبنا إليه بالحافلة المعتادة وقد انضم إلينا الأخ (علي بازارافيتش) وبعض الإخوة الآخرين بالإضافة إلى الأخ (استيفان مصطفى موخاريسكي) الذي لم يغب عنا أبداً طيلة وجودنا في بولندا.

استقبلنا المحافظ واسمه (قاوا)، في مقر المحافظة وهو بناء معتاد وذلك عند الباب الخارجي وكان معه نائبه وممثل وزارة الأديان الذي هو مدير مكتب شئون الأديان في المدينة واسمه (بيزي أولاتشك) وحضور هذه الممثل أمر مهم على اعتبار أن جميع الدول الشيوعية فيها وزارت أو إدارات لها أهمية الوزارات لشئون الأديان والقصد ليس العناية بالأديان أو رعايتها وإنما كيفية الهيمنة عليها أو على الأقل منع قوتها وتأثيرها على الشعب ومن المفارقات العجيبة أن الدول الحرة التي لاتتبنى مذهبًا إلحاديًا وإنْ تكن غير دينية بمعنى أنها دول علمانية لاتوجد فيها وزارات للأديان مثل فرنسا وإيطاليا على حين أن الدول الشيوعية التي تتبنى المذهب الإلحادي وتعمل على نشره توجد فيها وزارات لشئون الأديان ولكن إذا عرف السبب في ذلك وهو الذي ذكرناه بطل العجب.

استقبلنا المحافظ هاشًا باشًا مُرحّبًا وصحبنا مع درج طويل يصعد إلى الطابق الثاني في المبنى وهو بقامته المديدة يبدو مميز الشكل عن الآخرين، إلا أنه يبدو أيضًا رجلا قريب الغور، أو هكذا ظهر لنا من حاله.

وقد أجلسنا حول مائدة بيضاوية الشكل إلا أن فيها طولاً وبينما كان يرحب بنا كانت امرأة جميلة في منتصف العمر تأتي بزجاجات من الأشربة المباحة من المياه المعدنية إلى الأشربة الغازية كالميرندا والكوكاكولا مع قليل من البسكويت وشيء شبيه به وحلويات قليلة.

ابتدأ المحافظ كلامه بالترحيب والمجاملة بقوله إن محافظتنا لها نكهة خاصة وربما كان من أسباب ذلك تعدد الأديان والثقافات عند سكانها الذين منهم المسلمون ويمثلهم هنا المواطن (استيفان مصطفى موخارسكي) رئيس مجلس الاتحاد الإسلامي البولندي.

وقطع كلامه ليقول: إنني أرحب بكم وأبلغكم سرورنا هنا بكون قدومكم إلى بلادنا قدم الدفء والشمس المشرقة فقل أن نشهد في مثل هذا الوقت من السنة أيامًا مشمسة متتابعة.

وقال: إنه قبل قدومكم بوقت قصير كان الجو مظلمًا وكان البرد شديداً وكان الثلج الشتوي متراكمًا على الأرض.

ثم نهض أثناء كلامه إلي خريطة كبيرة للمحافظة موضوعة في جدار القاعة وأخذ عصا يشير بها إلى المدن والأماكن الهامة في المحافظة.

محافظة بياوستوك:

تحدث المحافظ عن محافظة بياوستوك فقال: إن بياوستوك من محافظات بولندا الكبيرة وتحتل المرتبة الرابعة وهي محافظة قديمة تاريخية وفي عام ١٩٨٥م كان عدد سكانها أكثر من ٦٠٠ ألف نسمة وأكبر مدينة فيها هي بياوستوك التي يبلغ سكانها ٢٥٠ ألف نسمة ولمحافظة بياوستوك إنتاج زراعي صناعي وفير وتشتهر بالصناعات الجلدية والخشبية وفيها زراعة البطاطس والقمح والشعير ولكن الإنتاج الزراعي ضئيل وهي من أجمل المحافظات البولندية في جمال الطبيعة وكثرة الأشجار وهناك في جنوبها منطقتان من الغابات وهي من أكبر الغابات في البلاد. ومن ناحية الغرب مناطق عذراء تعيش فيها بعض الحيوانات المتوحشة مثل الجاموس الوحشي وتهتم الدولة بهذه الحيوانات.

قال: ومن الأشياء التي تلفت انتباه السائحين تعدد الديانات في المحافظة الذي أدى إلى تعدد التقاليد والعادات ومنهم المسلمون الذين لهم شعائر وعادات خاصة وهم يعيشون في هذه المنطقة منذ أكثر من ستة قرون.

وقد رددت عليه بكلمة تضمنت الشكر والتقدير على الترحيب وحسن الاستقبال وعلى المعلومات التي عرضها وقلت لقد تحققنا من شيئين اثنين في المدينة وهما النظافة والنظام فكل شيء نظيف ومنظم ممايدل على اهتمام سيادة المحافظ.



الاجتماع في محافظة بياوستوك

ثم قلت: إن إخواننا المسلمين أخبرونا أنهم يمارسون شعائرهم الدينية وتنظيماتهم بدون تدخل من الحكومة بل برعاية من الدولة.

إننا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة التي تمثل المسلمين في أنحاء العالم نمتن بالمعاملة الطيبة لإخواننا المسلمين ونسر بها وسنخبر إخواننا المسلمين في العالم بها.

ولقد قلنا لإخواننا المسلمين هنا بأن بقاءكم على دينكم منذ ستة قرون إنما يرجع ذلك أولاً إلى تمسكم بالإسلام وثانيًا أن مواطنيكم من غير المسلمين يتمتعون بروح التسامح وقد وصلنا إلى هذه البلاد برغبة التعارف والتعاون

والاتصال مع الجماعات الإسلامية ونحن نريد أن يكون الاتصال بين المسلمين والرابطة هو لتوثيق العلاقة وصيانة التراث الإسلامي وتأكيد رابطة الصداقة بين الشعب البولندي والشعوب الإسلامية.

ثم قلت: نريد أن نقدم لكم تعريفًا مختصراً عن رابطة العالم الإسلامي فهي منظمة شعبية عالمية غير حكومية مقرها في مكة المكرمة وهي ترتبط بالجمعيات الإسلامية في جميع أنحاء العالم وتساعدها حكومة المملكة العربية السعودية في أداء واجبها وهي تقدم مساعداتها للجمعيات الإسلامية والمساجد في العالم.

وعلق عليه المحافظ قائلاً: أنا سعيد جداً بأن أرحب بكم مرة ثانية ضيوفًا من بلاد بعيدة جاءوا لزيارتنا والتعرف علينا فنحن عادة نستقبل ضيوفًا من بلاد مجاورة والآن نستقبل ضيوفًا من بلاد مقدسة بعيدة لهذا أرجو أن تكون إقامتكم سعيدة مرحة ونرجو لعلاقاتنا أن تنمو وتزدهر في هذا الجو الجميل المشرق.

ثم تكلم رئيس مجلس الاتحاد الديني الإسلامي السيد/ استيفان مصطفى موخارسكي فأعرب عن شكره لسيادة المحافظ على استقباله الحار لوفد الرابطة ثم قدم له التهنئة على انتخابه محافظًا للمنطقة الذي تم منذ بضعة أشهر راجيًا أن تستمر إدارته وقتًا أطول وأن يعدل بين أبناء بلده.

ثم التمس من المحافظ بأن يساعدهم على إيجاد مقر لهم لبناء المسجد الذي يقومون بتخطيطه وشكر مدير مكتب الأديان على مساعدته لهم في حل كثير من المشكلات الصعبة.

فأجابه المحافظ بالشكر على حديثه وأبدى استعداده للتعاون معهم في حل مشكلاتهم وتحقيق رغباتهم.

وفي الطريق شاهد الوفد المكان الذي يريد المسلمون شراءه لبناء المسجد فيه

وتبلغ مساحة أرضه حوالي عشرة آلاف متر مربع وستُنْشَأ بجوار المسجد حديقة وطنية وموقف للسيارات وينوون شراءه من الأفراد الذين يملكونه وتقدر قيمته بحوالي ١٥مليون زولوتي بمايساوي ثمانية آلاف دولار بسعر الدولار الواحد ستمائة زولوتي في السوق الحرة.



محافظ بياوستوك يتسلم هدية الساعة وقد لبس العباءة

وفي ختام الاجتماع الذي تخلله أيضًا إحضار القهوة والشاي إلى جانب الأشربة الباردة وهو أمر ليس كثيراً في البلدان الشيوعية قلت له: إننا نحمل إليكم هدية رمزية أرجو أن تتقبلوها وهي عباءة عربية تقليدية يلبسها وجهاء القوم وكبراؤهم في بلادنا ولايتم الزي الرسمي إلا بارتدائها وتمر من تمر المدينة المنورة التي هي مدينة مقدسة لأن فيها الحرم النبوي الشريف وهي منطلق الدعوة الإسلامية في حياة الرسول محمد ﷺ ومثوى رسول الله ﷺ بعد وفاته. وساعة تذكارية.

ثم ألبسته العباءة بنفسي، وقد سر بذلك بل بدا مزهواً بهذه العباءة العربية

التي لبسها فوق ثيابه وهي لم تقصر بعد فبدت طويلة عليه رغم طوله.

ثم التفت إلى مصور لهم وأمره بالتقاط الصور فالتقط الزملاء في الوفد صوراً له وهو يرتدي العباءة وصوراً تذكارية للوفد معه.



صورة تذكارية لوفد الرابطة ومحافظ بياوستوك بالعباءة العربية

تمشية حول المسجد:

عدنا إلى منطقة المسجد وكانت قد بقيت بقية من الوقت على الموعد الذي حددوه للقاء بعامة المسلمين وهو الساعة الخامسة.

كان الجو لطيفًا كأنه جو الربيع في بلادنا والأشجار قد تفتحت أوراقها والزهور قد ابتسمت ولاأدري لم تفتحت قبل أوراق الأشجار.

والتف علينا من سكان حي مجاور طائفة من الأطفال والشبان وكلهم نظيف البشرة والثياب مؤدب في تعامله مع الآخرين وانتهزناها فرصة لنخبرهم بأننا هنا ضيوف على هذ البلاد من المسلمين الذين يشاركون إخوتهم المسلمين

البولنديين الذين يصلون في هذا المسجد القريب منكم في الاعتقاد.

وتجرأ بعض شبانهم فسألنا عن الإسلام فأخبرناه بخلاصة عنه بوساطة المترجم والتقطنا للمسجد الذي ينتصب وحده في ميدان واسع خالٍ من الأبنية وهو على طراز قديم للبناء عندهم من الخشب ذي السقف المسنم المشدود الذي يميل سنامه إلى الارتفاع أكثر من المعتاد الآن.

ولاشك في أن ذلك كان من أجل أن تنزلق عنه الثلوج والأمطار لأن السقف إذا كان مسترخيًا ولو كان مسنمًا ركبه الثلج أو بعضه ومن ثم أفسدته الرطوبة.

وكثر الحشد الذي لفت انتباهه إلينا الملابس العربية الكاملة فزاد عددهم وأردناه أن يزيد ورأيت عجوزاً مسنة عمرها في حدود التسعين فظننتها مسلمة، وسألتها عن ذلك بوساطة المترجم فذكرت أنها مسيحية فسألتها بعد ذلك عن سنها ؟.

فقالت: بحدة: وهل تسأل المرأة عن سنها ؟

مع أنها (عجوز في الغابرين).



العجوز التي قالت :هل تسئل المرأة عن سنها ؟

اللقاء الحافل:

في الخامسة عصراً - وقد بقى على غروب الشمس حوالي أربع ساعات - وصلت إلى مسجد (بياوستوك) فوجدناهم قد أعدوه للقاء الموسع بالمسلمين فقد وضعوا الكراسي فيه حتى لم يبق إلا مالايكاد يكفي لقدم الماشي وذلك لصغره ولما توقعوه من حضور عدد كبير من المسلمين.

والواقع أن المسجد ضاق بهم بالفعل حتى اضطر بعضهم إلى الجلوس على الأرض في الممرات وخلف الكراسي واضطرت بعض النسوة وبخاصة من الشابات إلى الوقوف طول الوقت.

وكانت نسبة الحاضرات من النساء كبيرة وحتى الشبان والشابات حضر عدد منهم الاجتماع وإن لم يؤلفوا الأكثرية وكنت أشعر بالأسف بل بالخجل منا نحن المسلمين القادرين الذين كان بإمكاننا أن نساعدهم على بناء مسجد مناسب أو حتى شراء منزل مناسب يحول إلى مسجد حتى يتم بناء المسجد.

وقد ازداد خجلي من نفسي عندما أخبرني الإخوة أن هذا المسجد أيضًا هو هبة بل منة من الحكومة البولندية الشيوعية أعطتهم إياه ليستعملوه مسجداً بصفة مؤقتة حتى يستغنوا عنه وينتلقوا إلى غيره وكان ذلك منذ ست سنين كما أخبرونا.

وذلك أن الحكومة قد اعتبرته من المباني الأثرية التي لايجوز أن تباع أو يغير فيها ورأت أن استعماله مسجداً لن يضيره، بل ربما ينفع في ترميمه إضافة إلى ماتكسبه من سمعة عند المسلمين بإعلانها أنها قد أعانتهم إياه.

وبدأ رئيس مجلس الاتحاد الديني الإسلامي السيد/ استيفان مصطفى موخارسكي مرحبًا بوفد الرابطة ومقدمًا أعضاءه إلى الحاضرين وشاكراً الوفد لقبوله الدعوة وزيارة المسلمين البولنديين مع أنهم مجموعة صغيرة ثم حدّث الحاضرين عمادار بين وفد الرابطة وأعضاء مجلس الاتحاد الديني الإسلامي البولندي عشية وصول الوفد إلى بياوستوك وعن استعداد الرابطة لمساعدتهم ثم

طلب من الحاضرين توجيه أسئلتهم واستفساراتهم إلى الوفد والتمس مني أن ألقي فيهم كلمة.



في مسجد بياوستوك

فألقيت كلمة بدأتها بحمد الله تعالى الذي يسر هذا الاجتماع وبلغتهم تحية المسلمين من سكان الحرمين الشريفين ومن أنحاء العالم وقدمت لهم تعريفًا موجزاً عن الرابطة وأعمالها ثم حدثتهم عن استعداد الرابطة لمساعدتهم بالأمور التالية:

(١) إرسال دعاة متفرغين لتعليم أبنائهم وإرشادهم لأمور دينهم إذا تولى مجلس الاتحاد الديني الإسلامي تأمين سمات الدخول والإقامة لهم.

(٢) تقديم ثلاث منح دراسية لدراسة العلوم الإسلامية والعربية في الجامعات الإسلامية.

(٣) اختيار بعض الكتب الإسلامية باللغة البولندية وطبعها في بولندا وتوزيعها على المسلمين.

(٤) تسجيل مجلس الاتحاد الديني الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي لربطه

بالجمعيات الإسلامية في العالم وذلك إذا أرسل المجلس وثائقه وطلب التسجيل في الرابطة.

(٥) تقديم جمعية الشباب المسلم البولندي إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض للاتصال والتعاون فيمايخدم الثقافة الإسلامية.

(٦) استعداد الرابطة لاستقبال واستضافة عشرة أشخاص لأداء فريضة الحج وأن تتحمل الرابطة تكاليف سفرهم إلى جدة وعودتهم منها إلى بلادهم، إلى جانب استضافتهم داخل المملكة.

(٧) إذا تم شراء قطعة الأرض في بياوستوك وشرع في بناء المسجد فالرابطة ستسهم معهم بمبلغ مناسب ولكن قد يأخذ موضوع إسهام الرابطة بعض الوقت ذلك لأن الرابطة تتلقى آلاف الطلبات من المسلمين في العالم والتزاماتها كثيرة وعديدة ولكنها ستسهم حتمًا والرابطة يسرها أن تتعارف وتتعاون مع الجماعات الإسلامية في بولندا ونأمل أن يكون الاتصال أوثق وأعمق في المستقبل.



في مسجد بياوستوك

وقد سر الحاضرون لاستعداد الرابطة لمساعداتهم في سد احتياجاتهم الإسلامية فقال أحدهم فلتحيا المملكة العربية السعودية وليعش رجالها! ونحن سنحقق آمالنا مادام أهل بلاد النور وبلاد النبي ﷺ سيساعدون إخوانهم الذين حافظوا على إسلامهم خلال ستمائة عام.

ثم تكلمت إحدى النسوة فقالت إذا كانت الرابطة ستساهم معنا في بناء المسجد إذا نحن اشترينا الأرض وشرعنا في بناء المسجد فلماذا لانجمع التبرعات ونبني المسجد في بياوستوك بدلاً من أن نذهب إلى وارسو أو غيرها لبناء المساجد؟.



فقلت: إن هذا الأمر متروك للمسلمين في المنطقة وإن الرابطة يمكن أن تنظر في مساعدتهم بعد شراء الأرض وأن الأمر يحتاج إلى بعض الوقت نظراً لالتزامات الرابطة في العالم. ومن عادتها أن تبدأ بمساعدة المشروعات الإسلامية التي بدا أهلها بها أو على الأقل هيأوا الأرض التي سيقيمون عليها المشروع، ونحن مستعدون للمساعدة على بناء المسجدين مسجد وارسو ومسجد

بياوستوك، ولكن الشأن في أن يبدأ المسلمون هنا بالخطوة الأولى وهي تأمين الأرض.

وبعد ذلك طلب الكلمة أحد الأخوة المسلمين وهو كهل في حدود الستين فأخذ يتكلم وهو يبكي وكان من كلامه الشكر والتقدير للمملكة العربية السعودية وللمسئولين فيها على مجيء هذا الوفد وعلى ماتكلمت به وأخبرتهم عنه من الاستعداد للتعاون مع المسلمين وأننا قد اتفقنا مع الإخوة المسئولين في الجمعيات الإسلامية البولندية خلال جلسات المباحثات الرسمية معهم.

وقال وكان لايزال يبكي: إن المملكة العربية السعودية هي حامية الإسلام فجزاكم الله خيراً ولتعش المملكة العربية السعودية ولتتقدم إلى الإمام.

وكانت كلمة مؤثرة إضافة إلى العبارات المناسبة التي دارت في الاجتماع ومع الأسف الشديد لكون هذا لم يعجب رجلاً عربيًا فلسطينيًا كان حاضراً وطلب الكلمة باللغة البولندية ولم نكن نعرف عنه أنه عربي لأنه تكلم بالبولندية وكأنه أحد أهلها.

منها قوله: إنكم نسيتم المسلمين وكونكم تخصصون ثلاث منح هذا قليل، ثم قال: إن الوعود كثيرة بدون تنفيذ.

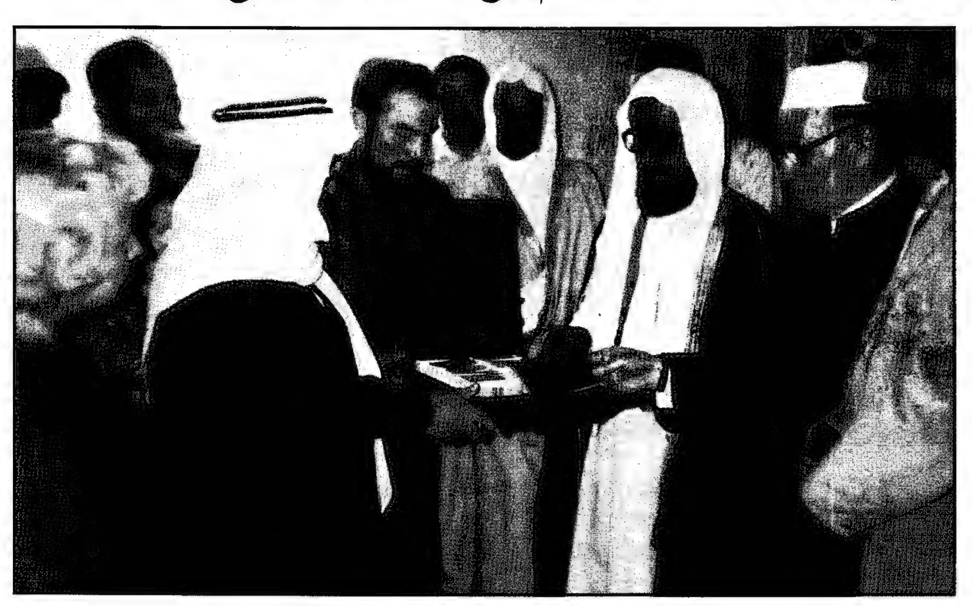
ثم لم يستطع إخفاء شخصيته وسها وتكلم بالعربية فقلت له بالعربية: ياهذا أنت أخ لنا وتتكلم لغتنا ألم يكن من المناسب أن تتكلم بماتكلمت به معنا على انفراد إذا كنت رأيت أن ذلك ضروري حتى نخبرك بمالم تكن تعرفه في هذا الأمر أوأن تتكلم بالعربية؟

ومن ذلك قولك: إن الوعود كثيرة ولاتنفيذ ونحن لم نعد أحداً بشيء من قبل إن وفدنا هو أول وفد من بلادنا يزور هذه البلاد.

إننا نسعى إلى تحسين سمعة العرب المسلمين عند إخوانهم المسلمين في هذه البلاد عن طريق التعاون معهم على البر والتقوى.

ونحن عـازمـون - بإذن الله - على تنفيـذ كل مـاقلناه. أليس من الأفـضل والأجدى أن تساعدنا على ذلك بدلاً من أن تشككهم في قصدنا وتتكلم معهم بلغتهم بما لانعرفه؟ وقد أخبرنا المترجم الأخ الصحراوي أنه نقل بعض تعليقي على كلامه على غير وجهه لذلك قال له: ياأخي أرجو أن تكون أميناً على الترجمة.

ولما كان قد تجاوز قدره هنا وكنا أتحنا الفرصة للإخوة البولنديين المسلمين للكلام وهو عربي ليس منهم فقد قلت له: ياأخي الواقع أن الدعوة إلى الكلام لم تكن موجهة إليك، وكنا نود إذ تكلمت أن تكون تكلمت بمايسبب الود ويقوي الأخوة بالمسلمين، فسكت ثم خرج قبل انتهاء الاجتماع.



إهداء المصحف في بولندا

ذلك مبلغهم من العلم:

حسب طلب الإخوة زعماء المسلمين أن تتاح للإخوة المسلمين الحاضرين فرصة النقاش في أمور الدين وإيضاح ماقد يكون قد خفي عليهم منه، فتحنا باب

النقاش فكانت أسئلتهم أسئلة الحريص على دينه، ولكنها كلها تدل على ضحالة مالديهم من المعلومات الدينية، بل ربما دلت على الجهل المطبق بأمور الدين.

ومن ذلك أن أحد الأئمة قال إنه رجل كان موظفًا حكوميًا وقد تقاعد قبل خمس عشرة سنة وتفرغ للإمامة وإرشاد المسلمين ولكن معلوماته عن الدين كانت قليلة لذلك تجد - كما قال - أن بعض الأخوة لايرضون بمايخبرهم به من ذلك.

وقد طلب مني أن أخبرهم بعدد ركعات الصلوات الخمس فأخبرتهم بذلك.

ثم تحفز كمن يبحث في ذهنه أمرًا هامًا وقال أرجو أن يسمعني الجميع: يافلان كم عدد الركعات لصلاة الجمعة. أهي أربع أم اثنتان؟ فقلت: اثنتان! فالتفت إلى القوم وقال: ألم أقل لكم ذلك؟

ونحن لا نقصد من إيراد هذا الكلام التنقص منهم ولا الإزراء بحالهم، وإنما من أجل أن نعطي صورة عن الواقع الإسلامي عندهم.

وقد طال الاجتماع ونسي بعضهم الوقت وأخذوا يلتقطون الصور التذكارية إلى جانب الصور المتلفزة.

حتى انتهى الاجتماع في السابعة والنصف.

يوم الخميس ١٤٠٦/٨/٢٢هـ - ١ مايو ١٩٨٦م.

الوباء الذري أيضًا:

لم يكن للإذاعات العالمية التي سمعناها بالعربية سواء أكانت منبعثة من البلدان العربية أم من بلدان أخرى إلا الحديث عن الوباء الذري السوفييتي الذي انتشر في منطقة كييف وماجاورها من جمهورية أوكرانيا وتعدى ذلك إلى جمهورية روسيا البيضاء أو (بلوروسيا) كما يسميها الروس وهي تجاور جمهورية أوكرانيا من جهة الشمال.

وكان هذا الخبر يتصدر أيضًا أخبار النشرات العالمية وقد وجدت فيه الإذاعات العالمية التي تسيطر عليها الدول الغربية مادة دسمة للحديث فالحديث عن الإشعاع النووي بل الوباء الذري هو في حد ذاته حديث شيق أو لنقل: إنه حديث مرعب يبعث على الخوف والرهبة.

وهذه إحدى صفات الخبر القابل للإذاعة المستحق للنشر.

وقد أضافوا إلى حقيقة ماحدث شماتة بالاتحاد السوفييتي هو جدير بها لاسيما في كونه لم يعلن لبني قومه ولاللشعب الذي يعيش في أرضه حول المفاعل النووي الذي حدث فيه الانفجار أي شيء عنه حتى سبقت الدول غير الشيوعية المجاورة ومنها فنلندا والسويد إلى إعلان النبأ، وأنها عرفت ذلك من كمية الإشعاع النووي الضخمة التي انتشرت على هيئة سحابة ذرية مرت بجو بولندا هذه التي نحن فيها الآن وتجاوزتها إلى فنلندا.

وكان انفجار المفاعل قد حدث يوم السبت ٢٦ أبريل الماضي أي منذ ٥ أيام ولم يعلن الاتحاد السوفييتي أي شيء عنه إلاَّ في يوم الاثنين ٢٨ أبريل وذلك بعد أن أعلنت السويد وفنلندا ذلك.

وكان إعلانه مقتضبًا يتسم بالدعاية والخلو من الشعور بالمسئولية تجاه مواطنيه الذين تعرضوا للوباء الذري وتجاه جيرانهم من مواطني الدول الأخرى

الذين وقعوا تحت التلوث الذري، أو أصابهم رشاش منه.

حتى إن الاتحاد السوڤييتي لم يبدأ بإجلاء المواطنين عن بلدة تشيرنوبل التي يقع المفاعل الذري المدمر على بعد ثلاثين كيلومتراً منها إلاّ بعد وقوع الانفجار بأيام. مع أنهم يعتبرون واقعين تحت الخطر المباشر.

أما نحن فإننا واقعون تحت المظلة الوبائية الذرية وإن لم يكن ذلك بصفة مباشرة وسوف نتوجه في هذا اليوم إلى أقرب منطقة في بولندا لموقع المفاعل الذي يبعث بالإشعاع الذري أيضًا - في بلدة تشيرنوبل وذلك من أجل الاجتماع بالإخوة المسلمين في تلك المنطقة كما سبق وتبعد البلدة الأولى التي سنتوجه إليها مسافة كيلومتر واحد من حدود جمهورة أوكرانيا التي عاصمتها كييف وبقربها المفاعل الذري الذي لحق به الدمار.

وقد أصبحنا على جو صاح بل شامس لانرى في سمائه قطعة من الغيم وهذا مفيد جداً بالنسبة إلى الإشعاع الذري الذي ينبعث من المفاعل فيعلق في الجو على هيئة سحابة أو غيمة من الغبار الذري الذي ينزل مع الأمطار إذا نزلت على الأرض ولكن لم تنزل أمطار بل كان الجو شامسًا منذ وصولنا إلى بولندا قبل يومين ولله الحمد.

الدواء من طبيبة مسلمة:

لانزال في الحديث عن الوباء الذري. وكيف لا؟ وحديث الإذاعات العالمية عنه وحتى البلدان التي لم يصلها هذا الوباء الذري لاتزال تتحدث عنه في نشراتها الإخبارية في هذا الصباح. وفي الصحف البولندية التي لم تذكر الأمر في أوله على حقيقته لأن الوباء بل البلاء قادم من بلاد حليف قوي بل شقيق مسيطر لايستطيع الحزب الشيوعي البولندي إلا إطاعة أوامره والتستر على كل مايشينه.

وعندما نزلنا لتناول الإفطار كان الحديث مابين البولنديين وبيننا عنه فحذرونا من شرب اللبن الذي كان على المائدة ومن أكل الخضراوات وقالوا إن الحكومة البولندية تحذر الأهالي من ذلك وبخاصة إذا كانت ماشية اللبن تأكل علفًا طازجًا أما إذا كانت تأكل من أعلاف مخزونة فإن الأمر أسهل.

ومن ذلك أننا قابلنا في أول هذا الصباح أختًا مسلمة هي الطبيبة (أمينة يابونسكا) فقد جاءت للسلام علينا مع زوجها الأخ أمير يابونسكا وابنها راشد وتعمل طبيبة في مستشفى حكومي.

وقد أخبرونا أنها هي التي بعثت لنا أمس بالدواء الواقي من انتشار الإشعاع في الجسم فشكرنا لها ذلك وأهدينا إليها مصحفًا وسجادة للصلاة.

المؤتمر الصحفي:

تكرم إخواننا المسلمون فأعلنوا عن وصول وفدنا قبل قدومه بفترة لذلك وجدنا تأهبًا للاستقبال حتى من غير المسلمين فكان مصورون غير مسلمين. جاءوا لتصوير تحركاتنا ولاندري الدافع لهم إلى ذلك إلا أن يكون طلبًا للمعرفة العامة. وإن كان بعض المسلمين ذكروا لنا أن أحدهم يعمل في صحيفة مسيحية مشهورة لعل اهتمامها بزيارة وفدنا نابع من خوفها من تأثير زيارتنا على البلاد مع أنها أقل من ذلك فيمانقدره إنما أملنا أن يكون لها أثر جيد على الإخوة المسلمين.

وقد دار الحوار الصحفي مع مندوب عن مجلة (بولندا) واسمها (بولسكا) وهذا هو اسم بولندا في لغتهم الوطنية. وذكروا أن هذه المجلة تصدر بثلاث لغات هي البولندية والإنكليزية والروسية.

وكان حديثا مصوراً بدأه المندوب بقوله:

س: ماهو الهدف من الزيارة؟

ج: هو الاطلاع على حياة المسلمين في بولندا ودراسة أوجه التعاون مع الجماعات الإسلامية في المجالات الثقافية على غرار علاقات رابطة العالم الإسلامي مع الجماعات والمنظمات الإسلامية في العالم.

س: هل زيارتكم في هذا الوقت تعني شيئًا معينًا أم كانت حسب برنامجكم وخاصة أن هذه الزيارة هي الأولى على هذا المستوى؟

ج: نحن وضعنا برنامجًا نزور فيه المسلمين في الاتحاد السوفييتي ونتباحث في أوجه التعاون مع الإدارات الدينية هناك ثم مررنا بعد ذلك على بولندا.

س: البارحة جاء في حديثكم بأنه خلال زيارتكم لنيوزيلندا قمتم بافتتاح كنيسة تحولت إلى مسجد؟

ج: أرجو أن أصحح مفهومكم بأنني لم أقل بتحويل كنيسة إلى مسجد، بل قلت بأنه تم افتتاح مسجد جديد في مدينة تسمى كرايست تيشرتش التي ترجمة اسمها بترجمة حرفية (كنيسة المسيح) ولم أقل إن المسجد كان كنيسة ونحن نعرف أن المسلمين موجودون في تلك البلاد (نيوزيلندا) والحديث عن المسجد هو باعتباره مسجداً جديداً في منطقة جديدة.

س: هل كنتم على علم بوجود المسلمين هنا منذ ستمائة سنة؟

ج: نعرف إخواننا المسلمين في بولندا معرفة إجمالية منذ القدم ولكن الاتصال الرسمي قد يكون حديثًا ونعلم أن بعض المسلمين البولنديين الأوائل قد استفتوا العلماء في البلاد العربية عن بعض المواضيع الدينية

س: هل أنتم على علم بكيفية محافظة المسلمين هنا على دينهم منذ ستمائة سنة؟

ج: إن محافظة المسلمين على دينهم خلال ستة أو سبعة قرون أمر يدعو إلى

التقدير ولاشك أن محافظتهم ترجع إلى عاملين اثنين:

أولاً: شدة تمسك المسلمين البولنديين بدينهم الإسلامي خلال القرون الماضية.

ثانيًا: روح التسامح لدى مواطنيهم من غير المسلمين وهم الأكثرية.

س: هل تلى زيارتكم هذه زيارات متتالية واجتماعات متكررة؟

ج: نحن اتفقنا مع المسئولين في الجماعات الإسلامية في بولندا على أن تكون الزيارة بداية لمرحلة التعاون والاتصال بين رابطة العالم الإسلامي والجماعات الإسلامية في بولندا فنرجو أن نتمكن من تحقيق ذلك.

عيد أول مايو:

وحق له أو عليه أن يقال فيه إنه أعياد أول مايو الذي هو آيار بالشهور السريانية وهم يسمونه (عيد العمال) وفي البلدان الباردة التي انبعثت منها الشيوعية يسمونه (عيد الربيع) وهذه التسمية الأخيرة هي الصحيحة وحدها فهو عيد الربيع لأن فصل الربيع الحقيقي لايكون إلا في أول مايو ففيه تورق الأشجار وبعضها يبدأ ورقه في الظهور بعد الشتاء الطويل قبل مايو بأسبوع فلايأتي أول مايو إلا وقد استكملت الأوراق، وإذا كانت الأشجار ذات زهور تكون زهورها قد تفتحت حتى أصبحت ذات ثغور وأحداق.

ولقد طال عجبي من بعض الأشجار التي كنت أراها في مثل هذه البلدان الباردة عارية من الأوراق بل تكاد تكون هامدة همود الموتى في منتصف شهر أبريل أو في عشرين منه ثم تبدأ الأوراق الخضر تطل من خلال جلودها الشهب وكأنها البراعم الجديدة في النبتة الصغيرة فلاتكاد تمضي أيام قلائل حتى تراها قد اخضرت بل اخضلت أوراقها حتى يخيل إليك أن عهد تلك الأشجار بالخمود بل الهمود قد مضى عليه شهور.

ذلك بأن تلك الأشجار تكاد تكون بالغريزة التي فطرها الله عليها تعرف أن عمر ازدهارها وإزهارها إن كانت ذات أزهار، هو زمن قصير لأنه ما أن ينقضي الصيف ويدخل الخريف حتى يبدأ الشتاء بقره وزمهريره يصفعها صفعًا لاتستطيع له دفعًا فتظل أوراقها تتساقط كما تتساقط الأيام السعيدة من أيام الشباب في عمر الإنسان لتعود كما كانت في أكثر أوقاتها خامدة هامدة.

لذلك تراها في سرعة إيراقها وإزهارها كأنما تسابق الزمن.

لقد سألت بعض الإخوة في البلدان الشمالية التي مررنا بها في روسيا أو في بلاد البشقردز التي عاصمتها (أوفا) وهي مدينة شمالية يسميها الظرفاء من علمائها ببلاد الشفق والغسق لأن شفق الشمس في الصيف لايغيب من

الغرب حتى يبدأ الغسق وهو نور الفجر يضيء من جهة الشرق بأن هذه الأشجار تسرع إسراعًا غريبًا في بعث الأوراق في أول الربيع حتى كأنما لها علم بأن عصر الأوراق والأزهار فيها إنما هو لليل أو نهار فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أما عيد العمال في بولندا الاشتراكية هذه فإنه عجب من العجب في معناه قبل أن يكون في شكله. ذلك بأن حزب العمال الاشتراكي البولندي الحاكم الذي هو حزب شيوعي لايضم في عضويته إلا حوالي ثلاثة أعشار العشر من السكان أو ٣٪ كمايقال الآن.

ومع ذلك يقولون: إنهم ديمقراطيون وإن هذا العيد يجب أن يكون عيد البلاد كلها لأنه عيد العمال ويجبرون الصغار أو يربونهم على الاحتفال بهذ العيد الذي لم يكن سعيداً هذا العام بسبب الوباء الذري المنبعث من بلاد الجار الاشتراكي القوي الاتحاد السوفييتي الذي لايستطاع الشكوى منه في هذه البلاد.

فيعدون المهرجانات والاحتفالات به في طول البلاد وعرضها ويجندون لذلك العمال والطلبة والموظفين والنساء والشبان والشابات وتعطل الدوائر الحكومية أبوابها فيكون التعطيل في حد ذاته عيداً للمرهقين والتعبين من العمل.

أما نحن فإن إخواننا قالوا إنه يمكنكم أن تنتهزوا هذه الفرصة المواتية وتطلعوا على كيفية الاحتفال بعيد أول مايو الذي يحين هذا اليوم ويبدأ المهرجان له في التاسعة صباحًا وكان هذا بالفعل أمراً ينبغي ألا يفوت الذي يجب الاطلاع والتتبع.

وكانت هذه هي المرة الثانية التي يصادف وجودي في بلد شيوعي اليوم الأول من شهر مايو أما الأولى فكانت منذ سنتين بالضبط عندما أطل هذا اليوم علينا ونحن في مدينة لانجو عاصمة مقاطعة (كانسو) في الصين الشعبية

وكنت فيها على رأس وفد رسمي من رابطة العالم الاسلامي كما هي عليه الحال في هذا العام.

ولكن الصينيين لم يكونوا يحتفلون به الاحتفال الكبير الذي يشمل الشوارع الرئيسية في المدينة بل كان لهم احتفال به في مكان عام واحد لايحضره إلا قليل من الناس لذلك لم نره ولم نر مضيفينا يشوقوننا لرؤيته كمايفعلون عند أي حدث مهم.

خرجنا من فندقنا فندق (لسني) في بياوستوك في العاشرة والنصف على حافلتنا الصغيرة ومعنا ثمانية من البولنديين وهي سيارتنا الوحيدة قاصدين بلدة (كروشينياني) التي يوجد فيها مسجد في أريافها حيث يسكن عدد من المسلمين وهي لاتبعد عن حدود جمهورية أوكرانيا السوفييتية إلا بمقدار كيلومتر واحد.

ورأينا أن نمر بالشوارع التي تنطلق فيها مسيرات الاحتفال بأول مايو للاطلاع عليها.

فانطلقنا في شارع (يوري قاقارين) أول رائد فضاء سوفييتي أو روسي على الأدق ذاهبين إلى مكان الاستعراض فرأينا رجال المرور قد أغلقوا الشوارع التي تؤدي إلى تلك الشوارع دون مرور السيارات إغلاقًا تامًا حتى لاتقترب سيارة من تلك الاحتفالات ونزل الإخوة الكرام وحدثوا الجنود بأمرنا وبأننا وفد سعودي زائر لهذه البلاد لأول مرة ونحب أن نرى مواكب الاحتفال رأي العين من سيارتنا.

وكانت ملابسنا العربية الكاملة حتى العباءات تشهد لنا بذلك فكلموا ضابطهم الذي وافق على ذلك وأرسل معنا ضابطًا معه دراجة نارية عسكرية غير أن محرك الدراجة لم يشتغل وحاول مرة ثانية فلم يشتغل وبعد محاولات من الضابط لم تفلح ركب معنا بنفسه في حافلتنا.

وصار يخبر رجال المرور الذين يحيطون بالشوارع التي تحيط بتلك التي تمر منها الاستعراضات بأننا من المأذون لهم بالعبور وأننا لسنا من الجمهور الذين

لايسمح لهم بالاقتراب إلا إذا كانوا يسيرون على الأقدام.

وقفت الحافلة ونزل الجميع منها ونزلنا ونحن ستة بملابسنا العربية الكاملة ونحن نرجو ألا ينتبه إلينا منتبه من المصورين الرسميين لأننا لانريد أن تتخذ رؤيتنا الاحتفال طابعًا رسميًا فوقفنا خلف صفوف من الجماهير التي أحاطت بالشارع من جانبيه نرقب الأطفال فإذا ببعضهم يفطن لوجودنا ويترك مشاهدة الاحتفال إلى مشاهدة هؤلاء الغرباء من الرجال الذين يرتدون ملابس هي بالنسبة إليهم كملابس سكان الكواكب الأخرى إن كان على الكواكب الأخرى سكان يرتدون الملابس.

وكان بينهم متطفلون أجانب وبخاصة من السياح والصحفيين الغربيين الذين حضروا لمشاهدة هذه المناسبة المهمة عندهم وتصويرها فصوبوا عدسات مصوراتهم إلينا دون استئذان أو حتى لياقة في التقاط الصور، مما اضطررنا إلى الإسراع باللجوء إلى حافلتنا التي كانت واقفة دون غيرها من السيارات بقربنا.



الاحتفال بأول مايو في بياوستوك

وشاهدنا الاحتفال لمدة قصيرة وكان يتألف من مجموعات من الشبان يحملون الأعلام ترافقهم الموسيقى وهم يسيرون على وقعها سيراً منتظمًا وقد ألبسوا كل طائفة منهم لباسًا خاصًا هو زي جميل والقوم صباح الوجوه نظيفو الثياب غير أن الأمر ليس فيه ممايشوق أو يروق مايحمل على تحمل فضول الصحفيين واستراق عدسات المصورين.

في ريف بياوستوك:

تركنا مدينة (بياوستوك) الجميلة المنظمة قاصدين (كروشينياني) التي تبعد (٤٨) ثمانيا وأربعين كيلومتراً من (بياوستوك) مع طريق ريفية مزفلتة متوسطة الزفلتة إلا أنها غير واسعة فهي في هذا الأمر مثل الطرق الريفية، والتي بين المدن الصغيرة في الاتحاد السوفييتي وهي أحسن بكثير من الطرق الموجودة في البلدان النامية وأقل بكثير من الطرق في بلادنا السعودية التي لاتزال لها بقايا بين القرى في بلادنا.



في ضواحي بياوستوك

فهي تتسع لسيارتين متقابلتين يفصل بين مساريهما خط من الطلاء إلا أنه إذا تقابلت سيارتان فإنهما تهدآن السرعة قليلاً عند الالتقاء مع أن السرعة في هذه البلاد كأكثر البلدان الشيوعية هي محدودة ويغلب عليها البطء، إضافة إلى كون السيارات في البلدان الشيوعية أقل عدداً منها في البلدان الرأسمالية بكثير.

الصلبان والشيوعيون:

مررنا بمقابر للمسحيين كثيرة فوقها الصلبان وقلت لمرافقينا البولنديين: إن بلادكم شيوعية الحكم، والشيوعيون مذهبهم الإلحاد، ولاشك في أن بين هذه القبور من هم من موتى الشيوعيين فبم نفسر وجود الصلبان على المقابر كلها على وجه التقريب؟ فأجابوا إن ذلك صحيح غير أن الشيوعي الذي عرف بذلك من كونه قد انضم إلى الحزب الشيوعي في حياته قد يكون فعل ذلك من أجل الحصول على مغنم من وظيفة أو مال أو من مكانة عند ذوي السلطان وإن لم يكن في حقيقة اعتقاده شيوعيًا ملحداً لذلك إذا حضره الموت أوصى بأن يدفن طبقًا لمراسم الدفن المسيحية وقد يمرض فيطول به المرض قبل وفاته فيرجع إلى الله، ويلجأ إليه حين تنقطع به حبال الرجاء من الشيوعية وغيرها.

وأحيانًا لايوصي المتوفى بذلك ولكن أهله يكونون من المسيحيين فيقبرونه كما يقبر المسيحيون موتاهم والحكومة لاتعارض ذلك، ولاتتدخل فيه.

ومما يجدر ذكره هنا أن مجموع سكان بولندا يبلغ ستة وثلاثين مليونًا كماسبق لايبلغ عدد الشيوعيين فيهم إلا مليونًا وخمسمائة ألف حسب إعلان الحكومة التي تشهد بذلك على نفسها بأنها تمثل أقلية قليلة. وسائر الناس هنا من المسيحيين.

بلدة سوبراشي:

اخترق الطريق بلدة صغيرة اسمها (سوبراشي) أهم مافيها معهد للفنون الجميلة واسترعى انتباهي في طرقها رجل واقف مع امرأته وطفله يسألون السيارات المارة أن تركبهم ربما لقلة السيارات الذاهبة أو لكونهم لايجدون مايركبون به.

وقد وصل الطريق إلى منطقة من الغابات العذراء، هي جزء من الغابات العذراء التي ذكرها محافظ (بياوستوك) في كلامه لنا ونوه بذكرها وأن فيها بقايا من الجاموس الوحشي الذي انقرض في أوروبا.

واجتزنا بمجموعة من البيوت الريفية الخشبية التي تبدو كالأكواخ، وقال لنا الإخوة إن بعض المثقفين يختارون اتخاذ أرض صغيرة فيها بيت خشبي مثل هذا ويعيشون كمايعيش الفلاحون.

وذكر الأخ نجيب الصحراوي مثلاً على ذلك في شخص يعرفه كان متخرجًا من إحدى الكليات الفنية الجامعية وكان عضواً في الحزب الشيوعي البولندي يحمل بطاقة العضوية الرسمية فسهل له هذا الخروج من بولندا إلى الكويت حيث عمل مع شركة بولندية هناك في وظيفة سائق سيارة (قلاب) وصار يوفر ثلاثمائة دولار أمريكي في الشهر لمدة تزيد على السنة قليلاً: فلما عاد إلى بولندا من الكويت انسحب من الحزب الشيوعي ورد إليهم بطاقة العضوية واشترى قطعة أرض صغيرة مثل هذه واشتغل بالزراعة وكان السبب الأكبر في رجوعه عن الشيوعية مارآه في الكويت من نظام اجتماعي غير شيوعي.

ومثل آخر:

ومثل آخر حي في حال أخينا ومرافقنا الأستاذ (استيفان مصطفى

موخارسكي) رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي فقد أكمل دراسته في جامعة بولندية وتخرج كيميائيًا فنيًا وهومؤهل مرموق وعين مدرسًا في مدرسة ثانوية، ولكنه آثر أن يكون فلاحًا صغيراً فاستقال من الوظيفة الحكومية وعمل في فلاحة أرض صغيرة عنده.

ولما سألته عن السبب في ذلك؟ أجاب بأن الوظيفة لاتوفر له النقود التي يحتاجها له ولأسرته المؤلفة من زوجته وولديه.

وقال: إن الوظيفة الحكومية ليس فيها نقود كافية للمعيشة، أما هذه الأرض التي أزرعها - على صغرها - فإنها تدر عليَّ مبلغًا جيداً والسبب في ذلك أن والدي كانت لديه بعض النقود فأعطاني إياها فاشتريت بيتًا زجاجيًا أو قال - من اللدائن - من التي تزرع فيها الخضروات في الشتاء، وصرت أكسب من ذلك مكسبًا طيبًا، ولايدور في خلدي أن أعود إلى الوظيفة الحكومية.

كله ملك للحكومة:

الملاحظ هنا أن الريف هنا كله مزروع وإن تكن العناية به غير ظاهرة وقد أخبرونا أن السبب في ذلك أن الأراضي مملوكة للدولة وأكثر المزارع التي نراها هي حكومية ولاتبين عليها العناية الكبيرة وأكثرها مزارع للقمح الشتوي الذي بذر قبل سقوط الثلوج فسقط الثلج عليه فلم يخرج من الأرض إلا عندما أحس بقرب فصل الربيع لذلك نراه الآن قصيراً لايزال في طور النمو المبكر.

ولايرى المرء قطعة بيضاء خالية من الزراعة إلا ماأعد لزراعة نوع آخر غير القمح في هذه الأيام بمعنى أنه ترك محروثًا ليزرع بشيء آخر أما أن يرى المرء أرضًا متروكة غير مزروعة أو محروثة فهذا لايوجد.



ريف بياوستوك وكروشيناني

ومررنا ببلدة تسمى (كرنكي) فيها بيوت قليلة مسطحة السقوف ولاأدري تفسير ذلك مع أن السقوف المسطحة تتعرض البيوت تحتها لأضرار الثلوج ولأمطار أكثر من ذوات السقوف المسنمة.

هذه كروشينياني:

وصلنا بلدة (كروشينياني) التي نقصدها في الثانية عشرة ظهراً وذلك بعد أن أمضينا في الطريق ساعة ونصفا تخللتها وقفة في مدينة (بياوستوك) لمشاهدة جزء من استعراض أول مايو.

فوقفنا عند مسجد (كروشينياني) وكانت أجمل تحية رؤية المسجد في هذه البلدة الصغيرة من البلدان التي يقطنها مسلمون بمنارته القصيرة وشكله المميز لكونه بني ليكون مسجداً، وليس كمسجد (بياوستوك) الذي هو منزل قديم حول إلى مسجد دون أن يغير من هيكله أو مظهره شيء إلا وضع الهلال الذي تتوسطه نجمة وهو شعار المسلمين فوقه.

وكانت تحية أخرى بل تحيات من أخوة مسلمين كانوا لنا منتظرين على رأسهم الأخ (إبراهيم تلكوفسكي) رئيس الجمعية الإسلامية في كروشينياني وتحية أخرى قدمتها فتاة جميلة من بنات المسلمين باسم المسلمين في هذه البلدة وهي باقة من الزهور الفتية في هذه البلدة.

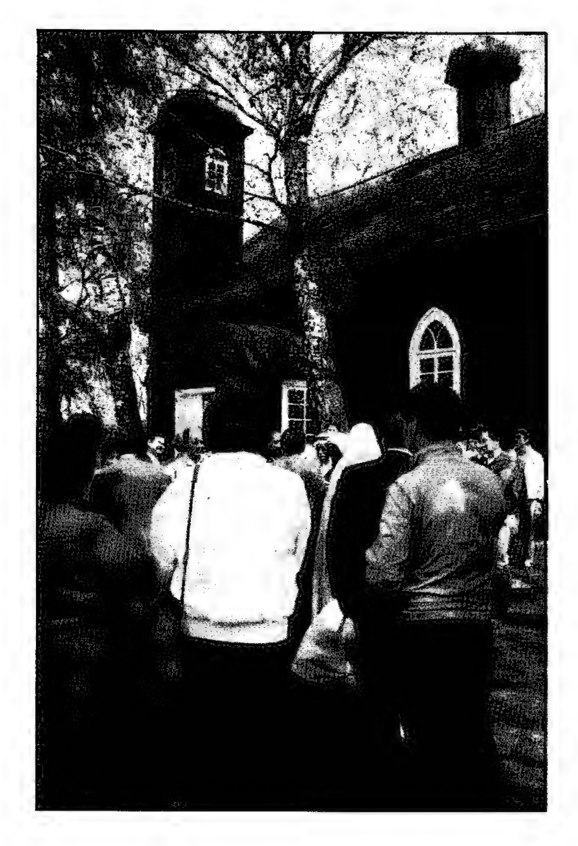


رئيس المسلمين في كروشينياني وعلى يساره الفتاة المسلمة التي قدمت الزهور

وبعد السلام وإظهار علامات الاحترام وعظيم التأثر والاهتمام من الإخوة المسلمين الذين كان بعضهم يغلبهم التأثر حتى يقفوا مشدوهين لايدرون كيف يستقبلون أو يحيون إخوانهم القادمين من بلاد الحرمين الشريفين.

دخلنا إلى هذا المسجد الذي يعتبر من المساجد القديمة في بولندا وحتى البلدة هذه فإنها في منطقة كانت تعتبر من مناطق سكنى المسلمين في القديم وكانت تؤلف جزءاً من أرض بولندية اقتطع الاتحاد السوفييتي منها قطعة ألحقها بأرضه الواسعة في عام ١٩٤٦م وسلمت (كروشينياني) هذه وماحولها من جهة

الغرب منه فهي لاتبعد عن حدوده إلا بمسافة كيلومتر واحد حيث كنا نشاهد معالم الأرض الروسية السوڤييتية في جمهورية أوكرانيا واضحة من المسجد.



عند الدخول إلى مسجد كروشينياني

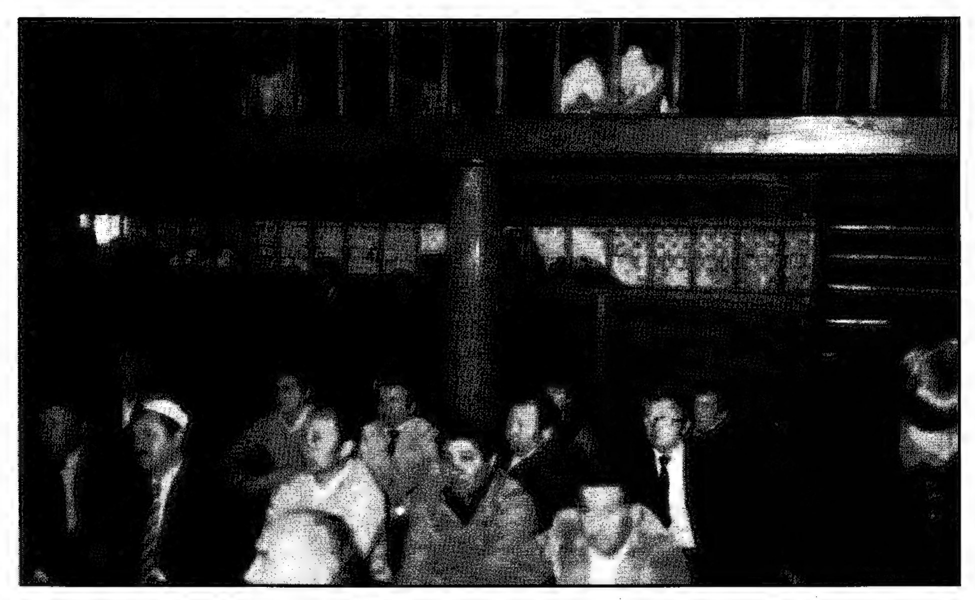
تقدمنا عند دخول المسجد الإمام (مصطفى باشينسكي) إمام المسجد الذي ظهر لنا بعد ذلك أن عمله أكثر من علمه.

تحية المسجد جماعة:

وطلب لنا القوم عند دخول المسجد أن نصلي تحية المسجد جماعة فأخبرناهم

أن السنة أن يؤدي الناس تحية المسجد فرادى لئلا تشتبه على بعضهم بالفريضة التي تؤدى جماعة ولكنهم لم يقتنعوا فصليناها نحن فرادى.

وقد أمهم الإمام مصطفى باشينسكي لتحية المسجد، جماعة من الرجال وخلفهم النساء صفين أيضاً في مؤخرة المسجد المخصص للنساء.



المصلون في مسجد كروشينياني

وقد جهر بالقراءة في هذه السنة ونحن قبيل الظهر أي في وقت الصلاة السرية ولكنه مثل أخينا إمام مسجد بياوستوك الذي يجهر بالقراءة في صلاة الظهر حتى في الركعتين الأخيرتين اللتين هما الثالثة والرابعة.

وكانت قراءته ضعيفة وهو أمر لايلام عليه، لأن هذا المبلغ هو مبلغ علمه وغاية إمكانه رغم اجتهاده الذي نرجو أن يؤجر عليه - إن شاء الله.

وكان يجهر حتى بدعاء التشهد قبل السلام ولاحظنا أن بعض المأمومين كان يلتفت أثناء الصلاة جهلاً منهم بأن ذلك لايجوز.

كما كانوا يجهرون بالتسليم من الصلاة بصفة جماعية منغمة.

وبعد انقضاء الصلاة ابتدأ الإمام بالمراسم التي اعتادوا عليها بعد الفريضة حيث ابتدأ مباشرة بعد انقضائها بالدعاء ثم قرأ سورة الفاتحة: الحمد لله رب العالمين إلخ وهم يتابعونه على ذلك بأصوات منغمة كأنما تتم على إيقاع ملحن أو وفق ترتيل خاص.

ثم أخرج الإمام كتابًا صغيراً معه فتحه وابتدأ يقرأ منه دعاء ولايزال مستقبلاً القبلة لم ينصرف عن ذلك فلم يستقبل المأمومين وكان الدعاء من الكتاب بالعربية التي لايفهمها أحد منهم ولكنهم منصتون له.

ثم تلا الآية الكريمة: ﴿**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾ وآخر الدعاء «سبحان ربك رب العزة عمايصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين».

قال الإمام بعد ذلك: الفاتحة على روح محمد فقالوا جميعًا بصوت منغم اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبهذا انتهت مراسم تحية المسجد الجماعية هذه وأخذ بعضهم يصافح بعضا كمايفعل بعض أهل الأمصار العربية من مصافحة من يكون بجانبه بعد صلاة الفريضة والدعاء له بالقبول.

الأخ الإمام (مصطفى باشينسكي) في حدود الستين من عمره بهي الطلعة مشرق الوجه، عليه سمات الإيمان وقد لبس اللباس الرسمي عندهم لأئمة المساجد وهو جبة سوداء وعلى الرأس عمامة خفيفة قد أديرت حول طاقية حمراء.

كنت أثناء صلاتهم أتأمل داخل هذا المسجد القديم فأجد بناءه من الخشب مثل سائر المنازل هنا وقد طلي من الداخل بطلاء صقيل براق. وقد وضعوا شعار

المسلمين فوق المحراب وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة ولكنهم لم يجعلوه بالرسم وإنما جعلوه بمصابيح كهربائية صغيرة وفق ذوق فني سليم فصار أكثر وضوحًا وأجمل منظراً.

وقد زينوا المسجد بلوحات عربية لاشك في أنه لايوجد بين عامتهم من يفهمها، ولكن ذلك حبا منهم باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ولأن هذا هو رسم المصحف الشريف.

وفي آخر المسجد جزء مخصص للنساء وذلك لكون المسجد - على قدمه - صغير المساحة. إذ ذكروا لنا أنه بني قبل ثلاثمائة سنة ولايعرفون تاريخ بنائه بالضبط. وإنما كتب عليه تاريخ بنائه على هيئته الحاضرة عام ١٩٣٠م.

وهو مثل سائر المساجد الخشبية القديمة هنا ليست له منارة مميزة كالتي تكون عندنا ولكن له قبة ظاهرة بجانبها منارتان صغيرتان أشبه ماتكونان بالرمز للمنارة المعتادة.

ومماينبغي أن يذكر هنا أن اتخاذ المنارة للمسجد أو المنار كما كان أسلافنا القدماء يسمونها ليست عريقة في الإسلام بمعنى أنها لم تكن معروفة في الصدر الأول من السلف الصالح وإنما كان المؤذن يؤذن على أقرب مكان عالٍ من المسجد.

وقد اتخذت المنارة بعد ذلك لتكون أعلى مكان يؤذن منه المؤذن فيبلغ صوته إلى مالايبلغه من يؤذن على مكان معتاد، ثم صارت المنارة شعاراً من شعارات المساجد بل مظهراً من المظاهر الإسلامية المميزة فكنت في أكثر رحلاتي ولقائي بالأقليات المسلمة من حيث العدد في العالم أحثهم على اتخاذ المنارة ورفعها فتكون علامة ظاهرة على وجود المسلمين في هذه البلاد ولتكون داعيًا لمن يريد

أن يعرف عن الإسلام شيئًا أو حتى لمن يريد أن يرى كيف يؤدي المسلمون صلواتهم عسى أن يكون ذلك حافزاً له على الدخول في الإسلام أو على الأقل يبدد ماقد يكون علق في ذهنه من صور مشوهة ومن افتراءات متعمدة بثها الأعداء عن الإسلام والمسلمين.

وقد ذكروا لنا أن سقف المسجد يحتاج إلى ترميم في حدود ألف وخمسمائة دولار أمريكي فوعدناهم بإرسال ذلك إليهم من الرابطة، بل وعدناهم بأكثر من ذلك لأننا لاحظنا أن المسجد ليست فيه حمامات أو أماكن للوضوء رغم كونه يقع وسط ساحة مكشوفة مسورة واسعة فذكرنا لهم أننا سنرسل إليهم من رابطة العالم الإسلامي بعد عودتنا مايكفي لإصلاح السقف وبناء أماكن للوضوء فيه.

التعريف بالوفد:

نهض الأخ السيد (استيفان مصطفى موخارسكي) رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي فألقى كلمة في الحاضرين ترجمها لنا الأخ نجيب الصحراوي تضمنت التعريف بوفدنا ورابطة العالم الإسلامي التي جئنا منها، وذكر لهم خلاصة مادار بيننا وبين المسئولين عن الجمعيات الإسلامية من محادثات وماتفقنا عليه من آراء حول التعاون المشترك في المستقبل.

ثم ألقيت فيهم كلمة قلت فيها من بين ماقلته: نحن إخوانكم من مكة المكرمة جئنا لبلادكم لا لمصلحة دنيوية ولا لغرض سياسي وإنما كان قصدنا السلام عليكم، ودراسة أوجه التعاون المثمر معكم لمافيه المصلحة الدينية هنا، ثم شرحت لهم الأشياء التي يمكن للرابطة أن تقدمها للإخوة المسلمين في هذه البلاد.

ونوهت بكلمتي هذه بقوة تمسكهم بدينهم الإسلامي الحنيف رغم انقطاع

الصلة مابينهم وبين إخوتهم في الحواضر الإسلامية، وعدم حصولهم على المعرفة التفصيلية بأمور دينهم.

ونبهتهم بأن السنة هي في عدم الجهر بالقراءة والدعاء في الصلاة النهارية سواء في صلاتي الظهر والعصر وهما فرضيتان أو في السنة الراتبة أو ذوات الأسباب كتحية المسجد.

كما نبهتهم إلى أن الحركات التي من غير جنس الصلاة تبطل الصلاة وأن السنة هو أن ينظر المصلي إلى موقع سجوده وألا يلتفت يمينًا أوشمالاً في صلاته.

وأخبرتهم بشيء مهم وهو أن وقت الظهر لم يحن بعد، وإلا لكنا صليناها جماعة وإنما صلينا فرادى لأننا صلينا تحية المسجد وهذه هي السنة في تأديتها.

وفي النهاية أحضروا دفتر الزيارات الموجود في المسجد فسجلت فيه كلمة بالعربية عن الوفد تضمنت حمدا لله وشكره الذي هيأ لوفدنا زيارة هذا البيت من بيوت الله والالتقاء بالأخوة المسلمين فيه من أهل (كروشينياني) وما جاورها.

ذبح الخروف أيضًا:

عندما خرجنا من المسجد كان أحدهم يقود خروفًا والآخرون يطلبون منا أن نذهب إلى جهة بجانب المسجد حتى يذبحوه أمامنا لأن هذه هي الطريقة التقليدية للترحيب بالضيوف الأعزاء كمايقولون.

وقد أخذ الإمام (مصطفى باشنسكي) يلقن الذي يريد أن يذبح الخروف الجملتين اللتين تقالان عند الذبح وهما بسم الله والله أكبر غير أن أحد الزملاء أعضاء الوفد أخذ السكين حين تردد الذابح في ذبح الخروف وذبحه وهو يجهر

بهاتين الجملتين ليعلم الجميع ذلك.

وذبح الخروف هنا هو رمز للتكريم وإلا فإننا سوف نغادر المدينة بعد وقت قصير وقد أخبرونا أن العادة المتبعة أن يقسم لحم الخروف على بيوت المسلمين.



ويذكر هنا أن بلدة (كروشينياني) هذه هي من أقدم مواطن المسلمين في هذه المنطقة ومع ذلك فإن عدد المسلمين فيها ليس كثيراً، وإنما توجد أكثرية المسلمين في القرى المجاورة لها.

وذكروا أن المسلمين الأوائل قدموا من بلاد البلغار وهي في هذا الوقت الحاضر بلاد التتار بأصولهم المغولية وأنهم أبناء عم التتار الذين خربوا البلاد التي تغلبوا عليها ودمروا المدنية فيها عندما اندفعوا بقيادة هولاكو وجنكيزخان.

وإلا فإن البلغار قد استوطنوا في بلادهم البلغارية التي عرفهم المسلمون

العرب بها قبل عهد هولاكو وجنكيزخان بقرون بل قال بعضهم: إن ذلك كان قبل البعثة المحمدية بزمن يسير أو عند البعثة وقد اعتنقوا الإسلام طواعية ومن دون غزو أو إكراه في آخر القرن الرابع الهجري وواضح أن ذلك كان قبل وصول التتار للبلدان العربية بكثير.



قرب مسجد كروشينياني مع الشيخ سالم السالم عضو الوفد

وعاصمة بلاد التتار الآن هي (قازان) ويسميها الروس عاصمة جمهورية تتارستان ولهم بلاد أخرى (في جمهورية روسيا الاتحادية) وفي القسم الأوروبي من الاتحاد السوفييتي وقد ذكرت شيئًا عن حال تلك البلاد والمسلمين فيها في الوقت الحاضر في كتاب «زيارة للمسلمين في الاتحاد السوفييتي» الذي كتبته قبل الوصول إلى بولندا.

في مقبرة المسلمين:

للمسلمين في بولندا عناية كبيرة بمقابرهم وذلك من دون أن تحملهم تلك

العناية على البناء على القبور أو تشييد الأضرحة المشرفة فقد برأوا من ذلك وإن لم يبرأوا من بعض البدع التي أدخلت في الدين دون أن يعرفوا أنها ليست منه في شيء.

وربما كان السبب في ذلك كون المسلمين كانت لهم مقابرهم الخاصة المتميزة عن مقابر الأغلبية من المواطنين المسيحيين وكان شعارها شعار المسلمين الشائع في العالم وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة وهو الهلال الذي تتوسطة النجمة فكانت المقابر بمثابة الشيء المميز عندهم حيث لاتكاد توجد أشياء ملموسة محسوسة تميزهم عن الآخرين في المظهر ماعدا المساجد التي هي قليلة العدد هنا مع الأسف.



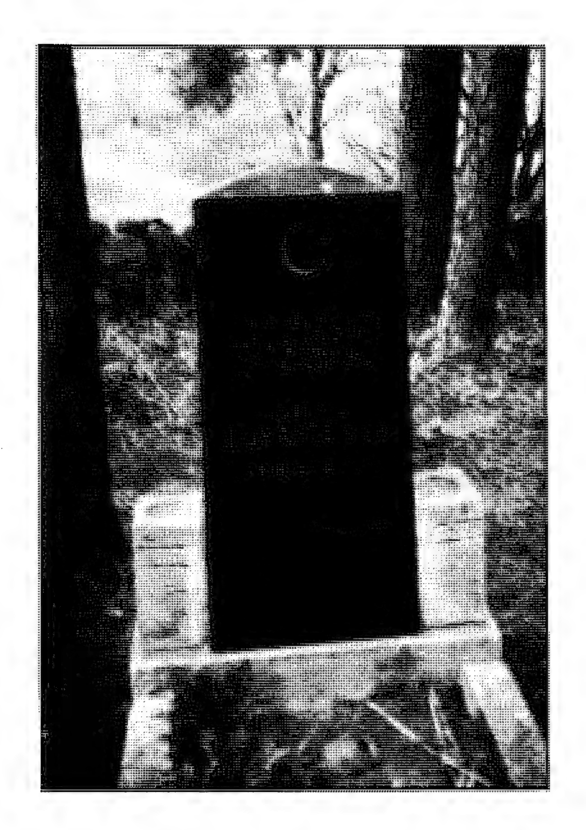
وفد الرابطة مع رئيس المسلمين في كروشيناني في الطريق من المسجد إلى المقبرة

انطلقنا سيراً على الأقدام في وجو ريفي ربيعي إلى المقبرة التي تبعد بحوالي ثلاثمائة متر عن المسجد فألفيناها كما ذكرت خالية من الأبنية العالية حتى القبور لم نر فيها حتى واحداً مرفوعًا عن الأرض أكثر من شبر وإنما أكثرها ذات شواهد حجرية أو رخامية مرتفعة مكتوب عليها اسم صاحب القبر وفوق ذلك الشهادتان في العادة مكتوبتين بالعربية بخط عربي جميل ثم أسفل من ذلك تاريخ ولادة الميت ووفاته باليوم فمثلاً كان أول قبر وقفنا عنده عند الدخول إلى

المقبرة مكتوبًا على شاهده وهو الحجر الذي ينصب عند رأس الميت ليدل على أن هذا قبر عندما يندثر القبر الذي لم يكونوا يرفعونه كما قدمت (لاإله إلا الله محمد رسول الله) وتحت ذلك شعار المسلمين: الهلال والنجمة. ورأينا آخر مؤرخًا في عام ١٨٩٩م.

وبعض الشواهد عليها الكتابة باللغة الروسية وذلك عندما كانت هذه المنطقة تحت النفوذ الروسي في عهد القياصرة.

ورأينا قبراً كتب عليه بالعربية: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، لاإله إلا الله محمد رسول الله» ثم اسم صاحب القبر (خليل بن داود) وتاريخ وفاته عام ١٩٢٨م.



شاهد على أحد القبور في بولندا

والمقبرة واسعة مسورة بسور من الحجارة وفيها أشجار باسقة ممايدل على قدم المقبرة حيث لم تقطع وقد أخبرونا أنها قديمة بالفعل وأن تاريخها يرقى إلى ثلاثمائة سنة وأنها أسست من المهاجرين التتار الأوائل الذين قدموا إلى هذه المنطقة من بلادهم المجاورة لبلاد الروس حيث أقاموا المسجد والمقبرة الخاصة بهم.

وذكروا أنهم قد اشتروا توسعة لها منذ عهد قريب رغم كونها واسعة لأنهم لايريدون أن يضطروا إلى أن يقبروا أكثر من شخص في القبر الواحد.



وذكروا شخصًا محسنًا من أهل الكويت وهو تاجر له علاقات تجارية مع بولندا واسمه (علي التريكي) قد ساعدهم على شراء التوسعة لهذه المقبرة.

وواصلنا السير في المقبرة بين الأشجار الباسقة التي غرقت جذوعها كما

غرقت أقدامنا ونحن نسير فيها بالحشائش النضرة وقد تفرق القوم الذين لهم أقارب مدفونون فيها يسلمون على قبورأقاربهم وذويهم.



ومنهم أخت مسلمة اسمها (فاطمة رومانا) وقفت على قبر وجاءت إليَّ وهي في غاية التأثر لتقول إن هذا هو قبر ابنها الذي عاش تسعًا وأربعين سنة ومات في العام الماضي ١٩٨٥م) وقد كتبوا على قبره بالعربية (بسم الله الرحمن الرحيم، لاإله إلا الله محمد رسول الله) وبالبولندية عبارة (الله أراد ذلك)، وبعدها: العائلة بعدك في حزن والتوقيع: أمك وأختك.

وذلك لأنهما اللتان أنفقتا على شراء هذا الشاهد والكتابة عليه وذلك أمر رغم عدم غلائه لايقوى عليه بعض الناس لكون الدخل عند أكثر الناس محدوداً في هذه البلاد الشيوعية التي قد تدهور الاقتصاد فيها في السنين الأخيرة

ولايزال في انحطاط ومن القبور التي حرصوا على أن نقف عندها ونسلم على أهلها قبر إمام سابق للمسجد ذكروا أنه أول من دفن في هذا الجزء الجديد من المقبرة الذي هو التوسعة الحديثة.



يضعون أيديهم فوق القبور عند الزيارة

وقد التقط الرفاق ومصورون مسيحيون فيهم صحفيون صوراً لهذه الزيارة ولأهل القرية وهم يقفون بصمت وتأثر أمام قبور ذويهم يتلون عليها سورة الفاتحة كما هي عادتهم.

وقد أخبرتهم بالدعاء الذي ينبغي أن يقال عند القبر بعد السلام على الميت وتسميته باسمه الذي كان يحب أن يدعى به في حياته ثم الدعاء المأثور.

ومن ذلك أن رئيس المسلمين في (كروشينياني) هذه الأخ إبراهيم تالكوسكي، أراني قبر والديه وقد دفنا متجاورين وطلب مني الدعاء لهما

ففعلت.



السلام على قبري والدي الأخ إبراهيم تالكوسكي رئيس الجمعية الإسلامية في كروشينياني وقد دفنا متجاورين

إلى بلدة بوخونيكي:

كتبتها هنا كما سمعت باسمها أول مرة ثم سمعتهم يقولون في بعض الأحيان: بوخونيكا فسألتهم عن الصحيح من اللفظين فأجابوا بأنهما صحيحان كلاهما وإنما الكسر والفتح بحسب موقع الكلمة من الجملة فهم هنا يفعلون كما نفعل بأواخر الكلمات في لغتنا الفصحى حيث تتغير الحركة في أواخرها حسب موقعها من الإعراب.

ودعنا أهل (كروشينياني) وتبين أنه وداع إلى لقاء إذ ركبوا في حافلة تبعتنا إلى بلدة (بوخونيكي) وغادرنا كروشينياني جهة الشمال الغربي تاركين الحدود السوفييتية التي هي جمهورية أوكرانيا السوفييتية على أيماننا ونحن نراها رأي العين والطريق ازفلتية حسنة إلا أنها غير واسعة وتخترق ريفًا مزروعًا بالقمح والبطاطس وأما الأشجار التي فيه فإنها كلها من أشجار

الغابات وليست من أشجار الفاكهة النافعة.

ورأيناهم هنا يصنعون مايصنعه أهل الاتحاد السوفييتي وهو أنهم يكتبون اسم البلدة التي يغادرها الطريق مضروبًا عليه بخط أحمر ليدل على مغادرة البلدة.

ومررنا بمستنقع فيه طيور بيض من طير الماء ولاصائد.

قرية شوجاووفو:

مر الطريق بقرية ريفية فيها بيوت خشبية كسائر البيوت الريفية في البلاد ولكن أعلى مافي هذه القرية هو برج كنيستها. ويذكر هنا أن حركة نشطة لبناء الكنائس قد بدأت منذ عشر سنوات عندما تراخت قبضة الشيوعية فاضطرت تحت الضغط للسماح ببناء الكنائس حتى قيل إنه قد بنيت منذ ذلك الحين أكثر من ألف كنيسة جديدة.

وتبعد بلدة (بوخونيكي) عن (كروشينياني) التي غادرناها بسبعة وعشرين كيلو متراً.

صناديق الطريق:

رأينا على جانب الطريق صناديق صغيرة مرفوعة فوق أخشاب مقامة على جانب الطريق وتكررت رؤيتها فأخبرنا المرافقون أنها أقيمت هكذا من أجل أن يوضع فيها الحب ونحوه لإطعام الطيور في أشهر الشتاء التي يتواصل فيها سقوط الثلوج حتى تغطي وجه الأرض بل ترتفع فوقه حتى تطم على ماقد يكون في الأرض من طعام للطيور فلاتجد ماتأكله.

فأقاموا هذه الصناديق لكي تقع عليها الطيور وتلتقط منها الحبوب، وقد غطوا أعلاها وجعلوا لها فتحات من الجانب الذي يلي الطريق مع قسم صغير بارز يقع عليه الطير عند التقاط الحب.

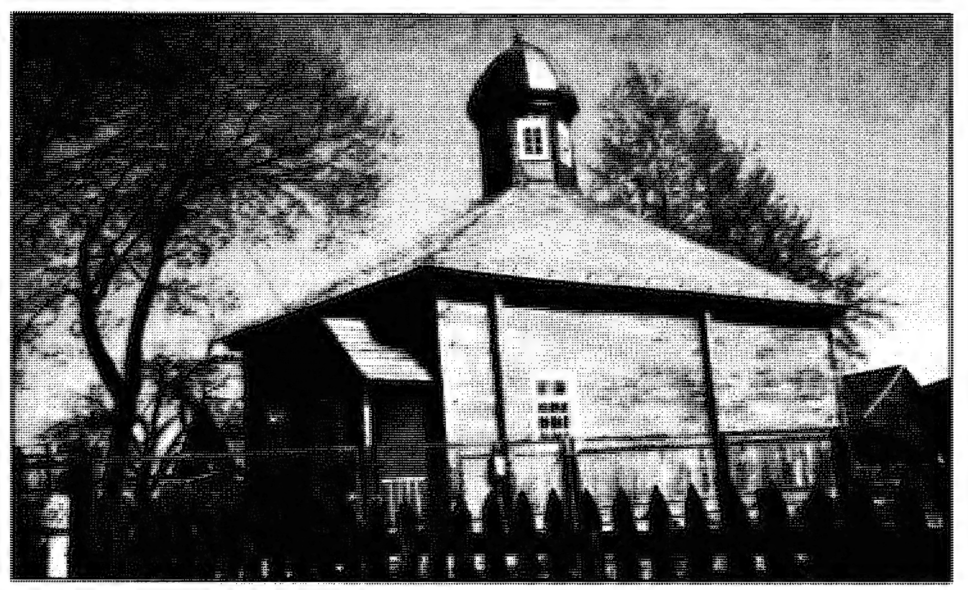
وذكروا أنهم صنعوا مثل ذلك أو شبيهًا به في الغابات للغزلان ونحوها يضعون لها الذرة والعلف.

ثم وصلنا قرية صغيرة اسمها (درهلا) ذكروا أن سكانها من المسلمين الذين هم من التتار مثل سائر المسلمين في هذه المنطقة التي تشمل جزءاً من بولندا وجزءاً من الأراضي الروسية التي كنا نشاهدها من الطريق.

هذه بوخونيكي:

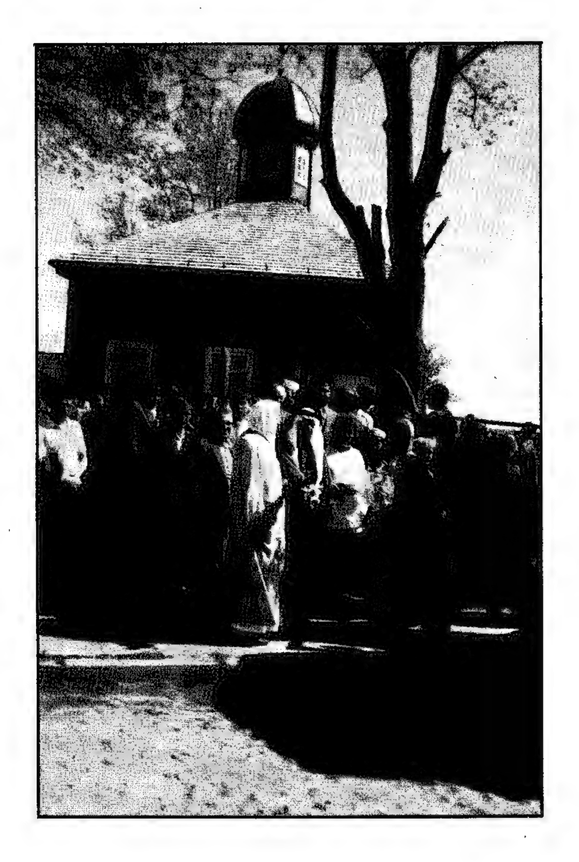
في الثانية إلا ربعًا وصلنا بلدة بوخونيكي فدخلناها مع شارع مهمل على جانبه البيوت الخشبية وبعض الأسمنتية وكلها ذات سقوف مسنمة.

فقصدنا مسجداً فيها قديمًا لأنها عريقة في الإسلام مثل القرية التي زرناها قبلها وهي (كروشينياني) فوجدنا جماعة المسلمين في الاستقبال عند باب المسجد على رأسهم الأخ (استيفان مصطفى باشينسكي) رئيس الجماعة الإسلامية هناك والإمام (سليمان حرزافيتش) إمام المسجد إلى جانب عدد كبير من الرجال والنساء تبين أن بعضهم كانوا ممن التقينا بهم في (بياوستوك) من أهل هذه المنطقة، وبعضهم ممن كانوا معنا في القرية التي قبلها وسبقونا على حافلة كبيرة كانوا قد استأجروها لهذا الغرض.



مسجد بوخونيكي

وكانت التحية هنا من المسلمين هي خبز وملح بعدهما الماء قدمها شاب من أبناء المسلمين، وباقة من الزهور قدمتها الأخت الآنسة (عائشة اليزابيتا سولكارفيتش) نائبة رئيس الشباب المسلم وقالت وهي تقدم الزهور: إنني باسم شباب المسلمين في بوخونيكي وماحولها أحيي الرابطة وأقدم لك هذه الباقة من الزهور.



عند مسجد بوخونيكي في بولندا

صلاة الظهر:

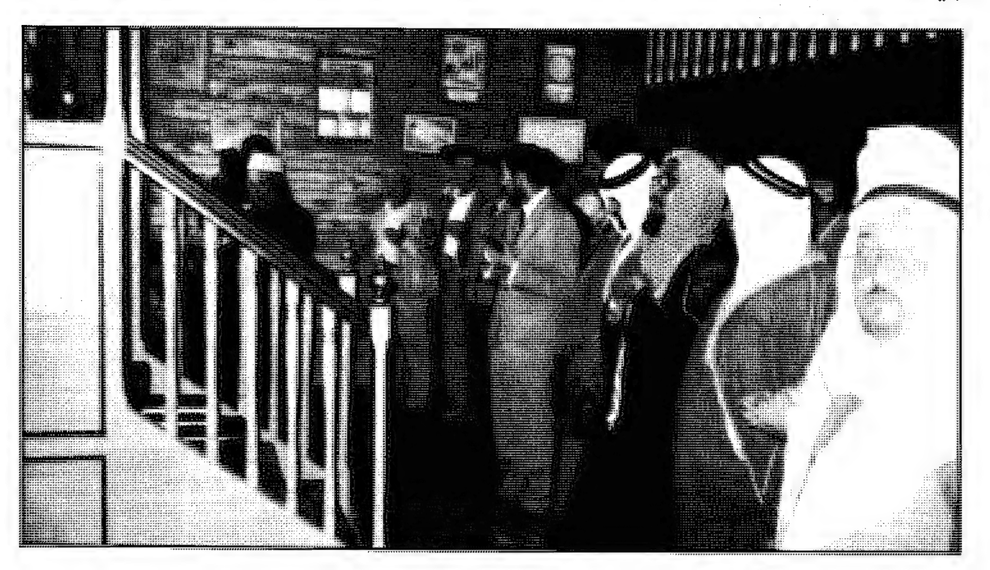
كان موعد صلاة الظهر قد حان وكنت بحاجة إلى الوضوء ولم يكن هناك

محلات للوضوء ولاحمامات عامة في المسجد فأحضر أحدهم ماء في إناء وجعل يصب عليَّ منه وأنا أتوضأ وبعض المصورين يلتقطون الصور وأحد المسلمين يصور الوضوء كله بمصورة تلفازية حديثة تبين أنه كان قد أحضرها من أحد بلدان الخليج العربي حيث كان قد ذهب للعمل إلى هناك.

ولم أكره حرصهم على تصوير الوضوء وذلك برجاء أن ينتفعوا منه لقلة فقههم في الدين.

وقد حضر المصورون من غير المسلمين الذين حضروا لتصوير هذا الحدث الذي يعتبره بعضهم كبيراً ألا وهو أول زيارة لوفد إسلامي من المملكة العربية السعودية.

ثم دخلنا المسجد وهو مقام من الخشب وله قبة صغيرة مميزة يعلوها شاهد ومنارة رمزية قصيرة من الخشب أيضًا ويزدان داخله باللوحات العربية منها البسملة و (إنما المؤمنون إخوة)، وعلى المحراب كتبت الشهادتان بخط غير جيد.

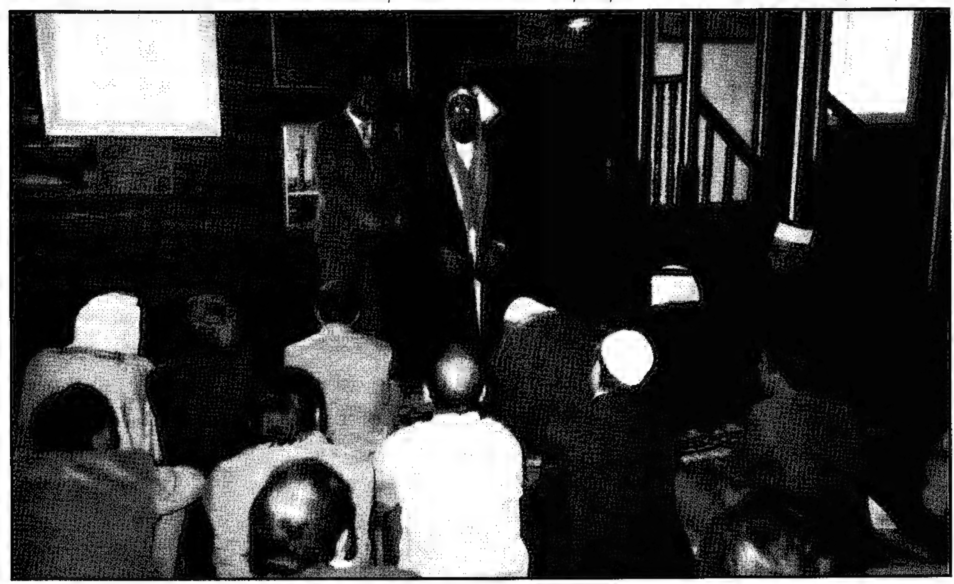


الصلاة عند مسجد بوخونيكي

والمسجد ضيق لذلك لم يجعلوا قسمًا منفصلاً منه لصلاة النساء وإنما جعلوا ذلك شرفة في آخره يصعد عليها بدرج من الخشب أما سائر المسجد فهو أصغر قليلاً من مسجد (كروشينياني) وقد ذكروا أنهم قد أجروا فيه ترميمًا قبل سنتين ولديهم مخطط توسعته وذلك لكونه تتبعه أرض واسعة وقد شجعناهم على ذلك ووعدناهم بأن نساعدهم على التوسعة وذكروا أنهم قد جمعوا حتى الآن أربعمائة ألف زولوتي لهذا الغرض وذكروا أن الدولة ستساهم بربع النفقات على اعتبار أن هذا المسجد مثل المسجد الذي قبله من الآثار القديمة التي تحرص الدولة على إبقاء الطابع التاريخي الخاص لها وذكروا أنهم يحتاجون إلى ثمانية ملايين زولوتي أو ما يساوي خمسة آلاف دولار أمريكي. وهو مبلغ ضئيل وعدناهم بإرساله إليهم إذا بدأوا بالتوسعة.

وقد أذن المؤذن لصلاة الظهر ثم أعقب ذلك بالإقامة بسرعة وصلوا الظهر وصلينا معهم ونبهناهم إلى أن السنة هي الإخفاء وعدم الجهر بالقراءة في الصلاة النهارية ولكن الإمام لم يستطع أن يغير عادته في الجهر بالقراءة.

وبعد الصلاة كانت المراسم المعتادة من الدعاء المنفرد والدعاء الجماعي المنغم. ثم تلاوة القرآن الكريم ثم الدعاء بعده ثم قراءة الفاتحة.



المؤلف يتكلم في مسجد بوخونيكي على يمينه المترجم الأخ نجيب الصحراوي

وزادوا على ذلك أنه عند الانصراف من الصلاة والخروج من المسجد قام أحدهم بالدعاء عند إغلاق باب المسجد وذكروا أن هذه عادة مألوفة عندهم.

ثم زرنا موتى المسلمين في مقبرة المسلمين المقابلة للمسجد وهي لاتكاد تختلف عن مقبرة المسلمين في بلدة (كروشينياني) التي زرناها في هذا الضحى من كون العادة عندهم أن يكتبوا على الشاهد الذي ينصب على القبر كلمتي الشهادة والبسملة ويرسموا شعار المسلمين وهو الهلال والنجمة إلا أننا رأينا هنا في عدد قليل من القبور مالم نره في المقبرة السابقة وهو أن يرسموا على الشاهد الرخامي صورة الميت والعجب أنني لم أر الجو قد أثر فيها إلا أن يكونوا رسموها منذ وقت قريب.

وأكثر شواهد القبور تكون من الرخام الأسود اللون، لأن اللون الأسود شعار الحداد كما هو مفهوم في أكثر البلدان الأوروبية في الوقت الحاضر.



عند الخروج من مسجد بوخونيكي

ولاحظنا هنا أن بعض القبور قد نبت فوقها حشائش وزهور. وقد اختلفت إفادات المرافقين فبعضهم قال إنها تغرس غرسًا، وبعضهم قال إنها تنبت عفواً.

وهذه المقبرة هي قديمة أيضًا رأينا على بعض القبور فيها تآريخ من آخر القرن التاسع عشر الميلادي وبعضها قد اندرس ودثر فلم يظهر تاريخه. ويدل على ذلك أيضًا أنها ذات أشجار ضخمة باسقة ممايدل على قدم غراسها.

ومن الكتابات اللافتة للنظر قبر إمام للمسجد كتب عليه اسمه: (يحيى سيسكوفيتش) بن علي وعائشة وتاريخ وفاته ١٩٤٩م واللافت للنظر أنه ذكر اسم أمه بجانب اسم أبيه.

وربما كان استوحى ذلك هو أو من نقشوا اللوحة على شاهد قبره من الحديث الذي جاء فيه أن الملكين الذين يسألان الميت في قبره عن دينه يقولان له يافلان بن فلان يافلان بن فلانة. فيذكرانه باسم أبيه واسم أمه.

ومن الطريف أيضًا في حالة هذا القبر - إن كان في الموت طرافة - ماذكروه من أنه مكتوب على قبر هذا الإمام بالبولندية: أرجو ممن مر بقبري أن يسلم عليَّ.

قالوا: والسبب في ذلك أنه ليس له أهل ولا أولاد يطمع في أن يسلموا عليه كمايسلم الأقارب على أقاربهم.

وقد نفذنا رغبته فسلمنا على قبره ودعونا له بالمغفرة والرضوان.

إلى بلدة صوكوكا:

تبعد بلدة (صوكوكا) هذه سبعة كيلومترات عن بوخونيكي وليس فيها مسجد رغم وجود مائة أسرة فيها من مجموع سكانها الذين يبلغ عددهم عشرين ألف نسمة فإن المسلمين يذهبون لصلاة الجمعة والعيدين إلى بوخونيكي رغم بعدها، كما أنهم يقبرون موتاهم في مقبرة المسلمين هناك.

وصلنا القرية في الثالثة والنصف من بعد الظهر ولم نكن طعمنا شيئًا بعد الإفطار حتى الماء والشاي والقهوة لم نذق من ذلك شيئًا فكانت لنا حاجة إلى

الراحة والطعام وقد تبعنا الأخوة المسلمون الذين كانوا لحقوا بنا إلى بوخونيكي على حافلة كبيرة كانوا قد استأجروها، وذلك من أجل أن يحضروا اللقاء الموسع بالأخوة المسلمين في المنطقة الذي من المقرر أن ينعقد في الخامسة من عصر هذا اليوم.

أول مايسترعى الانتباه عند الوصول إلى (صوكوكا) وجود أبنية أسمنتية كثيرة فيها حكومية ووجود قضبان متعددة للقطارات لأنها تمر بها. وقال لنا الأخ (استيفان مصطفى باشينسكي) رئيس المسلمين في بوخونيكي: إنه يعمل في هذه المدينة في وظيفة مراقب في محطة القطارات.

ورأينا جانبًا من المدينة يقع على بحيرة تفتقر إلى التجميل ولاشك في أن فقر الأهالي وضيق ذات اليد عندهم يعوقهم عن تجميلها وغيرها، كما أن الحكومة الشيوعية تعاني أيضًا من قلة الموارد وكثرة النفقات إضافة إلى الدين الباهظ للمصارف والحكومات الأجنبية التي يجب عليها أن تدفعه بالعملة الأجنبية الصعبة.

وكل ذلك بسبب النظام الشيوعي الذي يعطل طاقات كثيرة من الطاقات الفردية، ويقيدها بنظام الدولة التي هي مجموعة أشخاص لابد أن يكونوا منتمين للحزب الشيوعي الحاكم ويكون المقياس عندهم للصلاحية لشغل الوظيفة هو الإخلاص للحزب قبل الإخلاص للوطن.

مائدة بولندية:

وقفنا عند بيت الأخ الكريم (رمضان ملكا مانوفيتش) ورأيت في متسع صغير من الشارع بناء من الأسمنت يشبه الغرفة الصغيرة لولا أنه ليس له سطح مسقف ومسنم وإنما سقفه محدب قليلاً وهو يشبه الوعاء الكبير (البرميل)

ذكروا لنا أنه يستعمل لخزن البطاطس لكي يأكل منه الناس في الشتاء حيث لاتنتج الأرض شيئًا من الأغذية في تلك الفترة.



مستودع بطاطس

ثم دخلنا إلى منزل الأخ رمضان فصعدنا إلى الطابق الثاني مع درج خشبي كسائر البيت الذي يبدو كأنما هو من الأسمنت وذلك لأنه مطلي بطلاء يشبه طلاء البيوت الأسمنتية.

وقد ذكر لنا الأخ رمضان أن هذا البيت ملك لأسرته وأنه يسكن فيه منهم أكثر من أسرة واحدة.

وجدنا مائدة الغذاء منصوبة وعليها حساء لذيذ وصحون فيها بطاطس مطحون - والبطاطس هنا من الأغذية الرئيسية - وقد وضعوا فوقه زبداً أعطاه مذاقًا حسنًا ودسَّمه.

وقبل تناول الطعام والقوم كل يحاول ألاَّ يمد يده إليه قبل غيره تكلم الإمام الذي كان قليل الكلام، فقال: لابد من الدعاء قبل تناول الطعام، وقال أحدهم بالعربية التي لايفهمها القوم: لماذا لايكون الدعاء أثناء الأكل وكف الجميع

أيديهم ورفعوها بالدعاء خلف الإمام وإن كانت عيونهم لم ترتفع كثيراً عن اللحم أو الإدام.

فقد جاءوا بلحم مقلي مغطي بالدقيق. وبشواء من الكباب اللذيذ.

وبمانسميه في الحجاز باليغمش وهو أكلة بخارية دسمة يصنعها أهل البلدان الباردة وتكون على هيئة قريبة من هيئة (السنبوسك) إلا أنها رخوة. ومع ذلك خضروات قليلة لأنها أغلى الطعام عندهم بسبب كونها لاتنمو في الشتاء إلا في داخل بيوت زجاجية أو من اللدائن وهي مكلفة ثم خبز محلي.

وقد أكلنا هنيئًا مع هؤلاء الأخوة المحبين الكرام، ودارت على الطعام أحاديث كثيرة مفيدة تناولت أمور الدنيا وأمور الدين وأموراً ليست بذات أهمية منها سؤالهم عماهي عليه درجة الحرارة في مكة المكرمة والرياض في هذه الأيام؟ فقلت لهم: إنها في مكة تبلغ في النهار أربعين درجة وفي الليل خمسًا وعشرين فوضع عدد منهم أيديهم على رؤوسهم مخافة أن يصلها الحر أو لوقايتها - بطريقة لاشعورية - عن أشعة الشمس اللافحة في درجة الحرارة التي تصل الأربعين درجة مئوية.

فقلت لهم: إنها في الرياض الآن خمس وثلاثون في النهار في المتوسط ولكنها قد تصل في مكة والرياض في نهار الصيف إلى خمس وأربعين وست وأربعين فتعجبوا من ذلك وأعظموه. وقال الأخ رمضان صاحب البيت: نحن إذا وصلت درجة الحرارة عندنا ثلاثًا وثلاثين درجة - وقلماتصل - فإن عدداً من الناس يصابون بالإغماء فقلت له: كم بلغت درجة البرودة عندكم هذا العام؟ فقال: تدنت إلى سبع وعشرين درجة تحت الصفر!.

فقلت له: إن بني قومنا إذا وصلت درجة الحرارة إلى التجمد لم يستطع بعضهم العمل.

فقال: نحن لانهتم بذلك ونعمل في الدرجات المتدنية من الحرارة.

قلت: لكونكم قد اعتدتم على ذلك وأخذتم الأهبة له من الملابس وغيرها حتى بالنسبة لخزن الأغذية. ونحن كذلك نأخذ لشدة الحر أهبته فنكيف المنازل والمكاتب وحتى الحافلات والسيارات تكون في الغالب مكيفة مبردة.



بيت في صوكوكا

وقد أدينا صلاة العصر بهم جماعة وصليت بهم بناء على طلبهم فأخبرتهم بأنني سوف أصلي كما ورد عن النبي ﷺ ورجوتهم أن ينتبهوا لذلك. كما أنني بعد السلام قد دعوت بالدعاء المأثور ثم التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين. وهو أمر مختصر جداً بالنسبة إلى مايفعلونه من الدعاء الجماعي وغير الجماعي وتلاوة القرآن ثم الفاتحة ولوازم أخرى للدعاء مثل أن يقولوا في خاتمته: سبحان ربك رب العزة عمايصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ومع أن هذا دعاءشرعي لاغبار عليه فإن اعتقادهم بأنه لازم بعد الصلاة لايجوز الإخلال به هو الذي لاينبغي، بل إنهم لجهلهم بأمور الدين أخذوا أنفسهم بإضافة ركعات التطوع سواء منها السنن الراتبة وغيرها إلى الصلوات فقالوا

لنا مثلاً - واللفظ لإمامهم الذي يؤمهم في الصلاة: إن صلاة الظهر عشر ركعات منها أربع قبلها سنة وأربع فرض وركعتان بعدها سنة. وهكذا.

ولقد أفهمناهم ذلك برفق بعد أن قلت لهم - صادقًا - إننا لانلومكم على عدم معرفتكم بهذه الأمور، بل إننا نشكركم ونقدر لكم تمسككم بأمور دينكم طيلة القرون رغم انقطاع الصلة بينكم وبين إخوتكم المسلمين في الحواضر الإسلامية، وعدم وجود علماء متخصصين في الشريعة الإسلامية بينكم.

الاجتماع العام:



الاستقبال في صوكوكا

في الخامسة عصراً توجهنا إلى منزل الأخ الكريم (قسطنطين أتشنوفيتش) حيث وجدنا عدداً من الأخوة المسلمين من رجال ونساء ينتظرون عند النزول فضاقت غرفة الجلوس بهم حتى إن بعضهم جلس على أطراف بعض. وجلسوا على الأرض التي لم يكن من عادتهم أن يجلسوا عليها ووقف بعضهم خارج

قاعة الجلوس التي حصل فيها الاجتماع فامتلأ الممر ووجد البعض أن الجلوس في خارج المنزل قرب النافذة رغم علوها قد يتيح لهم فرصة الاستماع إلى مايجرى من حديث ونقاش.



جانب من الاجتماع العام في بلدة صوكوكا

وقد ابتدأ الكلام الأخ (استيفان مصطفى بوخارسكي) رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي بتقديم أعضاء وفدنا وكان ينطق بأسمائنا نطقًا يزيدها عجمة حتى لايكاد المرء منا يعرف اسمه إذا ذكره في القائمة وذلك لصعوبة النطق بالحروف العربية على ألسنتهم ولاشك في أنه لو أعرب النطق باسمائنا إعرابًا، لما زادها ذلك في آذانهم إلا استغرابًا.

ثم لخص لهم الأحاديث التي جرت مابيننا وبينهم في جلسة المباحثات الرسمية في (بياوستوك). وذكر مااتفقنا عليه في ميدان العمل الإسلامي والتعاون بين رابطة العالم الإسلامي والجماعات المسلمة في بولندا.

واستطرد يقول: إن وفد رابطة العالم الإسلامي رغب في ترتيب جلسة عائلية

مع المسلمين لمعرفة أحوالهم، ودراسة مشكلاتهم، وحل ماقد يعرض من إشكالات أو استفسارات ممايتعلق بأمور دينهم، وأن يكون هذا اللقاء على مستوى عام من المسلمين يحضره كل من أراده منهم وليس مقتصراً على العاملين في الجمعيات الإسلامية دون غيرهم من المسلمين.

ثم تحدث عن أهمية المساجد للمسلمين البولنديين وأنهم يجتمعون اليوم لصلوات الجمع وصلاة العيدين فيأتون إلى المسجد من مسافات بعيدة وذكر على وجه الخصوص رغبة المسلمين في توسعة مسجد (بوخونيكي). وذكر أن الإجراءات القانونية قد تمت حول هذا الموضوع لأن وزارة الثقافة تعتبر مسجدي كروشينياني وبوخونيكي من الآثار التاريخية التي تشرف الحكومة على صيانتها. وقد قام بالفعل قسم صيانة الآثار بوزارة الثقافة بإجراء الترميمات اللازمة للمسجدين، كما أن الوزارة وافقت على مشروع التوسعة المقترحة لمسجد بوخونيكي.



أحد أهالي صوكوكا يلقي كلمته في الاجتماع

ثم ألقيت فيهم كلمة بالعربية ترجمها إلى البولندية كما ترجم لنا الكلمة قبلها إلى العربية الأخ (نجيب الصحراوي) الذي كان نعم المترجم الدليل للوفد فحييتهم باسم المسلمين من سكان الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة وحملت إليهم تحية إخوانهم المسلمين في أنحاء العالم الذين تمثلهم رابطة العالم الإسلامي وتشترك الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في سائر الدنيا بممثلين لها في الرابطة وبوجود أوجه متعددة للتعاون معها.

وقلت لهم: إن تمسكهم بدينهم وعدم التفريط به على مر القرون وتعاقب السنين يدل على إخلاصهم لدينهم وشدة الحرص عليه، وأن آباءهم كانوا من المسلمين المخلصين الذين لقنوا أبناءهم الدين الإسلامي حتى وإن لم تتوفر لديهم المعرفة التفصيلية الكاملة بأحكام الشريعة.

وذلك بالرغم من الصعوبات بل التحديات والعوائق الكثيرة.

وتطرقت إلى أهم نقاط المباحثات مع رئيس مجلس الاتحاد الإسلامي ورؤساء الجماعات الإسلامية ثم قلت: إذا فكر المسلمون في سكوكا في بناء مسجد لهم في هذه المدينة فنحن على استعداد للمساهمة معهم في ذلك لأن مسجد بوخونيكي بعيد عليهم فإذا تمكن المسلمون من شراء الأرض وبدأ البناء بتبرعاتهم فالرابطة ستساهم بمايكفي إكمال البناء والمسئولية كلها على المسلمين في الاهتمام وشراء الأرض والشروع في البناء والمسجد هو مكان لصلاة المسلمين والحج هو الزيارة لبيت الله الحرام في مكة المكرمة في العمر مرة ولاتجزى عنه الزيارة إلى أي مكان في العالم.

ثم وجه بعض المسلمين الأسئلة إليّ فكان منهم السيد استيفان مصطفى باشينسكي رئيس الجماعة في بخونيكي فقال: مائة طفل مسلم تقريبًا يذهبون إلى المدارس الحكومية ولايوجد مكان لتعليم أطفال المسلمين التعليم الإسلامي باللغة العربية وعلى هذا نفكر في إقامة مدرسة إسلامية.

فقلت له: يمكن اتخاذ المسجد مكانًا لتعليم الأطفال أحكام ومبادئ الإسلام

في أوقات الفراغ وأيام العطلات الأسبوعية. أما إذا فكرتم في إنشاء مدرسة فالرابطة يمكن أن تساعدكم فعملها هو الإسهام في كل عمل إسلامي مفيد.

س: لايوجد في مساجدنا أماكن الوضوء والطهارة؟

ج: لابد من إيجاد أماكن الوضوء وأن يكون قسم للرجال وقسم آخر للنساء والرابطة تساعدكم في ذلك.

س: كيف يتعامل المسلمين السنيون مع عاشوراء وماذا يعملون فيه؟

ج: نخبركم بماجاء في الكتاب والسنة ونحن وإياكم سنيون إن يوم عاشوراء ليس عيداً شرعيا وهو كسائر الأيام ويحسن الصيام تطوعًا في ذلك اليوم ومعه يوم وفي الإسلام عيدان وهما عيدالفطر وعيد الأضحى.

وقد كان يوجد في الحاضرين نسبة من النساء من مختلف الأعمار وإن كان عدد المسناة فيهن هو الأكثر وربما كان هذا أمراً طبيعيًا معتاداً على اعتبار أن الإنسان سواء أكان رجلاً أم امرأة كثيراً مايرجع إلى ربه إذا امتد به العمر.

فقالت امرأة من المسلمات اسمها مريم: أرى أن الأسئلة والاستفسارات قد استأثر بها الإخوة من الرجال وهذا لايمنعني وأنا امرأة من أن أسأل سؤالاً دينيًا لأن الإسلام لايفرق بين المرأة والرجل فيمايتعلق بالواجبات.

فقلت لها إن ذلك صحيح والرسول ﷺ يقول « النساء شقائق الرجال».

ويقول: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وإن اهتمام الأخت المسلمة بالسؤال عمايهمها من أمر دينها دليل على حيويتها وقوة الإيمان في قلبها.

فسرها ذلك وسر النساء أيضًا فقالت:

نحن تلقينا الإسلام عن آبائنا وأمهاتنا الذين ليست لديهم معرفة كبيرة في أمور الدين ولكنهم نقلوه إلينا.

وقد أعطتني أمي مصحفًا كريمًا صغير الحجم، فكان أغلى وأعز ماعندي

وكنت أحمله في أكثر الأحيان، وإذا لم أحمله شعرت كأن شيئًا ينقصني في حياتي وإذا حملته غمرني فيض من الطمأنينة والسكون، وقد قال لي أحدهم: إن لكل دين كتبه ورموزه فالمسيحيون لهم الصليب، واليهود لهم نجمة داود، والمسلمون لهم المصحف الشريف. فقلت: إن هذا غير صحيح لأن منزلة القرآن عند المسلمين لاتدانيها منزلة الرموز المذكورة عند غيرهم. لذا أحببت معرفة حكم ذلك في الإسلام، وإذا قلتم: إن حمل المصحف يجلب الطمأنينة وأنه أمر مرغوب فيه فإنني أرجو أن ترسلوا إلينا عدداً من المصاحف الصغيرة لنوزعها على المسلمين لهذا الغرض لأنها غير موجودة لدينا ولكي نسلمها لأطفالنا كما سلم آباؤنا لنا الدين الإسلامي الحنيف فقلت لها والكلام موجه للجميع: الإسلام دين البساطة والنقاء ولايجعل بين الإنسان وربه كاهنا أو وسيطًا بل المسلم يرجع إلى ربه مباشرة وقال الرسول ﷺ إن التقوى هاهنا وأشار إلى قلبه وقال أيضًا: إن الله لاينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم. ولذلك ففي الحج الناس كلهم يلبسون لباسًا واحداً لاشيء يميز بينهم فالإسلام لاينظر إلى الشكليات ولكن ينظر إلى القلوب وإذا أهدى الأب لابنه المصحف الكريم فهو خير هدية لأنه أعز كتاب عند المسلمين ولامانع من حمل القرآن الكريم إذا لم يدخل به الحمام ولايأتيه النجاسة ولايجب على المسلم أن يحمله معه لأن الرسول ﷺ والصحابة لم يفعلوه وسنرسل إليكم إن شاء الله مصاحف متوسطة الحجم للقراءة والتعلم.

س: في عيد الأضحى يضحي المسلمون ويأتون بالخروف والأغنام إلى المسجد ويطوفون بها حول المسجد ثم يذبحونها في فناء المسجد هل هذا العمل صحيح؟ وهل في تركه من ضرر؟.

ج: نحن مكلفون بأن نفعل مافعله الرسول ﷺ وقد ثبت أن الرسول ﷺ ضحى بكبشين ولم يحدد مكان الأضحية والسنة أن يضحي المسلم في أي مكان متيسر وإذا تم ذبح الأضحية في فناء المسجد أو في مكان عام فلابأس من ذلك إذا كان الغرض هو توزيعه على الفقراء وإذا ذبحه في منزله أو في

غير ذلك فهو يجرى والسنة أن يهدي ثلثه ويتصدق بثلثه ويأكل ثلثه. أما الطواف بالأضحية حول المسجد فلا أصل له في الشرع.

س : فما رأيكم في الأحمدية؟ فقد ذهب بعض الأحمديين إلى إدارة الأديان بطلب تسجيل أنفسهم مسلمين وكتبت وزارة الأديان إلى مجلس الاتحاد الإسلامي تطلب مرئياتنا وقد أجبناهم بأنهم غير مسلمين فهل هذا العمل صحيح؟

ج : هذا العمل جيد وتجازون عليه بالثواب وقد أصدرت عدة جهات إسلامية مثل جامعة الأزهر ومجلس الفتوى في باكستان وهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فتاوى بأن الأحمدية غير مسلمين ويمكن طلب تلك الفتاوى من الرابطة.

وقد سر المسلمون لهذا الاجتماع الذي تم مع وفد الرابطة والمقترحات التي عرضها لمساعدتهم في تفهم أحكام وتعاليم دينهم الحنيف وكان يظهر على المجتمعين وهم من الرجال والناء والصغار رغبتهم في التعلم وإحساسهم بالمشاكل المحيطة بهم وأنهم يجهلون كثيراً من أحكام دينهم وأن عليهم التعليم وخشيتهم على أبنائهم وأطفالهم من الجهل والذوبان في المجتمع المسيحي.

ويبدو أن أعداد المسلمين في السابق كانت أكثر مما عليه حاليًا بسبب الجهل بالدين وحتى الأقلية الإسلامية المعاصرة التي تشعر بانتمائها إلى أسر إسلامية حكمت المنطقة في القديم لم يبق لها من الأقلية الإسلامية إلا الانتماء الحسي للإسلام لذلك يجب على المؤسسات الإسلامية في الحواضر الإسلامية أن تعمل لاستدراك حالها، حتى تحول دون ضياعها في هذه المنطقة من العالم، وبخاصة أن عند الأقلية المسلمة قابلية ورغبة لاسترجاع ماضيها الإسلامي والتمسك بأهداب الدين الحنيف.

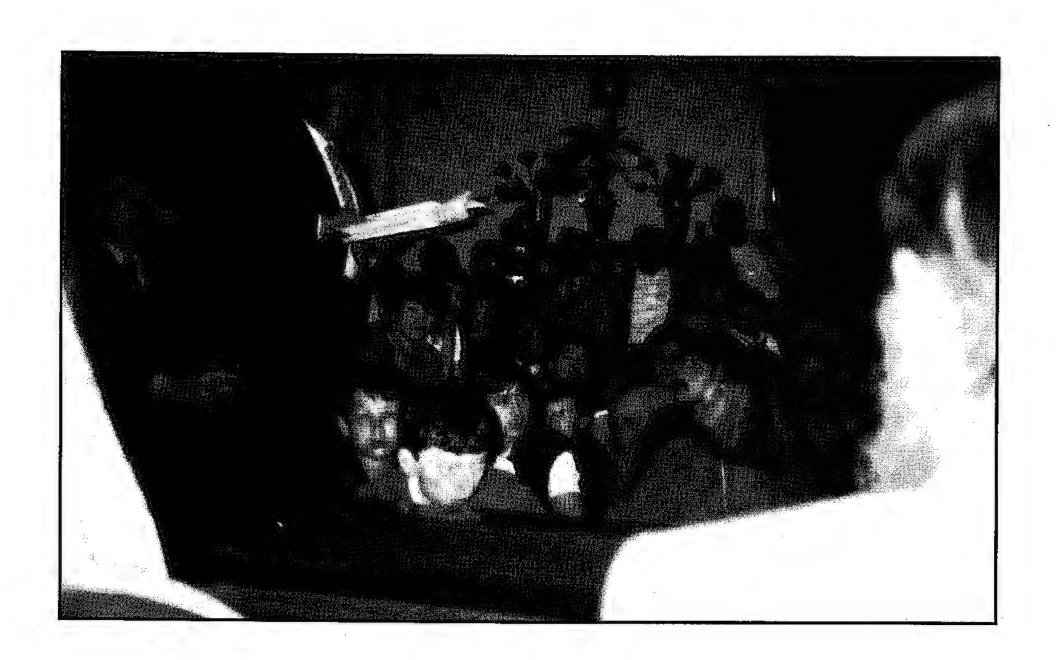
وقد انطلقت ألسن الأخوات المسلمات في طرح الأسئلة ومعرفة رأي الوفد في أجوبتها.

وقدمن طلبًا بأن تلتقط لهن صور تذكارية مع أعضاء الوفد لا يشاركهن الرجال وكان ذلك بعد انتهاء الاجتماع الذي كان في السابقة والنصف بعد أن استغرق ساعتين ونصفا.

همس القوارير :

عقب التصوير الذي لم ترض الأخوات المسلمات بأن يقتصر في صورة واحدة، وقد اختارت واحدة برزة منهن - والبرزة هي التي لاتستحي من أن تقول ماتستحي منه الأخريات - اختارت أن تلتقط لها صورة وهي بجانب رئيس الوفد وهي امرأة نصف في حدود الخامسة والثلاثين فلما امتنعت عن ذلك أمسكت بيدي فيما يشبه الإجبار.

وبررت ذلك بأن تبرجهن لايمنعهن من ذلك فأمرت بتوزيع علب صغيرة من تمر المدينة عليهن فكان لذلك وقع حسن في نفوسهن.



وقلت لهن من باب المجاملة والرجاء : إلى اللقاء في مكة المكرمة في الحج والعمرة فتكلمت المرأة مع المترجم الأخ نجيب الصحراوي بكلام ضحكت له الأخريات. وقال الأخ الصحراوي: إنه يصعب عليّ أن أترجمه فقلت له: لا مانع من ذلك، فقال وهو لايكاد يقوى علي النطق به حياءً وخجلاً: إنها تقول: إنكم ترون أن فتياتنا المسلمات البولنديات جميلات فلم لا يختار كل واحد منكم واحدة منهن يتزوج بها فاستغرق الجميع في الضحك لهذه الدعابة الخفيفة، فقلت لهن: إنني ليس لدي مانع من ذلك بشرط أن توافق عليه زوجتي، فقال: مريم: إنني والله أرضى أن أكون الزوجة الثالثة أو الرابعة وأن أذهب معكم إلى بلادكم.

وكانت هذه الدعابة الخفيفة مسك الختام لهذا الاجتماع العام.

ثم عدنا إلى منزل (رمضان ملكا مانوفيتش) لتناول العشاء فكانت جلسة طيبة أيضًا في بيته حضرها مصطفى موخارسكي رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي.

وقد أضاف مضيفنا الأخ رمضان إلى الأصناف التي قدمت في الغداء أنواعًا من الحلوى التي تصنع في المنطقة وجبنًا لذيذاً طازجًا وعسلاً مصفى.

العودة إلى بياوستوك :

في الساعة الثانية والنصف غادرنا بلدة (صوكوكا) بعد توديع الإخوة المسلمين عائدين إلى مدينة بياوستوك على حافلتنا الوحيدة التي زاد عدد ركابها ولم تضق بهم.

وكانت الشمس قد غربت في الثامنة إلا ربعًا ولكن الجو كان مسفراً إلى درجة يخيل للمرء منا إذا رآها أن الشمس لم تغرب بعد واستمر النور فترة طويلة ونحن نشاهده أثناد سيرنا في الريف - وذلك راجع إلى طبيعة البلدان

الشمالية القصية في فصل الربيع والصيف حيث يكون ظل الأرض من جهة الشمال ليس سميكًا كما هو عليه الحال في المناطق الاستوائية وما قرب منها بطبيعة الحال.

وكلما اقترب المرء من القطب الشمالي زاد طول النهار وقصر الليل في الصيف، وحتى في بعض البلدان الشمالية المسكونة لايغيب الشفق في الغرب حتى يطلع الفجر من الشرق كما تقدم.

وكانت العودة إلى (بياوستوك) من طريق آخر غير الطريق غادرناها معه وهو طريق أزفلتي لابأس به إلا أنه غير واسع.

وقد استغرق الوصول إلى مدينة بياوستوك ساعة إلا ربعًا ومسافته اثنان وأربعون كيلومتراً.

يوم الجمعة ٢٣ شعبان ١٤٠٦هـ ٢ مايو ١٩٨٦م.

استمر حديث الإذاعات العالمية البارحة وصباح اليوم عن الوباء الذري القادم من تشيرنوبل فى الاتحاد السوڤييتي وجاء في الأخبار العالمية أن انفجار المفاعل النووي السوڤييتي هو أخطر مما ذكر لأول وهلة وقد صرح أحد القادة الروس بأنه كارثة وأنه يساوي انفجار قنبلة ذرية في الجو.

وجاء في الأخبار العالمية أن سقف المفاعل قد انهار بالفعل، وهذا يعني تسرب غازات نووية أكثر في الجو.

ومع ذلك أخبرنا الإخوة المرافقون أن الحكومة البولندية صرحت اليوم بأن نسبة الإشعاع في جو بولندا قد انخفضت بعد أن كانت قد زادت عن المعتاد بخمسمائة ضعف.

مغادرة بياوستوك :

ستكون مغادرة مدينة بياوستوك في صباح هذا اليوم إلى مدينة غدانسك

فكانت البداءة بدفع أجرة الفندق فكان المفاجأة هي الرخص التام إذْ بلغت أجرة الشقة التي أقمت فيها تسعة آلاف زولوتي ويساوي ذلك أربعة عشر دولاراً أمريكيًا في اليوم.

أما غرف الرفاق وهي منفردة ولكن في الغرفة سريران فكانت بأربعة الاف أي حوالي ستة دولارات بالصرف الحر وهو الذي دفعنا الأجرة به.

وعندما أردنا الخروج من الفندق طلب القائمون عليه أن نسجل كلمة لهم في دفتر الزيارات في الفندق وهو سجل يكتب فيه نزلاء الفندق شعورهم نحو أهل الفندق ونحو أهل البلاد إذا كانوا من ذوي المكانة المرموقة.

وقد كتبت كلمة بالعربية لا أدري من يترجمها لهم غير أن أخانا ومرافقنا (نجيب الصحراوي) المغربي قد ترجمها لهم مشافهة.

وقد منحت العاملين فيه حلوانا (بخشيشًا) أرضاهم وهو عشرة آلاف زولوتي ويساوي نصف راتب طبيب أو مهندس قديم التخرج أو ثمن بدلتين بيد أنه بالنسبة إلينا تافه إذ هو في حدود خمسة عشر دولاراً بالصرف الحر.

أين التقدم؟

تبلغ المسافة ما بين (بياوستوك) و (غدانسك) أربعمائة وثمانين كيلو متراً كما أخبرنا الرفاق وهي مسافة بالنسبة لقوم مثلنا يهمهم الوقت غير أنه ليس هناك وسيلة أسرع من السفر بالسيارة لأن مدينة بياوستوك الجميلة المتسعة التي هي عاصمة محافظة مهمة في محافظات البلاد، ويبلغ عدد سكانها حوالي مائتي ألف نسمة لا يوجد فيها مطار فهل هذا من التقدم؟ أم أنهم سيقولون: إن السبب في ذلك أنها لا تبعد عن العاصمة إلا بحوالي مائتي كيلو متر ولذلك لا تستحق أن يكون فيها مطار، فنقول: إن الأسفار من المدن لاتقتصر على العاصمة وحدها فمثلاً في حالة كحالتنا هذه نحن نسافر إلى

غدانسك وليس إلى العاصمة.

وشيء آخر فنحن منذ أن وصلنا نحاول أن نجد وسيلة نهاتف بها أهلنا في المملكة لنطمئنهم على أننا بخير بعد أن انتشرت أنباء انفجار المفاعل النووي السوڤييتي ونحن في تلك البلاد، فأخبرونا بأن الاتصال بخارج البلاد غير ممكن من غير العاصمة وارسو فأردنا أن نتصل بالهاتف إلى العاصمة القريبة فلم نستطع وحتى الأخ نجيب الصحراوي حاول أن يتصل ببيته في وارسو ذكروا له أن إمكانية التحدث في الليل أكبر، فذكر أنه لم ينم إلا في الثالثة بعد منتصف الليل ولم يستطع ذلك.

وفي هذا الصباح هتف بنا الأخ (محمد الجابري) من وارسو فاستطاع الاتصال بها عن طريقه وأكثر البلدان يستطيع المرء أن يتصل بالهاتف مع أي بلد يريده داخل البلاد وفي بلادنا يمكن للشخص أن يهاتف أي مكان في العالم من البلدان الصغيرة والقرى التي لايبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة.

فأين التقدم في هذه البلدة الشيوعية؟

ركبنا حافلتنا الخاصة ومعنا أمتعتنا ومرافقونا وأراد الأخ الشيخ سالم بن عبدالله السالم أحد أعضاء الوفد أن يشتري حاشدة صغيرة (بطارية) لآلة التصوير التي معه فذهبنا بالسيارة إلى أحد الأماكن التي تبيع مثل هذه البضائع بالدولار ولا تقبل العملة الوطنية فاعتذر المحل عن ذلك - وهو محل حكومي كسائر الحوانيت والمحلات التجارية - وهاتف محلاً آخر يسأل عما إذا كانت توجد عنده مثل هذه (البطارية) ثم سأل آخر بالهاتف حتى وجدها ونصحه بالذهاب إلى ذلك المحل فاشتراها بالدولار بما يزيد قليلاً على قميتها في بلادنا.

وعلى ذكر البيع بالدولار أقول: إننا عندما كنا نقف في انتظار شراد هذه الحاشدة الصغيرة وشراء أشرطة تصوير بالدولار أيضًا - وهي إيطالية الصنع -

رأينا حانوتًا عليه طابور من مريدي الشراء فأخبرونا أنه حانوت حكومي يبيع الخمر للناس ولكنه لا يبيعها إلا بالدولار ولا يقبل العمة المحلية.

وحتى العملة الروسية (الروبل) التي هي عملة شقيقهم الشيوعي الأكبر الاتحاد السوفييتي لم يجد الرفاق من يصرفها في بولندا حتى في البنوك وقال أحد الأخوة العرب: إنه حاول صرف بعض الروبلات الروسية في مصارف بولندا فلم يستطع.

قال ومن الأشياء العجيبة أنه وجد قائمة بالعملات العالمية التي يقبل المصرف أن يصرفها موضحة أسعارها بالزولوتي ومنها الريال السعودي، وليس منها الروبل الروسي.

إلى مدينة غدانسك :

غادرنا مدينة (بياوستوك) في الحادية عشرة وقد تزودنا من فاكهتها تفاحًا طريا رخيصًا مع جودته.

وأخبرنا الإخوة المرافقون أن الطريق بينهم ليس في جودة الطريق ما بين وارسو و (بياوستوك).

وكان أول ما يلفت النظر في الطريق وجود محطات الحافلات العامة على الطريق وفي أطراف المدينة وقد بنوها على هيئة محاريب تدخل من جهة واحدة وذلك من أجل منع الثلوج من أن تصيب من يكونون فيها ينتظرون الحافلات، وأكثرها مداخلها لا تقابل الجهة الشمالية التي تأتي منها الريح القطبية الشمالية الباردة.

ورأينا كنيسة صغيرة في الطريق ليس بجانبها منازل وربما أقيمت من أجل من يمرون بها من الطريق أو من أجل قرى غير بعيدة فأقاموها ظاهرة لكي تراها المارة. بل رأينا بعد ذلك صليبًا مقامًا على الطريق على ما يشبه العمود

القصير.

ولا يزال الطريق جيداً.

ثم مررنا بمجموعة من البيوت الريفية بينها كنيسة عالية، وأخبرنا الأخوة المرافقون أن بناء مثل هذه الكنيسة يتطلب نفقات كثيرة لا يقوى عليها البولنديون. ولكن الكنائس تأتي إليهم من المؤسسات المسيحية في الخارج.

أما المناظر في الطريق فإنها مناظر الريف المعتاد الذي هو أخضر معمور بالزراعة ولكنه غير معتنى به العناية الكاملة.

والطريق يتجه إلى جهة الشمال الغربي لأن مدينة غدانسك تقع في شمال بولندا على بحر البلطيق. وأقل الأشياء في هذا الريف جمالاً البيوت الريفية الخشبية التي تبدو كالأكواخ المهملة وقد أحالها سقوط الثلوج والأمطار عليها إلى لون رمادي كالح ومنع العوز وقلة ذات اليد أهلها من تعهدها بالطلاء والتزويق.



بيوت خشبية في الريف

وأجمل الأشياء التي يراها المسافرون مع هذا الطريق وجوه السكان بل حتى صورهم على البعد فهم من الجنس السلافي الموجود نظيره في يوغسلافيا وهو الجنس الذي يسميه أسلافنا العرب الصقالية أو الصقالب وهي تحريف أو تعريب لكلمة السلاف أو السكالاف وأصل الكلمة روماني معناه: العبيد ومنها انتشرت كلمة سليف - بإماله فتحة اللام - بمعنى عبد أو رقيق باللغة الإنكليزية.

ولكن قومنا العرب لم يعلموا بمعنى الكلمة أو على الأقل لا يعرف معناها أكثرهم وإلا لما أطلقوا كلمة تعني (عبيد) على قوم أحرار مع أنهم أبعدوها في النطق عن كلمة (سليف) بالإنكليزية أو سلاف بمعنى عبد في الرومانية إلى كلمة (صقالب) التي لاتعطي هذا المعنى بالعربية.

والشعوب السلافية تمتاز - في الغالب - بجمال الأجسام وبساطة التفكير والتعامل مع الآخرين. وعدم الميل للمشاكسة أو المخاصمة كما تمتاز - على وجه العموم - بروح ودية تجاه الآخرين الذين لاينصابونهم العداء.

وفي الطريق شيء آخر محب ألا وهو عدم الغبار وبخاصة حينما قارناه في أذهاننا بالطريق الذي قطعناه بالسيارات ما بين مدينة (باكو) عاصمة جمهورية أذربيجان و(محج قلعة) عاصمة جمهورية الداغستان وتبلغ مسافته حوالي أربعمائة وسبعين كيلو متراً ثم من محج قلعة هذه إلى مدينة (قروزني) عاصمة جمهورية الشيشان وكل هذه الجمهوريات الثلاث ذات أغلبية مسلمة وكانت في القديم تعتبر من مواطن المسلمين الخالصة لهم.

فكنا نلاقي من غبار الطريق عناء كبيراً ذلك بأننا كنا نسير في موكب مؤلف في المتوسط من ست أو سبع سيارات لأننا ضيوف رسميون كما اعتبرونا ويتقدم الموكب سيارة عسكرية رسمية ذات بوق خاص، ومصباح كهربائي في أعلاها وكان الطريق قد أعد لمرور سيارتين متقابلتين فإذا قابلت الموكب سيارة

أخذت السيارة العسكرية الرسمية التي تتقدمه الجانب الأيسر قليلاً في الطريق تشير إلى تلك السيارة القادمة المقابلة للموكب أن تخلي الطريق الأسفلتي للموكب وألا تضايقه فيه فيخرج صاحبها بها إلى أكتاف الطريق الترابية فينشر غباراً لاينجينا منه إلا البعد عنه.

وهنا لا غبار في الطريق أصلاً وذلك لخصوبة الأرض ولكوننا نركب سيارة واحة معتادة لاتحتاج السيارات الأخرى أن تترك لها جانبًا من الطريق لاتحتاج إليه.

نهـر نـارف :

مر الطريق فوق جسر على نهر متوسط السعة اسمه (نارف) حول مجراه منافع كبيرة أو بحيرات صغيرة فيها طيور بيض جميلة.

وكان بودي لو وجدنا محطة للاستراحة على قارعة الطريق كما تكون في أكثر البلدان المتقدمة حتى نمشي ونستجلي المنطقة ونقترب من بعض هذه الطيور غير أن المحطات وأماكن الاستراحة في الطريق نادرة وإذا وجدت فإنها تكون داخل إحدى القرى أو البلدان التي تقع عليه.

وقل مثل ذلك عن محطات الوقود التي اعتدنا على رؤيتها في البلدان ذات الاقتصاد الحر مثل بلادنا فإنها قليلة أيضًا وتوجد في المدن - على قلتها - والسبب في ذلك قلة السيارات نسبيًا في هذه البلاد الشيوعية.

ثم مررنا ببلدة اسمها (بيونت نسا) وتقع على نهر نارف الذي اعترضه الطريق مرة أخرى.

وبعدها مدينة ووميجا: اخترق الطريق مدينة (ووميجا) وشارعها العام الذي هو جزء من الطريق الرئيسية التي نسير عليها منخفض عند مدخل المدينة على جانبيه المرتفعين حشائش وزهور وحشية أي برية لم تغرس.

وفي داخل البلدة دوار أي مكان مستدير يتفرق عنه الطريق قد غرسوا فيه زهوراً قليلة.

وشوارع البلدة واسعة جيدة الزفلتة، إلا أن الأرصفة قد اقتصرت على الشوارع التي في داخل المدينة أما الشوارع التي في أطرافها بإنها ليس لها أرصفة وقد رفعوا أعلامًا كثيرة للدولة بلونيها الأحمر والأبيض لمناسبة عيد العمال في أول مايو وقد عطلت الأعمال في هذا اليوم الجمعة الذي هو الثاني من شهر مايو ابتهاجًا بعيد العمال - كما قالوا.

ثم تركنا الشارع الرئيسي سالكين شارعًا فرعيًا يمر بضاحية من ضواحي المدينة ذات بيوت من الآجر والخشب مؤلفة من طابق أو طابقين لاتزيد على ذلك.

وقد أصبح الطريق في هذه الضاحية طينيًا خاليًا من الأزفلت وتبين أنهم يصلحونه.

وقد تكررت في هذا الضاحية رؤية العربات التي تجرها الخيول إلى جانب السيارات بطبيعة الحال.

وعند الخروج من المدينة حسنت حالة الطريق.

وتعتبر مدينة (وومیجا) عاصمة لما حولها من القرى التي تؤلف معها محافظة منفردة.

وقد لاحظت قلة المزارع امحمية أي ذات البيوت الزجاجية أو اللدائنية - إن صح التعبير - وذكرت كثرتها في الصين خلاف هذه البلاد البولندية التي توجد فيها بقلة وأرجعت ذلك إلى محبة الصينيين لأكل الخضروات بل الأعشاب والبقول فهي جزء أساسي من غذائهم لا تكاد تخلو منها وجبة من وجبات الأكل عندهم.

وواصلنا السير حيث مررنا بقرية أهم ما فيها مما يستغرب مخازن الأعلاف

التي صنعوها من القش على هيئة المحاريب المقلوبة يخزنون فيها العلف لرطعام ماشيتهم في الشتاء حيث تكسو الثلوج الأرض لمدة طويلة فلا تجد الماشية ما تأكله إلا ما كان مخزونًا.

بلدة نوفو قرود :

ومعنى اسمها البلدة الجديدة أو المدينة الجديدة فنوفو: جديد أو جديدة مثل نوفا بالاسبانية والبرتغالية بمعنى جديدة. و(قرود) بلدة أو مدينة ومن أشهر الأسماء فيها (لينين قراد) ثانية المدن السوفييتية أي: مدينة لينين. فقرود قراد هي نفسها ولكن بلفظ آخر.

وفي هذه البلدة قررنا الوقوف، بل الاستراحة.

ومعظم بيوت المدينة من الخشب وذلك لوفرة الغابات في المدينة وما حولها وكثرة المياه والبحيرات في منطقتها ويكفي أن تعلم أنه يلتقي عندها نهران هما نهر (بيسا) ونهر (نارف).

متحف الهواء الطلق :

كانت لنا استراحة روحية في جولة صعبة على متحف فريد في مكانه ومعروضاته يسمونه متحف الهواء الطلق أو الهوار الحر. وذلك أنهم لم يقيموه في حجرات أو قاعات مغلقة تعرض فيها أشياد كما هي العادة في المتاحف المعتادة.

وإنما أقاموه على مساحة واسعة متفرقة من هذه الأرض الريفية التي تقع فوق تلال مرتفعة تقع على ضفة المقرن حيث يلتقي نهر بيسا بنهر نارف.

وليست الغرابة في تسمية هذا المتحف المأخوذة من وضعه وإنما الغرابة أيضًا في كون بعضهم يسميه المتحف الخشبي لأن معظم المعروضات فيه من الخشب

وذلك لما للأخشاب من أهميـة عند سكان المنطقة منذ القـرون القديمة لكثـرتها فيها كما قلت.



دليلة متحف الهواء الطلق تشرح للأخ نجيب الصحراوي بعض محتويات المتحف من الخشب.

وقد أخبرونا أن المتحف بصور الحياة في هذه المنطقة في القرن الثامن عشر وذلك بمعروضاته التي صنعت لتحاكي الأدوات والآلات التي كان يستعملها الناس أو يتخذونها لحياتهم في ذلك القرن ابتداء من البيوت الخشبية ذات الأسوار التي هي من الأعواد أيضًا إلى الملاعق الخشبية والصحاف والأواني من الخشب أيضًا.

وقد نشروا أجزاء المتحف في منطقة واسعة من هذه الأرض الصعبة التي ينتقل المرء فيها من مكان مرتفع إلى آخر مجاور له منفخض ثم يعيد الارتفاع قليلاً بحيث يجد بناء خشبيًا قديمًا أو يحكى القديم الذي كان مستعملاً في القرن الثامن عشر ثم ينخفض به الطريق ثانية إلى قرب الضفة من نقطة التقاء النهرين: بيسا ونارف.

والإدارة منزل مبني على طراز المنازل في القرن الثامن عشر في هذه المنطقة وهو من الخشب والأدوات التي فيه أكثرها من الخشب يدخل إليه من الباب فيجد المرء نفسه في قاعة سعتها ٤٨ متراً مربعًا في داخلها موائد خشبية عليها كراس خشبية وفي جانب منها مدفأة وفي جانب آخر آلة موسيقية محلية ثم غرف النوم التي هي من الخشب أيضًا وليس فيها مايلفت النظر.



على مقعد خشبي في المتحف الخشبي

أصله عمل رجل واحد :

قالت الدليلة ونحن نخرج من منزل الإادرة لرؤية المتحف في الخارج إن فكرة هذا المتحف والعمل الرئيسي فيه كله في الأصل من عمل رجل واحد اسمه (آدم خنتيك) ولد في عام ١٨٨٥م - وتوفى عام ١٩٦٧م.

وكان قد جمع محتويات هذا المتحف وتعب عليه طيلة حياته - وذلك قبل الحكم الشيوعي على البلاد بطبيعة الحال فلما نشبت الحرب العالمية الثانية - الذي جاءت الشيوعية إليها في أعقابها خرب جميع ما صنعه أثناء الحرب.

ولكنه لم ييأس فعاد لإصلاح ما أمكنه إصلاحه بعد الحرب.

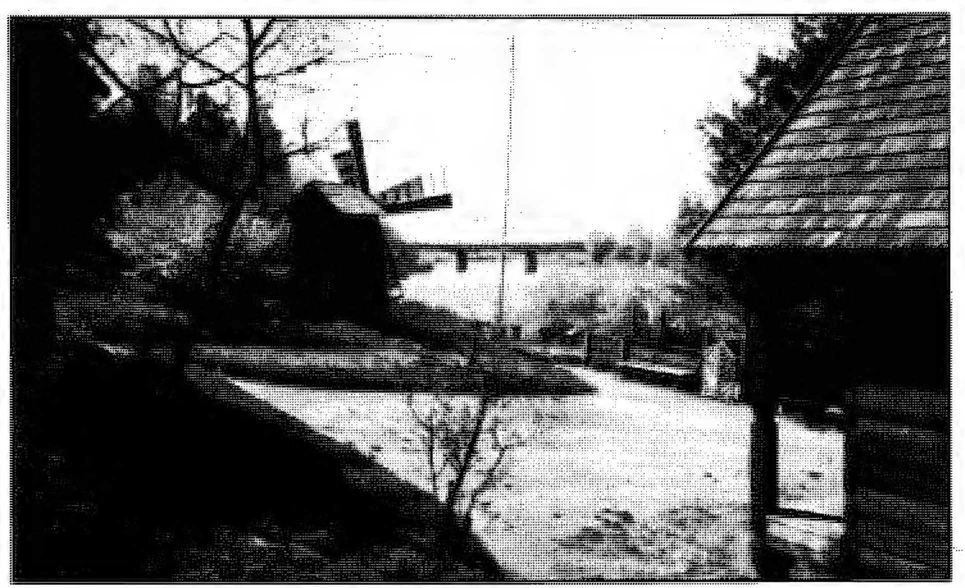
ومن اللافت للنظر أنه كتب لوحة بنفسه في أحد الأماكن البارزة في المتحف قال فيها : «عملت هذا طوال حياتي من أجل صالح بلدي وأرجو أن يكون كذلك»!

غير أن فكرته نجحت ونما المتحف بحيث أن الحكومة تبنته بعد ذلك ورأت تعميم فكرة المتاحف المفتوحة أو الحرة في مناطق أخرى في البلاد، وذكروا أن مساحة المتحف كانت في أول نشأته أربعين ألف متر مربع من أرض غير مستوية إلا أنها زادت بعد ذلك وأن الشخص الذي أنشأه كان مهندساً.

إنها فكرة مناسبة فلماذا لايفعل بعض القادرين من أصحاب الرغبة في جمع الأشياء المهمة متاحف خاصة تكون نوات لمتاحف عامة بعد ذلك!

على ضفة نهر بيسا :

نزلنا من التلة المرتفعة التي يقع فيها منزل الإدارة ولا أقول مكاتب الإدارة لأنهم رأوا عدم تغيير منظرها من منزل على الطراز القديم إلى مكاتب مدنية للإدارة ومررنا قبل ذلك بنصب خشبي من جذع شجرة ضخمة قديمة كتبوا حوله بعض الإيضاحات عن المتحف على قطع من الحجارة الغريبة ذات الشكل المميز.



طاحونة من الخشب من طراز الطواحين المستعملة في القرن الثامن عشر

فكان المنظر الطريف منظر طاحونة هوائية قديمة مصنوعة من الخشب على ضفة النهر وهي لاتعمل بطبيعة الحال وإنما تعرض لرؤية الزوار الذين يريدون أن يعرفوا هذا النوع من الطواحين الذي كان شائعاً في أوروبا على ضفاف الأنهار وهي تشبه الناعورة الكبيرة غير أنها ذات مروحة مرتفعة ضخمة هي التي يديرها الهواء إذا تحركت الريح فتدير الطاحونة.

وبجانبها مناحل أي أماكن لتربية النحل وهي موضوعة فوق قاعدة من الخشب في طول قامة الرجل أو أقل من ذلك قليلاً.

وهناك أوكار للطيور اصطناعية مرفوعة عن الأرض وهي تشبه الأقفاص الخشبية المربعة إلا أنها مفتوحة من جانب واحد يضعون فيها طعام الطيور لئلا تموت في الشتاء الطويل الذي تجلل فيه الثلوج كل شيء.

في منزل بولندي تاريخي :

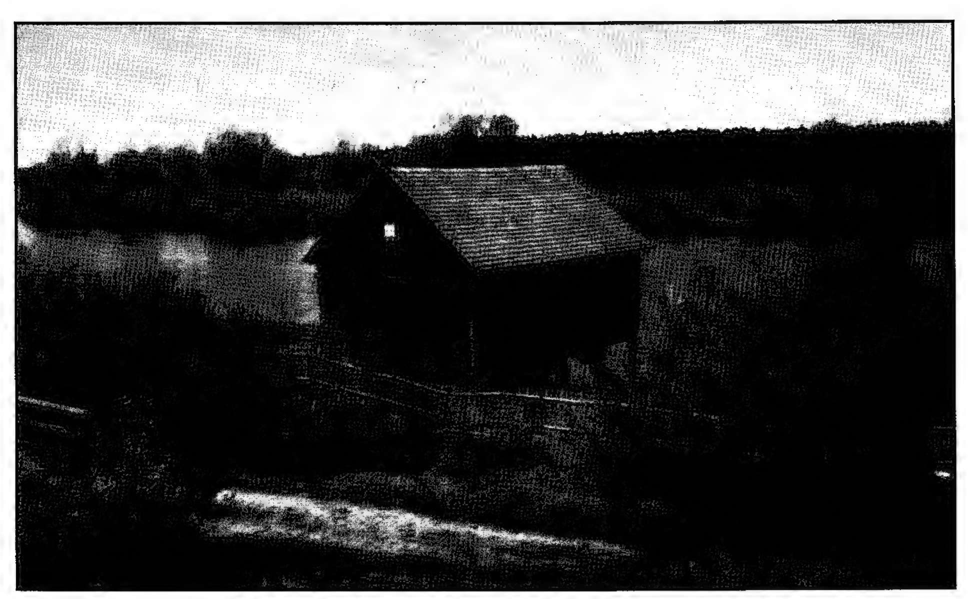
قالت الدليلة : ربما كان أهم ما يسترعي انتباه الزوار لهذا المتحف هذا المنزل الخشبي العريف الذي نتجه الآن لرؤيته لأن كل مافيه هو من مخلفات القرن الثامن عشر أو مما أعد على طراز ذلك القرن.

أول ما استرعى انتباهنا سور المنزل الخشبي الذي هو أي السور من الأعواد على هيئة غريبة بعضها مضفور كما يضفر الحصير وبعضها واقف ومثبت بأعواد أخرى قوية معترضة ثم أفضى الفناء الخارجي عند الدخول من السور إلى مدخل البيت الذي هو خشبي أيضاً ذو منظر رث لأنهم أرادوا أن يبقوه على ما هي عليه البيوت في ذلك الزمان.

أول ما يراه الناظر في داخل المنزل نوْل خاص للغزل تغزل به ربة البيت أو صاحبته ما تحتاج إليه من ملابس خفيفة كالجوارب والمناديل الصغيرة التي تلف حول الرقبة وكل ذلك من الصوف لوفرته في البلاد ذات الخضرة الكثيفة في الربيع والصيف التي توفر الأعلاف للحيوان إذا خزنت للشتاء.

وفي جانب آخر منه معصرة للزيت قالوا: إنه زيت عشب خاص ينبت عندهم يسمونه (جيك).

والغريب في الأمر هيئة غسل الثياب حيث تدحرجها المرأة على خشب ملساء بواسطة خشبة معترضة شبيهة بذراع الإنسان كما كان البدائيون يعجنون العجين للخبز وفق طريقة قديمة وهي عصر الملابس بهذه الطريقة وتكرار ذلك يفعل ما يفعله تكرار عصرها باليد في تنظيفها.



نموذج للبيوت الخشبية التقليدية في بولندا تقام على ضفة نهر بيسا

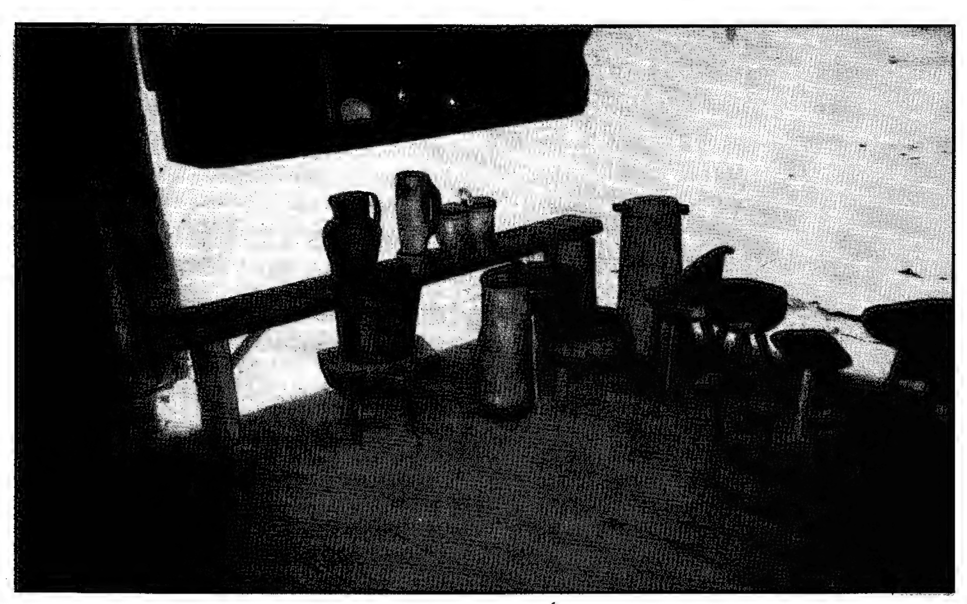
أما القاعة الرئيسية في المنزل التي سمتها الدليلة قاعة الضيوف فإن أغرب ما فيها سرير للنوم له جانب يقف إذا قلب فيتحول السرير إلى كرسي للجلوس يتسع لعدة أشخاص.

أما نشر الملابس المغسولة فإنه يتم داخل المنزل وذلك بسبب البرد والرطوبة وقد جعلوا خشبة معترضة تحت السطح وضعوا عليها الملابس كأنها منشورة

بالفعل وذكرت الدليلة أن الدفء داخل المنزل، يعمل على تجفيفها أكثر مما يعمل ذلك الهواء.

والأغرب من ذلك أشكال الأواني الخشبية من صحون إلى صحاف مقعرة وغيرها ذات أعماق أكثر وملاعق كل ذلك من الخشب.

وهناك القدور وأواني الفخار الرَّثّ أي غير اللامع أو الأنيق.



أثاث من الخشب

ثم تقدمتنا الدليلة وقد زادت حماستها عندما رأت اهتمامي بالصور التي التقطتها مع الرفاق لهذه المعروضات وللمنطقة على وجه العموم.

وذهبنا إلى حيث يلتقي النهران (بيسا) و (نارف) والتقطنا صوراً تذكارية للمنطقة.

وكانت الدليلة وهي فتاة في العشرين من عمرها لطيفة الجسم كأكثر أهل البلاد في سنها، جمة الحياء، هادئة الطباع تتقدمنا وفي قدميها حذاء عصري

فكانت تصعد الأماكن المرتفعة وتنزل إلى المنخفضة وهي تلاقي من ذلك تعبًا لم تبال به.

واسمها (قرازينا جبروفكا) وقد أعجبت بشرحها وإيضاحها كل ما يحتاج إلى إيضاح فرأيت أن أعطيها حلوانا (بقشيشًا) لاسيما ومرافقنا الأخ نجيب الصحراوي قد أخبرهم أننا وقد من المملكة العربية السعودية فأعطيتها ألفي زولوتي ويساوي ذلك أقل قليلاً من ثلاثة دولارات بالصرف الحر فاحمر وجهها خجلاً وظهر من حالها أنها لم تكن تتلقى من الزوار شيئًا لذلك قبلتها شاكرة.

وكانت قد ذهبت معنا حتى موقف السيارة فودعت بحرارة.

مفهـاة الرابيـة :

ليس هذا اسمها وإنما اسم سميناها به من وصفها.

عدنا إلى البلدة التي هي وضواحيها تقع في مكان مرتفع يطل على وادي عميق فيه نهر بيسا وكانت بنا حاجة إلى شاي وقليل من الطعام فدخلنا المقهاة أو المقصف.

وهذا المقصف الجميل الموقع كله من الخشب بناؤه وأثاثه وحتى الحمام فيه من الخشب ما عدا المقعد فيه، وعندما دخلنا الحمام لم نجد فيه ورقًا ولكنه أحسن حالاً من الحمامات والمراحيض العامة الموجودة في مثل هذه المحلات في الاتحاد السوفييتي ورومانيا إذْ كانت تلك في غاية القذارة والإهمال مع أنها هي التي تحتاج إلى نظافة حتى لايتسخ من يدخلونها.

بادرتنا خادمة جميلة في المقصف بالشاي الحار الذي يضعونه في أكياس صغيرة وجاءت معه بالطعام الموجود عندهم وهو خبز أفرنجي معتاد ومعه جبن أصفر لذيذ والجبن هنا أنواع أكثرها لذيذ وطريف.

فأكلنا وشربنا عللاً بعد نهل لأننا عرفنا من الأخوة المرافقين أننا لانتوقع

وصولنا إلى مدينة غدانسك قبل السابعة مساءً ولم يكن الإخوة البولنديون الذين وضعوا برنامج الزيارة قد أخبرونا بأي شيء عن البرنامج فثقلنا في هذا المقصف الجميل وثقلوا معنا.

وكان المقصف أو كما قلنا : المقهاة تطل على وادٍ متسع أخضر جميل ترصعه بيوت ريفية بسيطة ويخترقه نهر بيسا الذي يلتقي بنهر نارف بعد مسافة قصيرة يبصرها الواقف في ساحة هذا المقصف.



صورة مقهاة الرابية للمنطقة

وعندما أبدى الرفاق إعجابهم بهذا المنظر الخلاب قال أحد المرافقين: إنكم لو أتيتم إلى هذا المكان قبل أسبوعين فقط لما غبطتموهم عليه فالجو فيه كان عابساً مظلماً والبرد كان شديداً. وكل شيء ترونه الآن أخضر رمادي اللون هامداً.

وكان في المقهاة طائفة من المواطنين الذين أحضر بعضهم أطفالهم وعدد الأطفال الذي يراهم المرء في هذه البلاد ليس كثيراً في العادة وذلك لتحديد

النسل بصفة غير رسمية ولا إلزامية ولكن لما يخشاه الأهل من مشقة تربية الأطفال والإنفاق عليهم مع قلة الإيمان في نفوس كثير منهم، وضيق ذات اليد الذي يعانونه.



على نهر نارف قرب متحف الهواء المطلق

وقد رأيناهم مع أطفالهم في هذا اليوم الذي هو يوم عطلة بعد اليوم الأول من شهر مايو وهم على غاية من النظافة في الأبدان والهندام، وغاية الأدب والاحترام مع الأجانب ونحن اليوم كما كنا في أكثر أيامنا في بولندا نرتدي الملابس العربية اللافتة للنظر هنا.

مواصلة السير :

غادرنا بلدة (نوفر قرو) الجميلة بعد راحة تامة بل ممتعة وسرنا مع الطريق الرفي الذي لم يكن يختلف عن غيره إلا بظهور المزيد من البحيرات الصغيرة التي تشبه المناقع الكبيرة وهي طبيعية لكثرة المياه في المنطقة وقد بلغت

الساعة الثالثة من بعد الظهر.

فوصلنا بلدة (شتنو) وهي جيدة المظهر. بل جميلة المنظر تتألف منازلها من بيوت فردية معتادة ومن عماير أسمنتية حكومية ذات طوابق متعدة وهي التي تبنيها الدوة وتؤجرها شققًا لسكن المواطنين لا بيوت لهم.

وقد حدثونا عنهما بما أغرانا بالجلوس فيها والتجول في ريفها غير أن الوقت لم يكن يسمح بذلك فكان مما قالوه: إنها مدينة سياحية تشتهر ببحيرات فيها جميلة يبلغ عددها الثلاثين ولذلك كثرت الفنادق والإنزال فيها وبخاصة بالقرب من هذه البحيرات.

وقد تجلى لنا بعض ذلك عندما غادرناها من الطريق عدة بحيرات جميلة بعدها غابات عذراء تستحق وحدها أن ترى.

ثم صار الطريق يخترق حقولاً مزروعة بالقمح وكلها حكومي مملوك للدولة وأخبرنا المرافقون بهذه المناسبة أن بولندا كانت في السابق تصدر القمح أما الآن فإنها لاتنتج مايكفي حاجة السكان منه لذلك صارت تستورد مقادير من القمح من الخارج.

وعلى ذكر الاستيراد الذي قد يذكر معه المرء التصدير تصدير السلع والبضائع رأيناهم قد جمعوا أكوامًا مكومة عظيمة من الأخشاب التي تنتجها المنطقة وهي مذبة جاهزة للتصدير فالخشب يؤلف مادة جيدة للتصدير في البلاد ورأينا قطاراً صغيراً يسير على قضبان ذكروا أنها تسير عليها قطارات مهمة في المنطقة تنقل هذه الأخشاب وغيرها ومنها قطار اعترضت قضبانه طريق سيارتنا فوقفنا برهة حتى مرَّ.

مدينة أورستين :

في الرابعة والربع كنا في مدينة أورستين فوقفنا في شارعها العام وهو جيد

الزفلتة ذو أرصفة معتنى بها وتطل عليه أبنية متعددة الطوابق وإن لم تكن عالية وأكثرها قديم ومن ذلك كنيسة شاهقة قديمة البناء.

وكان الوقوف فيها حسبما أخبرنا إخواننا هو أن يهتفوا بالإخوة المسلمين في مدينة (غدانسك) ليخبروهم بأننا سوف نتأخر في الوصول إليهم وذلك لأنهم كانوا ينتظرون وصول وفدنا ومرافقيه في الساعة الرابعة على غداء في أحد المطاعم العامة، وقد فات الموعد الآن ولا تزال في الطريق بقية طويلة.

ولم يكن الإخوة البولنديون قد أخبرونا بذلك وإلا لكنا أخذن للأمور أهبته ورتبنا سفرنا بحيث نصل إليهم في الموعد المحدد.



الشارع العام في مدينة أورستين

وبينما كان الأخ استيفان مصطفى يبحث من مكان إلى آخر عن هاتف حتى ذهب بعيداً إلى محطة للهاتف العام تمكن فيها من مهاتفة أهل غدانسك كنا ونحن نقف في الشارع العام لهذه المدينة نتأمل ما حولنا فنجد أن السيارات

الخاصة فيها كثيرة وكثرة السيارات الخاصة في البلدان الشيوعة هي نسبية أي بالنسبة إلى المدن الشيوعية الأخرى. وليس بالنسبة إلى البلدان الحرة التي تكون سيارات الركوب المملوكة للأشخاص هي الأساس في السيارات التي تسير في الشوارع أما السيارات العامة المملوكة للدولة أو المؤسسات العامة فإنها الأقل.

والأمر في البلدان الشيوعية على العكس من ذلك فالأصل في السيارات أن تكون مملوكة للدولة فتكون لمؤسساتها العامة. وتختلف البلدان الشيوعية في تملك الأفراد للسيارات الخاصة فيها فالناس في المجر ويوغسلافيا من أكثر أهل البلدان الشيوعية تملكًا للسيارات الخاصة والاتحاد السوفييتي من أقلها وأقل منه في ذلك أهل الصين الشيوعية.

ويلاحظ أنه إلى جانب وجود الحافلات العامة هنا فإن سيارات الأجرة (التاكسي) موجودة بشكل ظاهر رغم كون المدينة ليست كبيرة.

وأما سكان المدينة حسبما رأيناهم فإنهم الأوربيون الأصلاء الذي تكثر شقرة الشعر وصهبته فيهم ولكنهم من البيض الذين لايوجد بينهم سمر فضلاً عن عدم وجود السود.

وتظهر عليهم الخصائص السلافية الجسدية التي سبقت الإشارة إليها، والكل نظيف الثياب والمظهر وحتى الفلاحون الذين لايقتصر حسن المظهر في الثياب عليهم وإنما تظهر عنايتهم بالشعر فوق الرءوس وبخاصة فوق رءوس النساء.

أرض البحيرات الجميلة :

غادرنا مدينة (أورستين) مسرعين بعد مهاتفة أهل غدانسك واطمئنان مرافقينا إلى أن أهل غدانسك قد عرفوا الآن أننا سنتأخر عن الموحد المحدد فتجلت في ريف المدينة الصورة الجميلة التي من أهم مافيها أعداد متعددة من البحيرات الصغيرة المتوسطة التي ترى على القرب والبعد في ريفها ترصع

جوانب بعضها طيور من طيور الماء البيض.



في الطريق بين بوخونيكي وغدانسك صورة من السيارة

والأشجار الكبيرة الملتفة في كثير من المواظع التي لم يحيلوها إلى حقول للزراعة غير أننا سألنا عن هذه الأشجار أهي من أشجار الأخشاب والغابات أم من أشجار الفاكهة؟

فكان الجواب أنها من أشجار الغابات وأن أشجار الفاكهة فيها قليل وذلك أنها حكومية مملوكة للدولة وأشجار الفاكهة تحتاج إلى بعض العناية.

وأعتقد أن ذلك جزء من التعليل الصحيح وليس كله لأن هناك أشجاراً تثمر في مثل هذه الجواء الباردة كالخوخ والكمثرى ولاتحتاج إلى عناية كبيرة.

وأقل مايراه المرء في الطريق في هذه الأماكن الجميلة الحيوانات والطيور المتنوعة.

وأما أكثر المزروعات ظهوراً فيها فإنه القمح والبطاطس.

وقد رأينا مصنعين كبيرين في الريف لم يعرف الرفاق مايصنعان أو يصنع فيهما.

هذا وقد بقي على الوصول إلى مدينة (غدانسك) ثمانون كيلو متراً وقد لاحظنا أن أكثر السيارات التي تسير على الخط قد أصبحت من سيارات النقل وإن تكن قليلة.

وعلى ذكر السيارات لاحظ أحد أعضاء وفدنا شيئًا وهو أننا لم نر في طول هذ الطريق يسارة خربة مهملة واحدة ولا بقايا سيارة مما يكون قد حدث له اصطدام، أو حادث انقلاب نتج عنه خراب السيارة وتركها لكونها يصعب إصلاحها كما يوجد ذلك بالقرب من العديد من طرق العالم وبخاصة في البلاد النامية المزدهرة كبلادنا السعودية.

وأرجعنا ذلك إلى الانتفاع بكل شيء في السيارات حتى الحديد الخرب يمكن أن ينتفع منه في هذه البلاد التي تشهد ضائقة اقتصادية في إعادة سبكه واستعماله في أغراض أخرى.

ومن الأشياء اللافتة للنظر أن الطريق اعترضه طريق للسكك الحديدية فوقفنا لمرور قطار مقبل تنفث مداخنه أبخرة وأدخنة تنعقد في الجو وتكاد تقف فيه برهة قبل أن تنحني للريح الخفيفة ولا تتلاشى إلا بعد مدة.



في الطريق إلى غدانسك والقطار الذي ينفث الدخان

وقال الرفاق: إن هذا القطار يسير بالفحم وهو أمر عفا عليه الزمن في كثير من البلدان المتقدمة إذا استعملوا القطارات التي تسير بالوقود المشتق من النفط أو بطاقة أخرى. ولكن القوم هنا أبقوا على هذا القطار وأمثاله لرخص الفحم الحجري عندهم فبلادهم تنتج منه ما يكفي حاجتهم. وما يفيض عنها للتصدير للخارج والمنطقة التي يسير فيها هذا القطار هي منطقة صناعية ريفية وإلا فإنه ليس كل القطارات في بولندا بالفحم الآن.

مدينة ألب لونغ :

قبل الوصول إليها كثرت البيوت المحمية كالبيوت الزجاجية تحمي النبات فيها من الثلج والصقيع في الشتاء وكثرت أشجار الفاكهة.

وقال القوم : إننا نصل الآن إلى مدينة (ألب لونغ) وهي مدينة صناعية تبعد عن مدينة غدانسك بأربعين كيلو مترا.

وقد رأينا بالفعل عشرات المداخن المرتفعة في الجو وهي تنفث الأدخنة والأبخرة من المصانع.



مصانع قبل غدانسك

وفي جانب من المدينة عدة أبنية حديثة (عمارات) متعددة الطوابق، وبجانبها أكواخ من البيوت الخشبية البولندية القديمة الطراز السيئة المظهر ذكروا أنها بيوت الفلاحين.

وتقع على نهر كبير اسمه (نوقاك) وتبدو الزراعة حولها معتنى بها وقد ذكروا لنا أن أكثرها مزارع تعاونية وهي التي تؤجرها الدولة على مجموعة كبيرة من الناس يتعاونون على زراعتها زراعة حديثة وتساعدهم الدولة بإقراضهم قيمة ما تعمله الآلات الزراعية الحكومية من الحراثات والحصادات ثم تستعيد ذلك منهم مما يربحونه من المحصول.

فهي أشبه ما تكون بالمزارع الحكومية التي يعمل فيها الناس بمثابة الأجراء غير أنهم لا يعملون بأجر مقطوع.

وإنما يأخذون مقابل عملهم مما تنتجه الأرض وذلك من أجل أن يجتهدوا في العمل، ولا يكونوا كالأجراء الذين لا يهمهم ما تنتجه الأرض ماداموا يقبضون أجورهم.

أطول جسر في بولندا :

مررنا بنهر آخر كبير عليه جسر طويل نوه المرافقون ومنهم صحفي بولندي غير مسلم رافقنا في هذه الرحلة بياوستوك إلى غدانسك بطول الجسر الذي عليه ولم ينوهوا بالنهر نفسه وذلك لكثرة الأنهار والبحيرات ووفرة المياه فقال الصحفي : إن طول هذا الجسر ثمانمائة متر وهو أطول جسر في بولندا.

ولم يسترع انتباهنا طول هذا الجسر إذْ أن في بلادنا الصحراوية جسوراً أطول منه قد بنيت على بعض الوديان الصحراوية ومنه عدة جسور على نهر وادي الرمة في القصيم يبلغ طولها أكثر من ألف متر وواحد منها هو الذي يقع بين

البدائع والخبراء في منطقة القصيم وجسر آخر من هذا الطويل البولندي ويقع بالقرب من بلدة النبهانية في المنطقة نفسها.

ويسمى هذا النهر (فستوا) وما أكثر الأنهار في بولندا.

ويلاحظ السائر في الطريق الأسفلتي النظافة فيه بحيث لا يرى مخلفات أو أوساخًا عليه وتقع المنطقة بقرب غدانسك التي هي ميناء بولندي مشهور على بحر البلطيق بل هي أكبر ميناء بولندي لذلك لم نعجب حينما ذكروا لنا أن هذا النهر في النقطة التي مررنا فوقها منه لا يرتفع عن سطح البحر إلا بمقدار مترين عن مستوى سطح البحر الذي نراه من المكان نفسه الآن.

ورأينا على البعد مصفاة لتكرير النفط الذي يستوردونه من الخارج لأنه لانفط في بلادهم.

هذه غدانسك:

وصلنا مدينة غدانسك في السابعة إلاَّ الربع عصراً بعد أن أمضينا في الطريق من بياوستوك ثماني ساعات إلا ربعًا تخللتها وقفات واستراحة واحدة وكان المتفق بين الفريقين أن يقف رجل على مدخل المدينة في الانتظار ليدلنا على مكان تجمع المسلمين ولكننا تجاوزناه من دون أن نفطن له أو أن يشير إلينا فدخلنا المدينة ثم خرجنا مرة أخرى إلى حيث مكان الرجل فركب معنا وذهبنا إلى مطعم داخل المدينة حيث وجدنا بعض الإخوة المسلمين البولنديين في الانتظار على رأسهم الأخت الدكتورة جميلة اسما يكفيتش مورمان رئيسة الجماعة المسلمة في مدينة غدانسك، ومعهم بعض الطلاب المسلمين من العرب والأخ محمد الجابري الذي هو من المغرب وكان في استقبالنا وتوديعنا عند الوصول إلى وارسو، أول لما فعلته الدكتورة جميلة أن قدمت إليَّ باقة من

الزهور باسم مسلمي غدانسك وقالت وهي تقدمها آسف لكونها بدأت تذبل لأنني كنت ممسكة بها في يدي منذ ست ساعات.



عند الاستقبال في غدانسك

تشير إلى التأخر الذي طرأ على وصولنا وهو أمر لم يكن لنا علم به من قبل.

فقلت لها: إذا كانت الزهور قد ذبلت فإن المودة التي في قلوبنا لكم معشر إخواننا المسلمين في غدانسك لم تذبل، ولن يعتريها الذبول في المستقبل بإذن الله.

وبعد السلام على سائر الإخوة المستقبلين لم ندخل المطعم كما كان مقرراً وإنما ذهبنا إلى فندق اختاروه لنا يقع على بعد عشرة كيلو مترات من قلب المدينة في وسط غابات مكثفة من الأخشاب والأشجار الطبيعية في منتجع على ساحل بحر البلطيق إلا أنه ليس ملاصقًا للبحر.

وكان الإخوة قد حجزوا غرفًا لنا ووجدناهم قد جعلوا كل اثنين في غرفة من باب التوفير مع أن أجرته رخيصة بالنسبة إلينا، فطلبنا النزول في غرف منفردة لكل واحد ووجدوا ذلك لنا نحن السعوديين مع العلم بأننا نحن الذين سندفع أجر الفندق على كلا الحالين.

والمفيد لنا من حجز الغرف بوساطة الجماعة الإسلامية التي هي جمعية مسجلة ومعترف بها من الحكومة أن يقبلوا منا الأجرة بالعملة المحلية دون المطالبة بإثبات كونها قد صرفت بعملة أجنبية بالسعر الرسمي.

وكانت قد صحبتنا الدكتورة جميلة إلى الفندق لتطمئن على نزولنا وهي طبيبة أطفال تعمل في مستشفى حكومي ولها ابن في المرحلة النهائية من دراسته الجامعية.

في منتجع البلطيق :

أسرعنا في الذهاب إلى الغرف في ذلك المنتجع البلطيقي من أجل أن نصلي الظهر والعصر جمعًا قبل غروب الشمس مع أنه تبيّن أنه كانت قد بقيت في النهار بقية حيث يستغرق غروب الشمس بعد ميلانها إلى جهة الغرب وقتًا طويلاً في البلدان الشمالية في وقت الصيف.

واسترحنا قليلاً قبل أن يحين وقت العشاء الذي كان في مطعم الفندق وكان مقرراً أن يكون في خارجه غير أن الإخوة أرادوا لنا الراحة هذه الليلة بعد السفر في معظم هذا النهار.

كان جميع العاملين من النساء في هذا الفندق الذي يسمونه منتجعًا لأن المرء يدخل بسيارته وقد يحضر معه أسرته فيقضي أيامًا في جو خلوي وهو لايفتح إلا في الفصول الدفيئة لذلك أخبرونا أنه لم يمضِ على استئناف فتحه لهذا العام إلا أيام قلائل قبل وصولنا.

غير أننا رزينا كل شيء فيه مكتملاً إلا أنه وهو حكومي تملكه الدولة كسائر المرافق العامة ويديره موظفون من قبلها ليست الخدمة فيه مريحة رغم كون العاملات فيه يتحلين بصدور رحبة ويعاملن النزلاء معاملة كريمة ولكن عددهن أقل من اللازم للفندق ومستواه مستوى فنادق الدرجة الثانية.

فغرفه ليست واسعة وأثاثه خشبي محلي متوسط الجودة، وفي كل غرفة حمام خاص ونافذة كبيرة تطل على الغابة مباشرة.

وقد تناولنا العشاء في مطعم الفندق ومن طعام الفندق إلا أنهم أوصوا عليه بأن لايكون فيه محذور محرم من خنزير أو نحوه أو شراب حرام. وعرفنا بعد ذلك أن ثمن العشاء فيه رخيص جداً.

وقد أسرعنا إلى النوم استعداداً للعمل في اليوم التالي إلا أنني لاحظت أن نور الشفق كان يتسلل إلى غرفتي من نافذتها الواسعة التي تقع في جهة الغرب منها فكان لايزال مسفراً بل مضيئًا بعد مضي أكثر من ساعتين على غروب الشمس ونمت وهو كذلك شأن البلدان الموغلة في جهة الشمال في فصل الربيع والصيف.

يوم السبت ١٤٠٦/٨/٢٤هـ - ١٩٨٦/٥/٣م.

إلى مسجد غدانسك :

بعد إفطار في الفندق جيد ذهبنا بالحافلة المعهودة لزيارة مسجد غدانسك الذي هو في طور البناء وهو أول مسجد يبنى بالأسمنت المسلح في بولندا بعد الحرب العالمية الثانية. فاجتزنا جسراً طافيًا على نهر غدانسك كنا قد جزناه مساء أمس.

ثم دخلنا مدينة غدانسك التي هي المدينة الثانية في بولندا بعد العاصمة وارسو من حيث عدد السكان وفيها الميناء الرئيسية للبلاد واشتهرت في السنين الأخيرة بوجود حركة التضامن العمالية التي تدعو إلى إيجاد نقابة عمالية حرة متحررة من القيود الشيوعية في البلاد فكان اسم المدينة يجلجل في الأخبار العالمية، وقيل إن الكنيسة كانت وراء هذه الحركة إلى جانب التشجيع الحار الذي لقيته من الغرب الرأسمالي المعادي للشيوعية وللنفوذ السوفييتي في شرق أوروبا.

عندما دخلنا وسط المدينة اتضح ما يدل على أنها كانت مدينة مهمة في القديم، وقبل الحكم الشيوعي في البلاد ، إذ رأينا الكنائس القديمة المعتنى بها والأبنية العريقة والشوارع المستقيمة التي لاتزال عربات (الترمواي) تسير فيها.

ولاحظنا فيها عدة قنوات مائية قد اعتنى بضفافها فبنيت معظمها بالحجارة المهذبة الغالية وبنوا عليها الجسور الفاخرة.

وأكثر أشجارها قد أورق إلا أن أوراقه لم تكتمل حتى الآن رغم وقوعها على بحر البلطيق الذي قد تلطف مياهه البرودة قليلاً.

وجدنا في الاستقبال في موقع المسجد عدداً من الإخوة المسلمين على رأسهم الدكتورة جميلة مورمان رئيسة المسلمين هنا ونائبها ، كما كان في الاستقبال

بعض الطلبة من العرب ومنهم اثنان من الطلبة الفلسطينيين أخبرتنا الدكتورة أنهما يساعدان المسلمين وطالب آخر من اليمن.

وبعض العاملين في المسجد من غير المسلمين منهم المهندس المشرف على البناء وهو بولندي اسمه مايان شيلاكي من أشهر المهندسين في غدانسك. وذكروا أنه ساعد المسلمين في الحصول على الأرض لأنه مسئول عن مجال البناء من الناحية الهندسية في مدينة غدانسك كلها.

ومساعده المهندس المسلم وهو بولندي اسمه (علي مخيلا) وكلاهما من أهل غدانسك. وكذلك مقاول البناء. ورئيس البنائين.

يقع المسجد على شارع هام عريق في المدينة بل في قلبها القديم الفاخر اسمه (أوليفا) أي الزيتونة. ذكروا أن فيه كنائس من أقدم الكنائس الموجودة في المدينة.



الشارع الذي فيه المسجد في غدانسك

وقد رأينا العمل فيه يسير بجد ونشاط وهو قوي مبني بالأسمنت المسلح وبأساسات قوية وسوف ترتفع منارته ثلاثة وثلاثين متراً.

وبذلك تكون أعلى منارة في بولندا كلها كما ستكون له قبة عربية ظاهرة وهي مع المنارة تكاد تعتبر الوحيدة من الأبنية الشامخة ذات الطراز العربي الإسلامي في البلاد.

وقد راعوا الناحية الجمالية حتى في أساس صب الجدران بحيث تبدو بها بعض المواضع وهي ذات خطوط بارزة مستقيمة.

وعلى القبلة بين المحراب وشماله دوائر سيكتبون فيها اسم الجلالة واسم الرسول ﷺ وأسماء الخلفاء الأربعة الراشدين. مما يجعل الناظر إليه يعرف دون أن يحتاج إلى السؤال والجواب بأن الذين قاموا عليه هم من أهل السنة والجماعة وليسوا من أهل التشيع المنحرفين عن الصحابة الكرام أو من غلاتهم الذين يسبونهم ويقعون فيهم.

وهذا أمر قلد فيه المسلمون المحدثون المساجد التي تبنى في تركيا واستمرت عد ذلك في كثير من البلدان العربية والبلدان المسلمة الأخرى، وذكروا أن الزخرفة التي ستكون في المحراب والكتابات العربية ستأتي إليهم من تركيا.

وتبلغ مساحة أرض المسجد كلها ألف متر وتسعة أمتار اشتروها من الدولة بثمن رمزي أو لنقل إن الدولة منحتهم إياها مع أنها في وسط المساكن وفي حي ثمين لمدة ٩٩ عاماً بإيجار رمزي لايكاد يذكر.

أما مساحة البناء نفسه فإنها مائتان واثنا عشر متراً.

وكانت الرئيسة الدكتورة جميلة تتحدث عن بناء هذا المسجد بحماس وتأثر فكان من ذلك قولها! إن بناء هذا المسجد في مدينة غدانسك هو حدث تاريخي بالنسبة للمسلمين. بل بالنسبة للمدينة كلها لأنه أول مسجد يقام فيها على هذه الصفة من البناء القوي الذي نأمل أن يبقى إلى ماشاء الله من الدهر وقد اخترنا البناء بهذه المواد الغالية لهذه الغاية، إننا نحمد الله سبحانه وتعالى الذي يسر ذلك للمسلمين في غدانسك وقالت الرئيسة: إن يوم الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لهذا المسجد كان يوماً مشهوداً بل يوماً خالداً في حياة المسلمين وفي حياة الشعب البولندي الذي يسكن في هذه المدينة لأن جميع الذين حضروا الاحتفال أو سمعوا به شاركونا البهجة والسرور.

وقالت: إن هذا المهندس المشرف على المسجد وهو رفيع المكانة في البلاد قد زيدا استعداده الكامل لأول مرة لأنه كان زميلاً لي في المدرسة، وإن كنت أنا تخرجت طبيبة وتخرج هو مهندسًا، لذلك كان تجاوبه عظيمًا.

وقالت: إننا ننوي أن نسمي هذا المسجد (مسجد جمال الدين الأفغاني).

وذكرت أن أهم تبرع تلقوه لبناء المسجد كان من الأخ علي التريكي في الكويت وهو تاجر يعمل في التجارة مابين بولندا والكويت فقد قدم إليهم ثمانية آلاف دولار أمريكي، وقد شجعنا ذلك على طلب التبرعات من الإخوة المسلمين في الداخل فكان أول مليون زولوتي تلقيناه بعد ذلك من الطلبة المسلمين الذين يدرسون في مدينة غدانسك.

ومماينبغي التذكير به أن الدولار الأمريكي يساوي حوالي ستمائة وسبعين زلوتيا بولنديا بالصرف الحرف.

وذكرت أن المشروع يحتاج إكماله إلى خمسة آلاف خمسة دولار عاجلة لإكمال بناء المسجد ثم ننظر بعد ذلك لإكمال مرافقه مثل السور حول أرضه.



أمام مسجد غدانسك يبني الدكتورة جميلة

وقد علقت على كلمة الدكتورة جميلة ووجهت القول للمسلمين الموجودين هنا ومنهم نائب رئيس الجمعية وخازن الجمعية: إنه لمن حسن حظكم أنتم القائمين على الجمعية الإسلامية أن يتم هذا الإنجاز العظيم في عهدكم وأن يتحقق على أيديكم هذا المطلب المهم من مطالب الإخوة المسلمين وهذا المسجد الذي يعتبر أول مسجد ترتفع منارته في هذه البلاد في العصر الحديث، وهذه مكرمة ادخرها الله لكم وسوف يذكرها التاريخ في هذه البلاد كلها سيذكرها المعنيون بتاريخ المسلمين وأحوالهم المعاصرة في سائر المعمورة ولذلك ينبغي لكم أن تحمدوا الله وتشكروه وأن يحملكم ذلك على مضاعفة الجهد وبذل كل ما تستطيعون في أن يكمل المشروع على أتم صفة مطلوبة.

ونحن من جانبنا - في رابطة العالم الإسلامي - سننوه بهذا الأمر ونبلغ ماشهدناه لإخوانكم المسلمين في أنحاء العالم.

ومن خصوص النفقة الضرورية لإكمال المسجد وهي خمسة آلاف دولار فإننا نبلغكم أنه يسر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة أن تتبرع بمثل المبلغ وأن تضيف إليه مبلغًا رمزيًا آخر وهو ثلاثة آلاف دولار أمريكي من أجل بناء سور حول أرض المسجد، ونعدكم بأن هذا المبلغ فوراً.

ونحن نقدر جهودكم العظيمة في سبيل البداءة بالأهم وهو إخراج المسجد على هذه الصفة التي رأيناها في المجسم الكامل الذي اطلعنا عليه للمسجد وفي الخرائط التي شرحها لها المهندسون ونضيف إلى ذلك اقتراحنا بإنشاء محلات للوضوء تلحق بالمسجد يكون قسم منها مخصصًا للرجال وقسم مخصصًا للنساء.

كما أننا نرجو أن لايقتصر العمل في المسجد بعد إتمامه على إقامة الشعائر الدينية وتأدية فرائض الصلاة فيه - على أهمية هذا الأمر وإنما أن يكون منارة إشعاع ومركزاً لنشر المعرفة بالإسلام بين أفراد الشعب البولندي، ونرى أن ذلك

يتحقق من خلال أمور من أهمها إنشاء مكتبة حافلة بالكتب التي تشرح أصول الدين الإسلامي وتبين أحكامه وأهدافه وذلك عن طريق مدها بالمراجع الدينية المختلفة في العديد من اللغات ونخبركم من الآن باستعداد رابطة العالم الإسلامي للمساعدة إضافة إلى مد المكتبة بعد إنشائها بالكتب والمراجع الإسلامية التي تكفي لتكون نواة لإنشاء المكتبة المطلوبة.

مناظر مؤثرة :

من ذلك ماذكرته عن تأثر الجميه بهذا الحديث عن إنشاء المسجد وارتفاع المنارة الذي من المقرر أن يصل إلى ثلاثة وثلاثين متراً.

ومن ذلك أن إمام المسجد الذي يؤم المسلمين الآن ومن المقرر أن يؤمهم أيضًا بعد إكمال بناء المسجد كان من بين الحاضرين وهو شاب مؤمن عليه سيماء الخير. بل بهاء الدين ونور الإيمان واسمه (بكير يعقوبوفسكي) وعمله كما أخبرونا تقني كهربائي أي اختصاصي بالكهرباء المتطورة.



عند اهداء المصحف الشريف وتسجيل القرآن الكريم لإمام مسجد غدانسك وفي الوسط الدكتورة جميلة مورمان

وهو يؤم المسلمين متبرعًا بذلك يبتغي وجه الله ودون مقابل.

وقد شجعته على عمله هذا ودعوت له بالمزيد من التوفيق، وقلت له: إنني أرجو أن يكون اللقاء بكم المرة التالية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم أهديت إليه مصحفًا من طباعة المدينة المنورة فمد يده يأخذه وعيناه تفيضان بالدموع من فرط التأثر، ولما لم يستطع مغالبة دموعه من التأثر أشاح بوجهه إلى الجهة المقابلة ليجفف دمعه. وقد سلمناه مصحفًا أيضًا للمسجد ومجموعة من الأشرطة عليها تلاوة القرآن الكريم مع آلة التسجيل اللازمة لها هدية للمسجد.

وقد عرضوا علينا صورة تاريخية ذكروا أنها لآخر رجل حج من بولندا قبل الحرب العالمية الثانية وهو الشيخ يعقوب... مفتي بولندا وأعطونا نسخة من صورة تاريخية له مع الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - ومعه المفوض الرسمي للحكومة البولندية آنذاك...

ثم أدى وفدنا تحية المسجد بخشوع وقال الإخوة المسلمون هنا: إن هذا فأل حسن في أن هذا المسجد سوف يتم على الوجه المطلوب وأن هذه الصلاة هي بمثابة الافتتاح للصلاة فيه وإن لم يكن قد تم بناؤه بعد.

ووزعوا علينا منشور إنشاء المسجد وطلب التبرع له وهذه صورته لأنه يوضح مشاعر المسلمين تجاه بناء المسجد.

بسم الله الرحمن الرحيم

أخوة الإسلامية في كل مكان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجماعة الإسلامية في مدينة غدانسك البولندية تخاطب قلوبكم وإيمانكم وحبكم لله تعالى ورسوله (صلعم) إننا معشر الإسلام إخوانكم في الدين نعيش في الشمال الأوروبي في جمهورية بولندة الشعبية التي يوجد فيها حوالي ثلاثة آلاف مسلم يتمسكون بعقيدتهم منذ ستة قرون وسط الأغلبية المسيحية وقد آن الوقت لكي نشيد مسجداً يصلح لإقامة فرائض ديننا ويتسع للغالبية منا لهذا السبب فقد قامت الجماعة الإسلامية بغدانسك بتجميع بعض المال من تبرعات الإخوة المسلمين هنا ولكن المبلغ الذي تم جمعه مازال غير كاف لتنفيذ هذا المشروع الكبير.

أخي في الإيمان رسالتنا موجهة إليكم بهدف المساهمة في بناء مسجد الله تعالى في بولندة، وأي مبلغ ولو قليل تتبرع به سيكون بمثابة لبنة تساهم في رفع بيت لله يذكر فيه اسم الله تعالى ﴿**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء**﴾ صدق الله العظيم.

أخي المسلم الكريم مساهمة منك في تعريف إحواننا في الدين بمسلمي بولندة تربع أيضًا بنسخ عشر رسائل من دعوتنا هذه وإرسالها إلى من تجد فيه حب الخير والتبرع لوجه الله تعالى، جزاك الله كل خير وإنما الأعمال بالنيات.

أخي المسلم إن إقامة هذا المسجد سيساهم إلى جانب إقامة شعائرنا الإسلامية بتعريف الشعب البولندي بالعالم الإسلامي والتقاليد والتعاليم والحضارة الإسلامية العربية وإلى جانب ذلك سوف يمكن للمسلمين الذي يمثلون الجاليات الأجنبية من دبلوماسيين وتجار ومثقفين المتواجدين في جمهورية بولندة

الشعبية من إقامة الصلاة وممارسة الاجتماعات الدينية في هذا المسجد مما يعود على الجميع - بالخير والبركة.

أخي المسلم إن عددنا القليل هو الحائل لقيامنا بهذا العمل وحدنا لذلك فمساعدتك لنا ستكون فعالة بدون شك وأملنا كبيرة في الله تعالى وفيكم أن ترتفع مآذن هذا المسجد المبارك بإذن الله في سماء بولندة ولكم عند الله تعالى حسن الثواب.

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خير يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

برجاء إرسال تبرعاتكم على العنوان التالي :

Muzulmanski Zwiazek Religijny W PRL, Gmina Wyznaniowa W Gdansku c/o Bank Polske Kasa Opieki SA, Plac Konatytucji 3, 81-794 Sopot Nr-5-19166-1524-27874-959210.

Islamic Religious Union in Poland, Religious Community of Gdansk c/o/Dr. Dzemila Smajkiewicz- Murman, ul. Klonowicza 13, 80-405 Gdansk.

إمام الجماعة الإسلامية في غدانسك

الشيخ بكير يعقوبوفسكي

كما وزعوا وثيقة تأسيس المسجد باللغتين العربية والبولندية، وهذا هو النص العربي للوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

وثيقة تأسيس مسجد غدانسك

الحمد لله وحده



وضع الحجر الأساسي لبيت الله هذا بعون
الله وحمده في اليوم الثالث من محرم الحرام ١٤٠٥هـ
الموافق لتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٨٤
يعتبر هذا المسجد مثالا أعلى للتعاون والأخوة
التي تجمع المسلمين سواء كانوا في بولندة أو في
بأي بقاع العالم ويقام هذا المسجد في
المدينة التاريخية البولندية غدانسك
تخليدا لذكرى مرور ستمائة سنة على
تأسيس أول الجماعات الإسلامية في بولندة

جعله الله مأوى لكل مسلم مؤمن طاهر

السيد علي عبد تركي: شركة أنكو العربية
المدير تاديوش فونسيك مكتب الشؤون الدينية
اللواء ميتشيسلاف كسيغلان والي غدانسك
كازيميش ميتشكوفسكي رئيس بلدية غدانسك

عن الاتحاد الديني الإسلامي في جمهورية بولندة الشعبية:

ستيفان بايراشيفسكي
ستيفان موخارسكي
جميلة سمايكيفيتش مورمان
بوغوسواف رادغورسكي

جولة في مدينة غدانسك:

وقد شملت هذه الجولة عدة أنحاء من المدينة بعضها مقصود لذاته كما سيأتي وبعضها لمجرد الإطلاع.

وقد قام الأخ (علي ميكي كمالوفيتش) نائب رئيسة الجماعة المسلمة في غدانسك بوظيفة الدليل للوفد فكان يشرح لنا ما نمر به من المدينة ويجيب على أسئلة الوفد المتعددة.

وقد عندما سارت حافلتنا في شوارع المدينة، إن مدينة غدانسك هذه قد ابتدأت العمارة فيها قبل ثمانمائة سنة، وقد صارت بلدة مزدهرة منذ سبعة قرون، وقال: إن مدينة غدانسك قد امتدت العمارة فيها الآن إلى عدة أماكن معمورة فاختلطت العمارة فيها حتى وصل عدد سكانها جميعًا إلى مليون في الوقت الحاضر وصارت كلها تعتبر من مدينة (غدانسك).

مقبرة المسلمين :

ألفيناها جزءاً منفصلاً من مقبرة كبيرة للمسيحيين يفصل بينهما ممر وتقع في تلة عالية ذات أشجار باسقة، وحشائش ندية ملتفة، وقد ارتفعت الصلبان على مقابر النصارى وكررت السؤال عن الشيوعيين أترفع الصلبان على قبورهم مع كونهم يتظاهرون في حياتهم بالإلحاد ؟ وسمعت الجواب هنا قريبًا مما سمعته هناك، وهو أن بعضهم إذا طعن في السن، أو اشتد به المرض عاوده الإيمان فأوصى أن يدفهن بمراسم دينية مسيحية وبعضهم يفعل أهله به ذلك بعد موته.

وبذلك زال عجبي من كون الصلبان - وهي رمز ديني عند المسيحيين -

تكاد تكون مرفوعة على كل القبور في هذه الدولة الشيوعية.



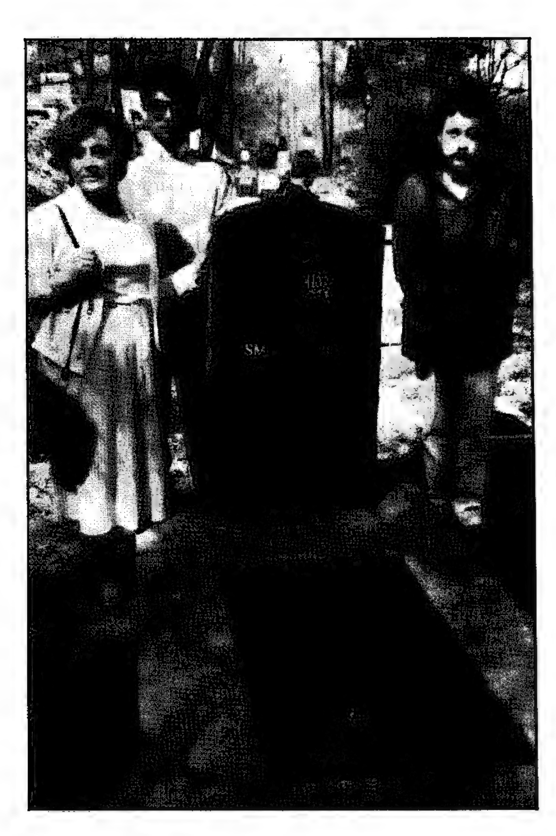
شاهد لأحد القبور في مقبرة المسلمين في غدانسك

وفي مقابل الصلبان على قبور المسيحيين المجاورة نجد المسلمين ينقشون شعارهم وشعار المسلمين كما هو معروف في العالم الآن وهو الهلال الذي تتوسطه نجمة على شاهد القبر الرخامي ولاينصبونه منفرداً مرتفعًا ومنتصباً وحده فوق شاهد القبر كما يفعل النصارى بالصليب وبينما كان بعض الإخوة المسلمين يشرحون لنا من أمر هذه المقبرة ما لم نعلم، كان بعضهم يسلم على أقاربه المدفونين فيها.

ومنهم رئيسة الجماعة المسلمة الدكتورة جميلة مورمان فقد كانت وقفت عند أحد القبور وحدها وهمهمت بشيء عرفت أنها قراءة الفاتحة على القبر فجاءت إليّ وقالت إن هذا هو قبر والدي (علي اسماي يكينفتش) وقد كتب على شاهد القبر تاريخ ولادته ووفاته: ١٩٠٤-١٩٧٦م ونوهت الدكتورة بأن والدها هو ابن إمام أي إمام أحد المساجد- والمساجد هنا قليلة والإمام يقوم بوظيفة إرشاد المسلمين إلى جانب إمامتهم في الصلاة لذلك تكون لوظيفته أهمية كبرى.

وقالت: إن والدها من المؤسسين الأوائل للاتحاد الإسلامي البولندي بل ذكرت

أن جده - أي جد والدها - كان إماماً أيضاً.



الدكتورة جميلة مورمان واقفة عند أحد القبور للمسلمين في غدانسك

وبهذا لم نستغرب اهتمام الدكتورة جميلة بالعمل الإسلامي وسعيها في التمسك به رغم كونها طبيبة وربة بيت، وأمًا لعدة أولاد، حتى عرفت بذلك واختارها المسلمون في غدانسك من رجال ونساء بالانتخاب رئيسة لهم.

بدع وغرائب:

من الأمور الغريبة أن قبراً رأينا عليه الهلال والنجمة: شعار المسلمين وهو بين قبور النصارى ذكروا لنا أن صاحب القبر مسلم اسمه (محي الدين علي

محمد) وهو غريب مات في المستشفى من غير علم المسلمين فدفنته إدارة المستشفى بين النصارى، فلما علمت الجمعية الإسلامية بذلك عملت لقبره شاهداً متواضعًا وضعوا عليه الهلال والنجمة شعار المسلمين بدلاً من الصليب الذي كان وضعه المسيحيون على قبره من قبل. وكتبوا اسمه عليه حتى يعرف بذلك فيسلم عليه المسلمون ويدعون له، وهم لايعرفون عنه إلا أنه من شرق إفريقية.

ومن غربة قبر هذا المسلم بين قبور النصارى كانت هناك غربة أخرى لقبر آخر وقفنا عليه وسلمنا عليه ودعونا له وهو قبر متواضع عليه شاهد لأحد المسلمين وهو مدفون بين المسلمين، ولكن ليس على قبره شاهد، أو أية كتابة تدل عليه، وإنما يعرف المسلمون أنه كان أحد العاملين في السفارة الهندية في بولندا، وأنه مات عام ١٩٦٠م. ولم تضع السفارة الهندية ولا أحد من أقاربه على قبره شاهداً وهو أمر تضعه الأسرة على القبر في العادة بعد الوفاة ويحتاج إلى نفقة بطبيعة الحال.

ومن البدع الظاهرة في المقبرة أننا وجدناهم قد وضعوا شموعًا تتقد فيما يشبه الصحون الصغيرة من الفخار تكون موضوعة على القبر وغالبًا ما تكون تلقاء قدمي الميت، فلما أنكرنا عليهم ذلك وبينا لهم أن الرسول ﷺ لعن في الحديث من يتخذون السرج على القبور.. تبين أنهم لم يعرفوا أن ذلك لايجوز في الإسلام.

والأغرب من ذلك أن هذه كانت حديثة الوجود عندهم فقد ذكروا أن السبب في وجودها أن المسيحيين كانوا يوقدون الشموع على قبور ذويهم لمناسبة عيد الفصح ولايكاد يخلو قبر من هذه الشموع، قالوا: فكنا نرى قبور المسيحيين وهي مجاورة لقبور المسلمين - قد شملها النور على حين أن قبور المسلمين مظلمة، فرأينا أن نوقد عليها الشموع ظنًا منا أن ذلك جائز وأنه غير ممنوع من

جهة الشرع.

وقد قام بعض أعضاء الوفد مأجورين بإطفاء بعض هذه الشموع على القبور وبعضها أطفأه المرافقون من المسلمين البولنديين.



في مقبرة غدانسك للمسلمين

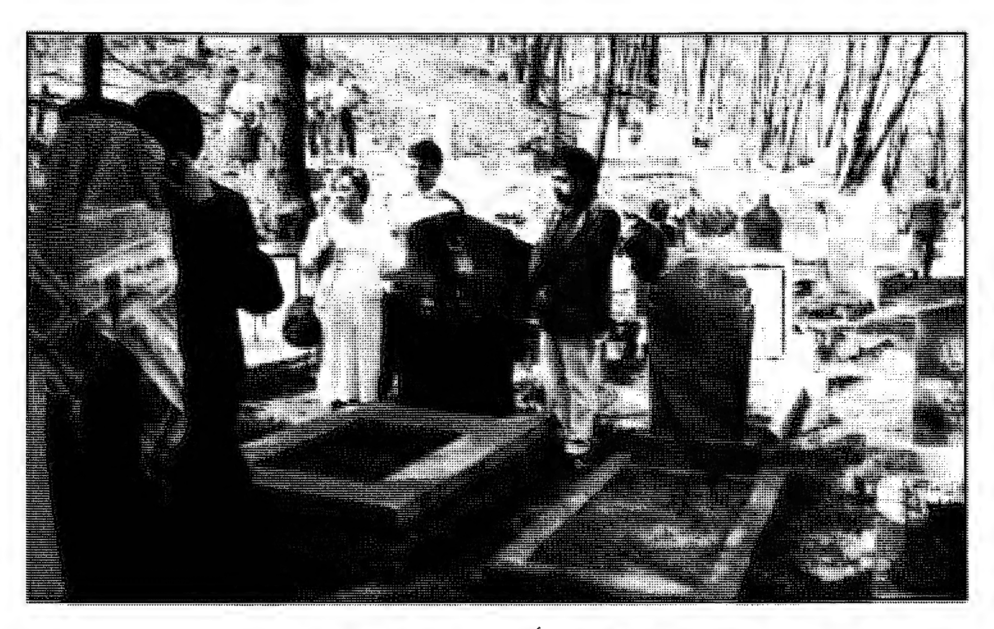
وقلنا لهم : إن الإسلام دين حياة وهو يعتني بالإنسان في حياة أكثر مما يعتني بظاهر قبره، لأن الميت إذا فارق الدنيا فإنه لايجد إلا عمله سواء أكان صالحًا أم سيئًا، ولذلك نهى الشرع الشريف عن البناء على القبور وعن زخرفتها وتكسيتها. ونحن نحمد الله تعالى على أنكم معشر الإخوة المسلمين في بولندا وكلكم أو أكثركم من أصول تترية لاتبنون على القبور، ولا ترفعونها عن الأرض أكثر من المعتاد إلا أن هناك أموراً صغائر ليست شرعية مثل غرس الزهور فوقها أو غرس بعض الحشائش الأخرى.

أما المحظور الممنوع فهو إيقاد السرج أو الشموع عليها كما أخبرناكم.

والإسلام دين عملي حينما يمنع ذلك فأي معنى لشمعة صغيرة تتقد فوق قبر في النهار أو حتى في الليل والقبر في داخله مظلم إذا كان صاحبه من غير الصالحين، وأية فائدة يستفيدها المقبور من ذلك؟

إن الإسلام حث على الأعمال الصالحة التي تنفع الميت وفي الوقت نفسه يتعدى نفعها إلى الأحياء مثل الصدقة عن الميت أو بر أصدقائه وأقاربه الذين كان يحبهم في حياته والوقف الخيري على الفقراء والمحتاجين الذي يصل ثوابه إليه.

لأن الميت إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا ماورد في الحديث: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به من بعده، وولد



د. جميلة مورمان أمام قبر والدها في غدانسك

صالح يدعو له.

فهو بحاجة إلى من ينفعه بالفعل وليس بالمظهر.

وليس معنى هذا أن الإسلام لايحفظ كرامة الميت أو لا يبالي به كما تفعل بعض الديانات والفلسفات الأخرى، بل يحث على حفظ كرامته وصيانة قبره عن الأذى أو وضع القاذورات عليه، أو سير الأقدام فوقه كأن يتخذ القبر طريقًا. أو تلقى القمامات فوقه ولذلك جاء في الأثر: كسر عظم الميت ككسره حيّاً.

إلى قلب المدينة القديم:

غادرنا المقبرة متجهين إلى قلب المدينة القديم الذي يقع فيه مكتب عمدة المدينة أو حاكمها كما يسميه بعض الناس ولكن الوقت فيه بقية والإخوة عرفوا رغبتنا في الإطلاع على المدينة فصاروا يشاركون في إفادتنا، وشرح ما غمض من أمرها.

وقد كرروا ماذكروه من قبل من كون مدينة غدانسك الأصيلة قد التحمت بمدينتين متجاورتين هما مثلها واقعتان على ساحل البحر فصارت المدن الثلاث مدينة واحدة هي غدانسك الحديثة ممتدة على ساحل بحر البلطيق لمسافة تقرب من ثلاثين كيلو متراً وخلفها مما يلي اليابسة عدة بحيرات جميلة تغذي بعضها أنهار وبعضها تغذيها مياه السيول، وتكررت أيضًا رؤية عربات الترمواي في شوارع عديدة من شوارعها وذكر لنا المرافقون أن هذا الترمواي هو أهم وسائل الاتصال في المدينة في الوقت الحاضر.

وذكروا بهذه المناسبة أنه لا توجد في المدينة مشكلة في وجود وسائل الانتقال

بين أجزائها رغم طول امتدادها.



شارع في غدانسك

مدينة تقنية:

ذكروا أشياء عن المدينة لا تتصل بالتقدم العلمي التجريبي الحديث منها كون غدانسك فيها أطيب ماء معدني للشرب في بولندا كلها وكنا لانشرب إلا الماء المعدني منذ وصولنا إليها وذلك لوفرته ورخص سعره بالنسبة إلينا نحن الوافدين عليها.

ولكن الأهم من ذلك أننا مررنا بعدة كليات تقنية منها كلية الهندسة واقعة على شارع واسع من أهم شوارع المدينة اسمه شارع النصر وذكروا أن كلية الهندسة هذه ذات فروع دراسية وأقسام متعددة تجعلها أشبه ما تكون بجامعة هندسية تقنية، والحديث عنها من إخواننا البولنديين وأخوان من الطلبة العرب

في المدينة عددهم أربعة كانوا معنا منذ الصباح.

وذكروا أن قسم بناء السفن في الكلية مهم جداً. وهو من أهم الأقسام فيها كما ذكروا أن في كلية الهندسة عدداً من الطلاب العرب يتراوح ما بين مائة وخمسين إلى مائتين.

وفي كلية الطب عدد من الطلبة العرب أيضًا إلى جانب الكليات الأخرى وهذا كله في مدينة غدانسك هذه.

ثم مررنا بمصنع بناء السفن على شاطئ برافعاته الضخمة ومحطة رئيسية للسكك الحديدية تصل مدينة غدانسك بسائر أنحاء أوروبا عن طريق شبكة الخطوط الحديدية الأوروبية كما تصلها بالاتحاد السوڤييتي.

ثم اجتزنا جسراً قديمًا على مستوى أرض الشارع فوق قناة مائية.

ووصلنا إلى قناة أخرى كان عليها ميناء قديم يصدر أكثر ما يصدره من القمح التي كانت بولندا مشهورة بإنتاجه وتصديره قبل الحكم الشيوعي وأصبحت الآن تستورد بعض القمح من الخارج مثلما عليه الحال في الاتحاد السوڤييتي.

في القلب التاريخي :

وقفت الحافلة عند ميدان مستطيل في قلب المدينة التاريخي يتوسطه تمثال (نبتون) الذي يزعمونه إلهًا للبحر ﴿**وما من إله إلا الله**﴾، ورغم كون الشيوعيين لايؤمنون بالخالق الأعظم إله الكون كله فإنهم لم يبعدوا هذا التمثال للإله المحدود الصلاحية بزعمهم وهو إله البحر، لأنهم يعرفون أن هذه مجرد خرافة من خرافات الأولين من اليونانيين، وقد زعم ناصبوا التمثال أنه يليق

بمدينة بحرية مهمة في المنطقة أن يكون فيها مثل هذا التمثال.

وقد انتدب للحديث عن هذا القلب التاريخي للمدينة أخونا (مصطفى بادي راشفتيش) لأنه يعمل في هذه المنطقة، وقد أرانا مكتبه في أحد الأبنية التاريخية التي إذا رآها الإنسان لايشك في أنه من أبنية القرن التاسع عشر أو حتى الثامن عشر بطراز البناء وحتى الطلاء منها. مع أنها قد هدمت كلها أثناء الحرب العالمية الثانية التي دارت رحاها بين الألمان والبولنديين ثم بين الألمان والروس على أرض بولندا. غير أنهم أعادوا بناءها بعد الحرب على ما كانت عليه قبل أن تهدم، وذلك اعتزازاً منهم بهذه الأبنية التاريخية التي لاتساوي شيئًا إذا نسبناها للآثار والأبنية القديمة في بلداننا العربية ويأتي على رأسها الجامع الأموي في دمشق ومسجد ابن طولون في القاهرة إلى غير ذلك.

ومن هذا الميدان كان الممر الملكي الذي يمر تحت ساباط أي بناء قد بني فوق جزء من مدخل الميدان على هيئة جسر الذي يصل من فوق بين البيوت في جانبي الشارع وذلك حتى يصل القصر الملكي.

ولايزال الممر يسمى الممر الملكي رغم ذهاب الملك والملكية في بولندا عن الأسر وإنما الملك بالمعنى اللغوي المادي المجرد أي السلطة هي الآن في أيدي الشيوعين الذين يعادون الملكية ويسوسون الناس سياسة القهر والبطش أعظم مما تفعل بهم الملكية البولندية. ، و(الملك لله وحده).

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير﴾.

وقد أرانا الأخ مصطفى هذه المنطقة وذكر أن اختصاصه البستنة والتزهير أي علم الزهور ويسعى مع فريق معه في تحسين الزهور ونباتات البساتين من

الناحية العلمية التي تعتمد على البحث والتجربة كما ذكر.



صورة تذكارية لأعضاء الوفد مع المرافقين في الحي القديم في غدانسك في أيسر الصورة الدكتورة جميلة مورمان ونائبها عن يساري وعن يميني محمد الجابري

وتتألف البيوت القديمة هذه من مجموعة تبدو متلاصقة من الخارج وكلها بمستوى واحد من حيث الارتفاع إلى مستوى أربعة طوابق ولكنها في الداخل تبدو منفصلة وذكروا أنها كلها الآن حكومية قد صادرتها الحكومة الشيوعية من ملاكها بعد الشيوعية.

وذكروا أن الألمان قد سكنوا فيها عند احتلالهم في بولندا واستأثروا بها وحدهم قبل أن تصلها المعارك وتدمرها.

ولذلك لايرى المرى فيها إلا أنها نموذج مصنوع بطراز البناء القديم إذ هدمت كلها ماعدا مقر عمدة المدينة أو حاكمها الذي سنذهب لزيارته ودخول مقره بعد قليل فإنه بقي وحده سالمًا من الهدم.

وهذه البيوت التي جددوا قدمها - إن صح التعبير - كلها الآن مكاتب حكومية وتابعة للمؤسسات العامة.



عضو وفد الرابطة الدكتور سعيد محمد باديب في القسم القديم من غدانسك

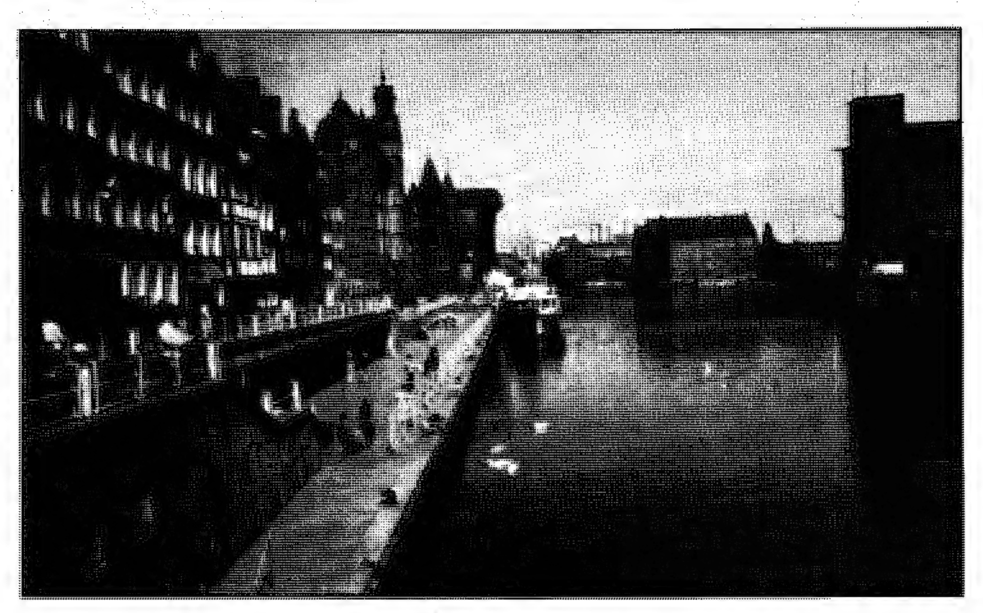
وعلى بعض هذه الأبنية تماثيل منحوتة ومركبة في واجهاتها كما تكون على بعض الأبنية القديمة في مدينة باريس القديمة منها واحدة ذكروا أن جميع التماثيل التي عليها جاءتهم من هولندا في القرن السادس عشر الميلادي.

تركنا ميدان الممر الملكي مارين تحت عقد في جهته الشرقية المقابلة للممر الملكي الذي يقع في الجهة الغربية فأفضى بنا ذلك ونحن نسير على الأقدام لأن منطقة الميدان ممنوع دخول السيارات فيها إلى القناة النهرية التي مررنا بجزء منها من قبل فوقفنا على جسر فوقها يشرف على مسيرها من الشمال إلى الجنوب في هذه النقطة واطلعنا على ميناء صغير فيها كان هو الميناء الرئيسي للمدينة في القديم ولكن هجر الآن بعد أن اتسعت حركة التصدير والاستيراد

وأنشيء ميناء غدانسك الضخم.

ولم تبق من أهمية لهذه القناة ومينائها إلا كونها تفصل بين جهتين من المدينة إحداهما تسمى القديمة، وهي التي فيها الميدان الذي تقدم ذكره - والثاني الجديدة وهي ما كان خلف القناة من جهة الشرق واستمرت هذه التسمية رغم أن مدلولها قد تغير فصار القسمان من المدينة كلاهما جزءاً قديمًا منها.

وتسمى هذه القناة النهرية (متوافا).



القناة التي كانت ميناء قديمًا في غدانسك

وعدنا إلى الميدان المستطيل الذي تشرف عليه دار البلدية وذكر الإخوة أن في بعض الحوانيت المطلة على الميدان وكلها حكومي - يباع الكهرمان، وهو الذي تعمل منه السبح والقلائد ونحوها وكنا نسميه كهرباء في بلادنا قبل أن نعرف الكهرباء الحقيقية فضلاً عن أن نستعملها.

ويسميه بعض الناس العنبر، ويوجد في مقالع في أماكن معينة من بحر البلطيق وتشتهر به مدينة غدانسك هذه وأصله أشجار سقطت في البحر منذ عصور قديمة ثم تشكلت بشكل هذا الحجر المعدني الذي يشبه بعض اللدائن.

وكان الميدان الرئيسي من المدينة هذا وما حوله من الأسواق مليئًا بالمارة والمتفرجين وأكثرهم قد جلسوا يتمشون على مقاعد مبثوثة فيه رغم دفء الجو ولكن ذلك محبة للقوم في الشمس وهم الأوروبيون الذين لايختلفون عن ذوي المظهر الأوروبي المعتاد في غرب أوروبا سواء في الألوان أو لون الشعور أو حتى في الملابس في أكثر الحالات وقد استمتع بعضهم بمنظر الملابس العربية الكاملة التي اعتاد وفدنا أن يرتديها ونحن نمشي على الأقدام وكنا نصور المناظر التي تروقنا. والسياح من خلفنا يصوروننا وما نصوره انتهازاً لفرصة رؤية الملابس العربية الأصيلة حية تسعى على الأرض وليست مصورة في كتاب أو معروضة في تلفاز.



عقود البوابات في القسم التاريخي القديم في غدانسك

وأفخر المباني في هذا الحي القديم مع دار البلدية، أو عمدة المدينة الكنائس الشامخة البنيان التي أقيم بعضها على الطراز الروماني وبعضها على الطراز الفرنسي المتأخر.

كما يتميز هذا القسم القديم بأزفته الضيقة بل حتى شوارعه ليست واسعة وهي مبلطة كلها بالحجارة الصغيرة المهذبة لا بالأزفلت. وأكثر ما فيه قد غلب السواد عليه بفعل الزمن حتى ولو كانت حالته العامة جيدة.

وفي هذا الحي القديم عدد من المتاجر التي تبيع التحف والهدايا من المصنوعات الشعبية اليدوية ومن المنتجات المحلية لأنه مقصد للسياح والزوار.

زيارة عمدة المدينة :

وجدنا إخوتنا المسلمين قد أعدوا في برنامج الزيارة فقرة تتعلق بزيارة عمدة مدينة غدانسك وكان موعد الزيارة الحادية عشرة والنصف ضحى.

فعندما وصلنا دار البلدية وهي بناء قديم بل تاريخي بالنسبة إلى أبنية المدينة رأينا موظفين في الانتظار عند الباب الخارجي استقبلنا أحدهم وأسرع بالدخول فصعدنا درجًا قديمًا واسعًا أفضى إلى الطابق الأول حيث وجدنا رئيس البلدية واسمه (رينوفسكي) معه بعض معاونيه فاستقبلنا مرحبًا، بل بالغ في الترحيب وقبل يد الدكتورة جميلة من باب المجاملة الظاهرة عندهم، وإلا فإن الشوعيين لايفعلون ذلك في العادة ويزعمون أنه من بقايا العادات السائدة في عهود الإقطاع، ولكنه فعل ذلك احترامًا لها، وإكرامًا لضيوفها.

ثم جلسنا على مائدة غير كبيرة من قاعة تاريخية حافلة بالرسوم والصور

التاريخية فابتدأ عمدة المدينة الحديث عن مدينة غدانسك فكان مما قاله :



أثناء الاجتماع في مقر البلدية في غدانسك

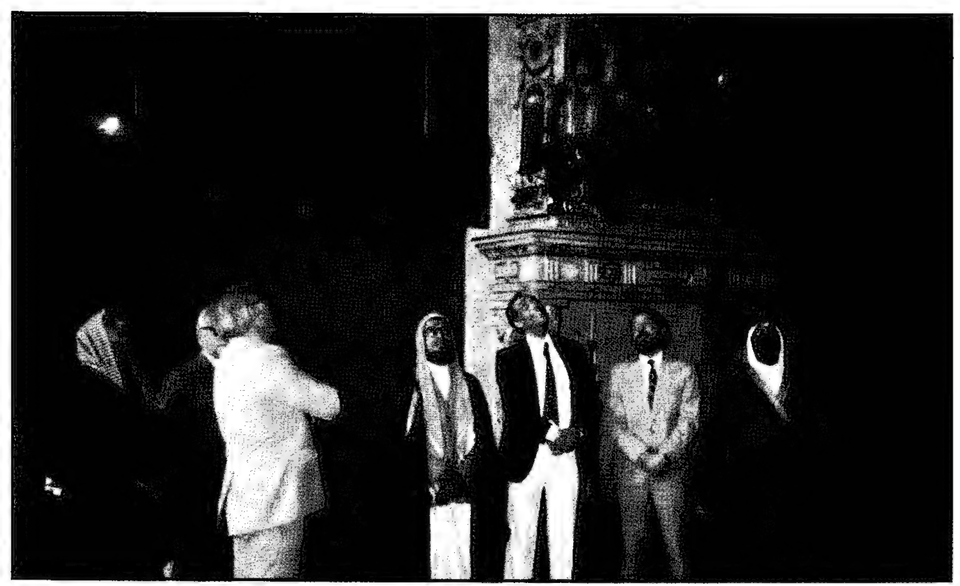
إنني يسرني أن أرحب بكم في مقر السلطات القديمة لمدينة غدانسك التي استقبلنا فيها عدداً من الوفود من البلدان الإسلامية، وبخاصة عندما وضع الحجر الأساسي لمسجد غدانسك في عام ١٩٨٤م، إذ كان وضعه حدثًا هامًا في تاريخ المدينة عامة وتاريخ مواطنينا المسلمين خاصة.

وأتمنى أن تكونوا قد استمعتم بهذا الجو المشرق الجميل، واطلعتم على المدينة وبخاصة الأبنية القديمة في قلب المدينة التاريخي، وهي الأبنية التي أعدنا بناءها بعد الحرب العالمية الثانية.

ثم تحدث عن تطور وازدهار التعليم والصناعة والزراعة فيها.

وقال: أما المشكلات التي تواجهها المدينة فمن أهمها تأمين المساكن للمواطنين الذين يتزايدون بشكل كبير، فإحصائية عام ١٩٤٦م تفيد أن سكان غدانسك كان ١١٦ ألفًا والآن أصبح أربعمائة وواحد وسبعين ألفًا - يريد بذلك مدينة غدانسك وحدها دون ما التحق بها من بلدان الآن، وبعد الحرب العالمية

الثانية بنيت ١١٦ ألف وحدة سكنية ولكن مع الأسف هنالك عشرون ألف عائلة ينتظرون توفير السكن لهم.فمشكلة السكن هي قضية أساسية تواجه الشباب والعائلات وتسبب قلقًا للحكومة ولكن الحكومة تبذل الكثير في معالجة هذا العجز ببناء المزيد من السكن.



أعضاء الوفد بصحبة حاكم مدينة غدانسك والمرافقين يتأملون الرسوم في سقف قاعة في البلدية

فألقيت كلمة جوابية تضمنت الشكر والتقدير على الترحيب الحار بالوفد والمعلومات القيمة عن المدينة وقلت: عندما رأينا بناء المسجد ومنارته التي سترتفع شعرنا بأن هذا البناء سيكون نموذجًا للتسامح الذي تعيش فيه هذه المدينة وقد أخبرنا المسلمون في بولندا وفي هذه المدينة بأنهم يعيشون في روح من التسامح مع مواطنيهم من غير المسلمين. ومجرد وجود المسلمين منذ

ستمائة سنة محافظين على دينهم يدل على شيئين هما شدة تمسك المسلمون بدينهم والتسامح الذي امتاز به الشعب البولندي وهذا المسجد الذي يشيد حالياً مثال واضح على ذلك.

ثم شرحت لهم مهمة رابطة العالم الإسلامي وأعمالها وأهداف زيارة الوفد إلى بولندا وقلت: بأننا سوف نزف البشرى والخبر السار إلى إخواننا المسلمين في العالم بأن المسلمين يعيشون هنا في تسامح مع غير المسلمين ويبنون مساجدهم وسيكون لذلك الأثر الطيب في علاقة الشعوب الإسلامية مع الشعب البولندي.

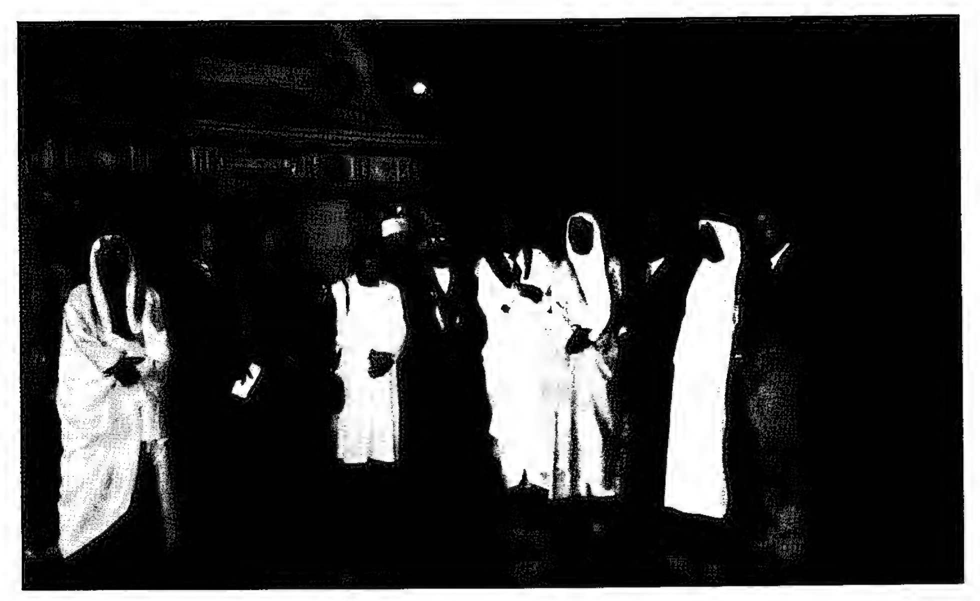
وبهذه المناسبة أوضح لكم بأننا لانعتبر الإسلام دين عبادات فقط بل هو ثقافتنا وحضارتنا وأي مبادرة ومعاملة طيبة لإخواننا المسلمين نعتبرها معاملة طيبة لثقافتنا وحضارتنا.

وقد علق عمدة غدانسك على كلمتي بأنه وقع على الوثيقة التي وضعت تحت الحجر الأساسي للمسجد بأنه يؤمن بالله وأن المسجد أقيم بالقرب من الكنيسة وأنه يسكن في الحي الذي فيه المسجد وأنه يتابع بناء المسجد بنفسه ويتمنى أن يرى المسجد وقد اكتمل بناؤه في القريب العاجل. وقال: أرجو أن أسمع صوت المؤذن يصدح من المسجد.

فشكرته وقد لبثنا عنده وقتاً أطول مما قررناه وذلك بالنظر إلى مجاملته للوفد وحديثه الودي عن المسجد وعن المسلمين، وتجاوبه في الحديث.

وفي نهاية المقابلة قدمت له هدية سر بها وهي عباءة عربية مقصبة لبسها وسار بها مزهواً ولم يخلعها حتى ودعنا عند الباب الخارجي للمبنى. وصحبنا قبل ذلك وهي عليه في جولة على قاعات هذا المبنى التاريخي وشرح لنا رسومات ولوحات فنية قديمة مرسومة على حيطانه وحتى سقوف القاعات الرئيسية فيه.

وقدمت له مع العباءة ساعة يدوية جيدة وتمراً من تمر المدينة وسجادة من سجاد الصلاة ذات نقش جميل تصلح للتعليق في الحائط فكان لذلك أثر طيب في نفسه ونفوس الإخوة من رؤساء المسلمين الذين كانوا معنا في المقابلة.



صورة تذكارية للوفد مع حاكم مدينة غدانسك في مبنى البلدية التاريخي وهو على يسار المؤلف عليه العباءة العربية وعلى يمينه الدكتورة جميلة مورمان

وقال أحدهم : إن هذه أول هدية تلقاها الحاكم من وفد قادم من البلدان الإسلامية، وقال آخر : إنها إن لم تكن أول هدية من نوعها فإنها أثمن هدية من نوعاه من دون شك.

في سوق الخشب :

بعد مقابلة عمدة المدينة كان في الوقت متسع للمزيد من الإطلاع، وكان في القسم القديم من مدينة غدانسك بقية تحسن رؤيتها فقال الإخوة من المسلمين أهل غدانسك: إلى سوق الخشب وهي سوق كانت تسمى بذلك في القديم لأن

الخشب الذي كان يقطع من غابات بولندا ويصدر عن طريق غدانسك يباع هنا وكان التجار الأجانب يقصدون المدينة لشرائه وشراء غيره من السلع. وقد بطل بيع الخشب في هذا السوق الآن الذي بنيت فيه حوانيت حافظ بعضها على بيع بعض الخشب المتمثل في المصنوعات الخشبية من التحف والأثاث الخشبي الصغير الحجم.

يبنونها مائة وخمسين سنة :

أرانا الإخوة المرافقون بالقرب من دار البلدية القديمة كنيسة شامخة البناء ذكروا أن اسمها (ماريا نايس فنتشا) ومعناه : مريم المقدسة وليس هذا بالمهم طبعًا. وإنما المهم ما ذكروه من كون البناء قد استمر في هذه الكنيسة مدة مائة وخمسين سنة ابتداء من عام ١٦٤١م.

وهي بلاشك تلفت النظر بضخامة بنائها وأناقته وطرازه العتيق.

وقد أخبرونا أن مظاهرات (تضامن) البولندية الشهيرة التي تحدث النظام الشيوعي. وحاولت تأسيس نقابات عمالية حرة لا سلطة للشيوعيين عليها كانت تنطلق في أول أمرها من عند هذه الكنيسة حين كان أعضاؤها يتجمعون، ويلتف إليهم من يعادون النظام الشيوعي أو من يريدون التفلت منه مثلهم غير أن الجميع لم يفلحوا في آخر الأمر لأن الشيوعيين فرضوا الحكم العسكري على البلاد ومن ورائهم الحليف الشيوعي الأكبر الاتحاد السوفييتي جارهم الذي لايحتمل أن يكون على حدوده نظام حكم حر يحل محل حكم شيوعي موالٍ له بطبيعة الحال.

دار السلاح :

ثم مررنا بدار السلاح وكان مكانًا لجمع السلاح وخزنه وبيعه في أول الأمر وقد أصبح الآن متاجر حكومية بعد أن تطورت صناعة السلاح وشبت عن طوق

الحزن في مثل هذه الأماكن.

ثم وصلنا إلى سور قديم للمدينة القديمة لم يبق منه إلا برج بني في القرن الرابع عشر الميلادي ولايزال على بنائه الأصلي.

ومبنى آخر مقابل له تاريخ بنائه هو عام ١٤٨١ - ١٤٩٢م.

ملجأ الرهبان المطرودين من فلسطين :

وقفنا عند بناء تاريخي مهم بجانب السور القديم، كتب عليه تاريخ بنائه ١٤٨١ - ١٤٩٢م وذكروا أنه كان مأوى للرهاب الذين طردهم المسلمون من فلسطين عندما تغلبوا الصليبيين إبان الحروب الصليبية المتأخرة.

ومن الطبيعي أنه لم يكن ملجأ لجميع الرهبان والمتعصبين من الصليبيين الذين غزوا فلسطين، وأسسوا فيها دولة صليبية عمرت ردجًا من الزمن تقاعس فيه المسلمون عن الجهاد في سبيل الله، واشتغل بعضهم بمحاربة بعض عن قتال الغزاة الكافرين حتى أذن الله تعالى بأول نصر للمسلمين على يد القائم المسلم صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ثم تتابعت الهزائم عليهم على أيدي الولاة المجاهدين من المسلمين، حتى خرجوا نهائيًا من البلاد العربية، وعادت فلسطين مسلمة عربية كما كانت من قبل.

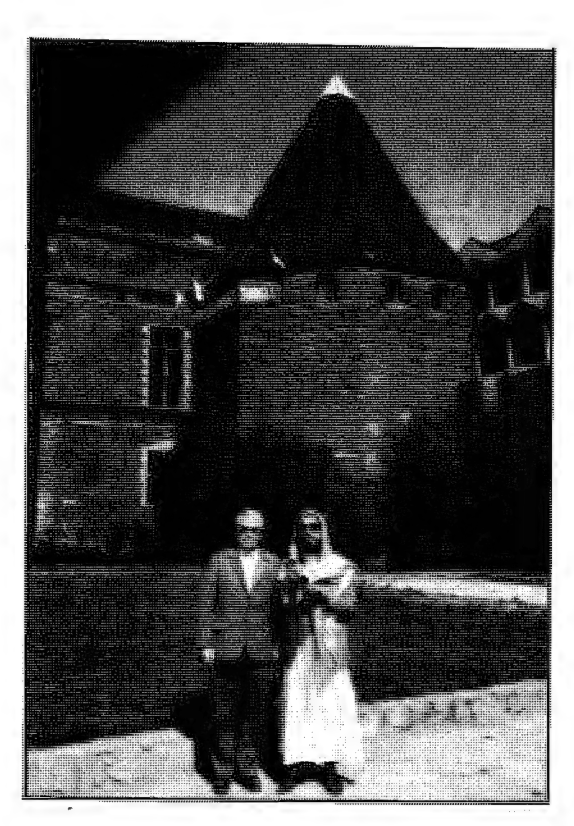
حتى تألب عليها أولياء النصارى من اليهود المتعصبين في غفلة من ولاة المسلمين الذي تقاعسوا عما أمر الله به من العمل الصالح والعدل في الرعية ومن ثم جهاد الكافرين الذين يغزون بلاد المسلمين.

ومازال اليهود في عنفوانهم ومازال المسلمون في تقاعسهم لأن ولاة المسلمين في الوقت الحاضر لايستحقون أن ينالوا شرف تطهير أرض المسلمين من هؤلاد الغزاة الكافرين، لأنهم أو أكثرهم قد فرطوا في أمر الدنيا والدين فاستحقوا الخذلان المبين، الذي يندى له الجبين، فما أشبه الليلة بالبارحة! ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

السجن القديم :

وقفنا عند بناء قديم المظهر، مغلق مما يلي الخارج من كل جهة عدا الباب وقال الإخوة المرافقون إنه السجن القديم، وإن أهميته الآن تكمن في كونه بناء أثريّاً كان ذا مهمة معروفة.

وأهم ما فيه خطاف قوي من الحديد مثبت في الشارع، كانوا يعلقون فيه جثث القتلى الذين تقتلهم السلطات، وتريد أن يرى الناس جثثهم حتى يرتدعوا، ويكونون من السياسيين أو المغضوب عليهم لمخالفتهم السياسة الحكومية أو من أرباب الجرائم غير السياسية.



مع نائب رئيسة الجمعية الإسلامية في غدانسك أمام برج تاريخي في مدينة غدانسك القديمة

وقد بني هذا السجن في القرن الخامس ما بين عام ١٤١٠-١٤٨٧م من الآجر الأحمر القوي المضاعف بارتفاع حوالي ٢٥ متراً في أبراجه المرتفعة، ويمر به الموكب الملكي ليرى السجناء وهو في طريقه.

وكان يرافقنا في هذه الجولة عدد من الإخوة العرب الذين خففوا مهمة الترجمة على الأخ نجيب الصحراوي هذا اليوم والبارحة منهم الأخ محمد الجابري المغربي والطالب الفلسطيني الأخ علي محمود الأعوشي والأخ مازن زين الدين العودة، وهو طالب فلسطيني أيضًا يدرس في غدانسك، إلا أن الترجمة في اللقاءات الرسمية كانت للأخ الجابري.

على شاطئ بحر البلطيق :

غادرنا قلب المدينة التاريخي وغادرنا أيضًا طرفها الحديث ذاهبين جهة المنتجع الذي نقيم فيه في أحضان الغابة، إلا أننا عدلنا قبيل الوصول إليه مع طريق يقصد ساحل البحر، وذلك لمشاهدة ساحل بحر البلطيق الذي كان ذا ذكر مجلجل أثناء الحرب العالمية الثانية وما لحق بها من أحداث، وبخاصة عندما استولت القوات الروسية على دول البلطيق الثلاث... استونيا ولتوانيا ولاتفيا وألحقتها بممتلكاتها الواسعة وإن زعمت أن الأمر ليس كذلك، وإنما زعمت أنها أرادت لها أن تنعم بالحكم الاشتراكي (التبعية) وكان ذلك في عام ١٩٤٠م وتحت سمع العالم وبصره الذي لم يحرك ساكنًا لأن القوة الروسية قد حسمت الأمر بما أرادته، ولم تجد من يستطيع أن يقوى على صد إرادتها.

كانت المفاجأة عندما وصلنا ساحل البحر أن رأيته من هذه المنطقة محاطًا بنطاق من الأشجار البرية الوحشية الكئيبة المنظر، وليس فيه أي أشجار للزينة أو أثر لتهذيب الأشجار أو تحسين مظهرها. وليست فيه عمارة.

وبعد هذه الأشجار البرية شاطئ رملي صالح للاستلقاء أو الاسترخاء فيه لأن رمله نقي من الشوائب غير أنه مهمل سيء المظهر.

والأغرب من ذلك أن لون مياه البحر بدت لنا متسخة تميل إلى اللون البني بعيدة عن لون البحر المميز بخضرته عند المياه الضحلة وزرقته فوق المياه العميقة.

وفسر الرفقاء البولنديون ذلك بكون مياه هذا البحر في هذه المنطقة ملوثة وبخاصة قرب هذا المكان حيث تقع مصفاة النفط الرئيسية التي تقذف بنفاياتها في هذا البحر، إلى جانب المصانع الأخرى العديدة التي ترمي بنفاياتها في البحر أيضًا.

ولم نجد فيه أحداً من السابحين أو المتنزهين عدا اثنين يظهر أنهما من الغرباء وذكر الرفاق أن السباحة فيه ممنوعة بأمر الحكومة لكون مياهه غير نظيفة بسبب التلوث الكيميائي هذا ماأعلنته الحكومة البولندية وتكرر إعلانه.



على ضفة بحر البلطيق الدكتور سعيد محمد باديب عضو الوفد في أيمن الصورة، فالمؤلف، فالأخ رحمة الله بن عناية الله

قالوا: ولكن هناك سبب آخر لاتعلنه الحكومة، ولكن الناس يعرفونه لأنه يتعلق - أيضًا - بالحليف الاشتراكي الأكبر والجار الأقوى - الاتحاد السوفييتي. ذلك هو أن بحر البطليق قد غرقت فيه منذ سنوات غواصة ذرية لوثت مياهه بالإشعاع الذري، ويعرف أكثر الناس أن الغواصة الذرية الغارقة هي روسية. وأن السباحة في هذا البحر قد أصبحت خطراً على الصحة في هذه المنطقة.

وهكذا ظهر الوباء الذري الروسي الشقيق في البحر والجو بماكسبت أيدي الناس.

الفطور الثاني والغداء:

عندهم في هذه البلدان الشمالية في الصيف ترتيب للوجبات الغذائية اليومية ليس عندنا من ذلك أننا وجدناهم وضعوها هذا اليوم كالتالي:

الإفطار في الثامنة صباحًا، الإفطار الثاني في الثانية عشرة ظهراً، الغداء في الرابعة، العشاء في الثامنة وذلك لطول اليوم، وقد ظننا أننا نستطيع تغيير ذلك إلى المعتاد عندنا فلم نتناول إفطار الثانية عشرة ظنًا بأننا نستطيع أن نقدم موعد الغداء قبل الرابعة غير أننا لم نستطع ذلك لأن الفندق لم يضع الغداء الخاص بنا إلا في الرابعة. فاسترحنا قبل الغداء قليلاً ثم تناولناه في الركن المعتاد المخصص لنا من المطعم في هذا الموعد.

الاجتماع الموسع بالمسلمين:

وفي الخامسة عصراً كان موعد الاجتماع الموسع بالمسلمين الذي ذكر الإخوة هنا أن المسلمين في مدينة غدانسك كانوا ينتظرونه لأنه اجتماع مفتوح لمن شاء أن يحضره من المسلمين، ولمن شاء منهم أن يسأل مايريده من الأسئلة أو يستفسر عمايعن له من استفسارات.

ذلك بأنهم يعتبرون أن مجيء وفدنا من بلاد الحرمين الشريفين فرصة ينبغي لهم أن ينتهزوها.

ومع ذلك لاحظنا أن حضور الاجتماع ليس متيسراً لبعض الأفراد بالنظر إلى موقع الفندق وبعده عن وسط المدينة.

وقد استأجروا حافلة كبيرة نقلت جمهورهم بالإضافة إلى عدد قليل من

السيارات الصغيرة الخاصة.

وانعقد الاجتماع في إحدى قاعات الفندق الذي نقيم فيه وهو منتجع البلدة وحضره من المسلمين البولنديين مايزيد قليلاً على الستين.

ومن الغريب أن النساء في هذا الجمع أكثر من الرجال، وقال بعض الإخوة من أعضاء الوفد: ربما كان لوجود الدكتورة جميلة على رأس الجماعة الإسلامية أثر في ذلك، فقلنا ربما كان الأمر أعمق من ذلك، وأن وجود الدكتورة على رأس الجماعة، وقد اختيرت بالانتخاب كان سببه أن النسوة المسلمات أكثر عدداً في الجمعية الإسلامية. أو أكثر نشاطًا من الرجال.

وأيا كان الأمر فقد لاحظت أن أكثر الأسئلة المهمة جاءت من النساء.

بدأ الاجتماع بكلمة تقديم من رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي الأخ (استيفان مصطفى موخارسكي) عرف فيها الحضور بأعضاء وفدنا بأسمائهم وغلط فيها أو في بعضها على عادتهم، ثم ذكر مهمة الوفد وماتم بينه وبين الوفد من مباحثات وماااتفقنا عليه معهم من أمور خلال ذلك في بياوستوك ومابعدها.



الدكتورة جميلة مورمان تلقي كلمة الجماعة المسلمة في غدانسك

ثم ألقت الدكتورة جميلة اسمايكفيتش مورمان رئيسة الجماعة الإسلامية في غدانسك كلمة ترحيب بوفد الرابطة وقالت: بعد أن زالت الخلافة العثمانية عام ١٩٢٨م فقد العالم الإسلامي مركز القوة والاتحاد ونحن نقدر دور رابطة العالم الإسلامي في ملئ ذلك الفراغ ونرجو لها كل التوفيق في مساعيها لخدمة الإسلام والمسلمين وجهودها في نشر الثقافة الإسلامية التي ندعو إليها دائمًا والدليل على هذا أننا اخترنا اسم جمال الدين الأفغاني اسمًا لمسجد غدانسك.

إن جماعتنا في غدانسك ليست كبيرة ولذا نحن نسعى إلى توسيع علاقتنا مع جميع المسلمين في العالم ومن هذه الزاوية فإن لزيارتكم أثراً كبيراً في نفوسنا لأن جماعتنا الصغيرة أصبحت محل الاهتمام وأنها ستنضم إلى إخوتها الجماعات الإسلامية في العالم.

وأملنا كبير أن الزيارة لن تكون الأخيرة بل ستليها زيارات أخرى ومناقشات حول أوجه التعاون المشترك في ميدان الثقافة الإسلامية ونحن نعقد آمالاً كبيرة في بناء مسجدنا.

وبالإضافة إلى توفير مكان لإقامة الصلاة فالمسجد سيوفر لنا مكانًا لتقديم الدروس الدينية لأبنائنا وملتقى لإقامة الندوات والمحاضرات في الثقافة الإسلامية للمسلمين وغيرهم ممن يريد أن يعرف الإسلام ونحن نرى اهتمامًا كبيراً بالإسلام في المجتمع البولندي ولم تسنح الفرصة لعمل ذلك.



الحاضرات من النساء اكثرمن الرجال في الإجتماع الموسع في غدانسك

وبما أن مجموعتنا ليست كبيرة فإن إمكانياتنا المالية ليست كبيرة ولذا فإن بناء المسجد يفوق طاقاتنا وقدراتنا ونعقد الآمال الكبيرة على رابطة العالم الإسلامي بأن تعيننا على إكمال بناء المسجد وأن ترعى شئوننا الإسلامية في إصدار مجلة إسلامية ونشرات دينية وتوعية أبنائنا والطلاب المسلمين الوافدين إلى غدانسك بتعاليم وأحكام الإسلام.

ولما أنهت كلامها ألقيت كلمة مناسبة في الحاضرين كان مما جاء فيها:

إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات إن هذه الساعة ساعة تاريخية وفرصة قلما يجود بها لنا الزمن، ذلك لأنها كاللقاء الذي يتم بين الأحبة بعد فراق طويل وذلك لأنكم أخوتنا الأشقاء في الإسلام وأخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب لأن أخوة الإسلام عقدت أواصرها في السماء وأما القرابة من النسب فهي أخوة جسدية وهي من تراب.



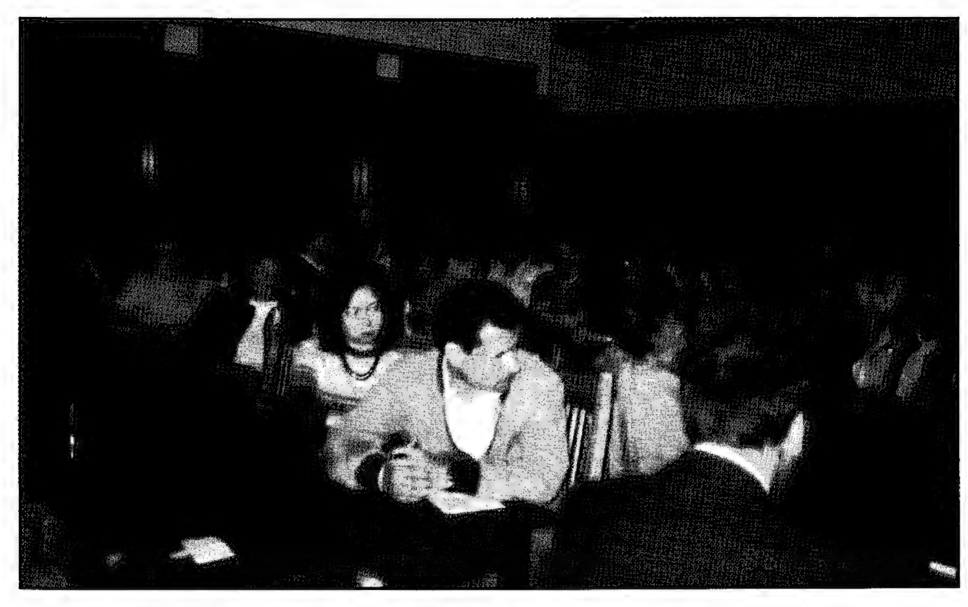
ثم تكلمت عن رابطة العالم الإسلامي وأعمالها وهدف زيارة الوفد لهم وقلت: لقد جئنا إلى هذه البلاد لكي نجدد الصلة مع إخواننا في الإسلام ولنا

الشرف العظيم بأن يسر الله لنا بأن نكون في رابطة العالم الإسلامي ونعمل على توثيق الصلة بينها وبين الأخوة المسلمين في العالم.

لقد سررنا اليوم جميعًا عندما رأينا أن المسجد يقام في غدانسك وأن منارته ستكون أول منارة ترتفع في الأزمنة الأخيرة في هذه المنطقة ولقد قلت للأخت الرئيسة بأنه من حسن حظك ومن حسن حظكم أيها المسلمون بأن هذا يتم في عهدكم وبأيديكم. لقد كان أجدادكم اختاروا الإسلام طواعية بدون إكراه ولقد رأينا آباءكم الذين أتوا بعد أجدادكم قد تمسكوا بالإسلام بالرغم من صعوبة الظروف وعاشوا للإسلام ومازالوا يعيشون وأنتم سيكون على يديكم تجديد الإسلام في هذه البلاد إن شاء الله.

وامتدحت جهود المسلمين في إقامة المسجد بالرغم من ضآلة إمكاناتهم وأثنيت على قول الدكتوة جميلة بأن المسجد سيكون مكانًا للثقافة والتعليم الإسلامي واقترحت بأن يعمل القائمون على الجماعة الإسلامية والمسجد على تأسيس مكتبة تضم مختلف الكتب الإسلامية حتى يتردد إليها المسلمون وغيرهم للاطلاع والتزود من الثقافة الإسلامية.

ثم حدثتهم عن أهمية المسجد للاجتماع والتعارف وتوثيق الصلة بين أفراد جماعة المسلمين وبينت لهم أهمية الجماعة وأنواع الاجتماعات المشروعة في الإسلام فمنها الاجتماع اليومي وهو خمس مرات في اليوم لأداء الصلوات الخمس ثم الاجتماع الأسبوعي لأداء صلاة الجمعة والاجتماع السنوي في صلاة العيدين ثم الاجتماع السنوي العام في الحج الذي يجب على المسلم أن يحضره مرة واحدة في عمره إذا كان مستطيعًا. وذكرت لهم استعداد الرابطة لاستضافة عشرة أشخاص من المسلمين البولنديين لأداء فريضة الحج، وأن الرابطة سترسل إليهم شخصا لإمامة المسلمين في المسجد ويتفرغ لتعليم أطفال المسلمين أمور دينهم في أيام العطل وفي الأوقات التي تتيسر لهم.



جانب من الإجتماع الموسع بالمسلمين في غدانسك

ثم ركزت على أهمية تربية الأولاد فقلت: إن من أهم واجبات المسلمين هو تربية أبنائهم تربية إسلامية فأولادنا هم أمانة في أعناقنا ونحن مسئولون عنهم يوم القيامة ويجب على كل مسلم لديه أولاد أن يربيهم على الإسلام ويعلمهم مبادئ وأحكام الدين وللمسلمين في بعض بلدان الأقليات العددية المسلمة مدارس إسلامية سموها المدارس الأحدية لأنهم يرسلون إليها أبناءهم يوم الأحد وهو يوم العطلة الأسبوعية في البلدان غير الإسلامية ويتعلم فيها أولادهم أصول دينهم الإسلامي الحنيف وكيف يؤدون فرائض الصلاة وغيرها إلى جانب تعليمهم قراءة القرآن الكريم.

ثم اختتمت كلامي قائلاً: نحن كما قلنا لإخوانكم في بياوستوك نقول لكم إن الرابطة على استعداد للتعاون معكم للمحافظة على ثقافتكم الإسلامية وقد اتفقنا مع رئيس مجلس الاتحاد الإسلامي على الأسس العامة التي سيكون عليها التعاون.

وبعد ذلك ألقى الأستاذ محمد الجابري رئيس جمعية الصداقة العربية

البولندية الذي قدم خصيصًا من وارسو للمشاركة في هذا الاجتماع مع وفد الرابطة كلمة عبر فيها عن امتنانه وسروره لزيارة الوفد للمسلمين البولنديين واجتماعه بهم ودراسة أحوالهم ومتطلباتهم وأثنى على تمسك المسلمين البولنديين بدينهم رغم عزلتهم وصعوبة ظروفهم خلال القرون الستة الماضية واختتم حديثه بقوله: أما اليوم وقد تم جمع الشمل فإن مستقبل هؤلاء المسلمين على عاتقكم وهم أمانة في يدكم وماخاب أمل مسلم فيكم وأنتم حماة الحرمين الشريفين والمدافعون الغيورون على نشر الإسلام وملاذ المسلمين.

ثم قدم هدية رمزية للوفد وقد شكرته على كلمته التي عبر فيها عن تلاحم الأمة الإسلامية وعلى الهدية التي قدمها باسمه وباسم الأستاذ نجيب الصحراوي سكرتير الجمعية والمترجم المرافق للوفد.

ثم تحدث السيد/ سليم حزبيفتيش رئيس تحرير المجلة الإسلامية المنتظر صدورها باللغة البولندية في المستقبل القريب عن أهمية إصدار مجلة إسلامية ونشرات دينية للجماعات المسلمة في بولندا وأن الجماعات الدينية الأخرى لها دور نشر ومطابع خاصة، وتطرق إلى الصعوبات التي يلاقيها في إصدار النشرات والمجلة التي ستصدر في شهر يونيه القادم من قلة الورق وصعوبة الطباعة وضعف الإمكانية المالية وطلب مساعدة الرابطة له ببعض المال وتأمين آلة تصوير مستندات أو آلة استنسل.

فأجبته بالشكر على اهتمامه بالعمل الإسلامي وأهمية النشرة للمسلمين في الداخل والخارج واقترحت بأن يطبع ملخصًا لمحتويات النشرة باللغة الإنجليزية أو العربية وطلبت منه إرسال العدد الأول إلى الرابطة مع خطاب يذكر فيه احتياج المجلة وسوف ترسل الرابطة المساعدة للمجلة في ضوء أمر ذلك.

ثم وجه بعض الحاضرين عدداً من الأسئلة لوفد الرابطة ومنها مايلي:

س: هل لرابطة العالم الإسلامي فروع في الدول الأوروبية؟

ج: لها مكاتب في عدد من الدول الأوروبية مثلاً في باريس وبروكسل وكوبنهاجن وجنيف المقر الأوروبي للأمم المتحدة.

س: وصلتنا معلومات عن فريق احتل الكعبة المشرفة هل اتخذت المملكة العربية السعودية الإجراءات اللازمة لحماية الحرم المكي والحرم النبوي من الهجوم الأوروبي؟.

ج: لم يكن هجومًا أوروبيًا أو خارجيًا بل كان مجموعة من الناس قليلة العدد أرادت الاضطراب والفتنة ولكن الأمر قد عولج بحكمة وانتهى الأمر.

س: ماهو رأي رابطة العالم الإسلامي في الأقليات المسلمة في البلدان غير المسلمة ونحن كماتعرفون أقلية صغيرة في خضم من المسيحيين والشيوعيين الذين يريدون القضاء علينا ونحن ندرك الخطر ونخاف أن يكون جيلنا هذا أو الجيل القادم هو الجيل المسلم الأخير في بولندا؟

وهل لدى الرابطة وسيلة أو طريقة في معالجة مشكلة الأقليات في بلدان غير مسلمة ونحن كما تعلمون بصدد بناء المسجد وذلك إحساسًا وشعوراً بناقوس الخطر الذي يحدق بنا ونخشى أن ينتهي أمرنا إذا لم نتمكن من إكمال المشروع؟

ج: مخاوف الأخ السائل في محلها وفي الرابطة إدارات خاصة تعمل في دراسة ومعالجة أحوال المسلمين في البلدان غير المسلمة ومجيئنا هذا سيكون هو بداية التعاون فيمابين المسلمين في هذه البلاد وبيننا ونرجو أن يكون تخوف الأخ على الجيل الحاضر والقادم حافزاً للعمل على تربية الأبناء على الإسلام وتعليمهم أمور دينهم.

الاتحاد الإسلامي:

عقب السيد استيفان مصطفى موخارسكي رئيس مجلس الاتحاد الديني الإسلامي على المناقشة فقال: لايمكن أن يكون هناك شيء يعوضنا عن الاعتماد على النفس والمساعدة التي تأتي من الخارج لن تحسم مشاكلنا وتحل صعوباتنا التي لاتحصى بل يجب أن نجتهد ونعمل على حل مشاكلنا ومصاعبنا وإذا أردنا البقاء والمحافظة على ديننا يجب أن نبدأ العمل من أنفسنا ونتلاحم ونتعاون ونبدأ كما قالت السيدة بتربية أبنائنا وعليكن أيتها الأمهات المسئولية

الأولى في تربية أبنائنا تربية إسلامية.

إذا أردنا أن نصل إلى هدفنا فعلينا أن نقوم بشعائرنا بدون أن نخشى ونخاف من أحد ونؤدي ذلك بالثقة حتى نحقق أهدافنا ونحافظ على إسلامنا وإن من أهم الفوائد والنقاط التي نخرج بها من هذا الاجتماع هو العناية أولاً وأخيراً بالأطفال.

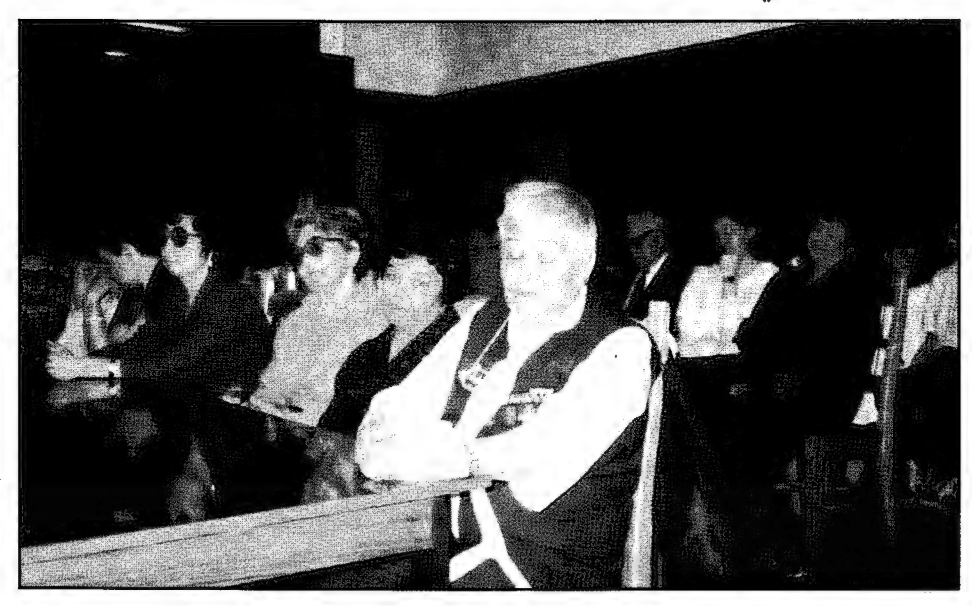
وأنتم تعرفون أننا إذا أردنا أن نعلم أبناءنا يجب أن نفعل ذلك بدون أن ننظر إلى إيجاد مكان أو وجود وقت فقد تعلمنا ديننا علي مقاعد خشبية في بيوتنا.. إن بقاءنا في هذه البلاد متوقف على تعليم أبنائنا وتعليم أنفسنا بغض النظر عن المشاكل التي تحيط بنا.

ثم سأل أحد الحاضرين عن رأي وفد رابطة العالم الإسلامي في الأحمدية القاديانية وعلق على السؤال السيد استيفان مصطفى موخارسكي رئيس مجلس الاتحاد وعن اتصال الأحمديين بوزارة الأديان ورفض المجلس اعتبارهم مسلمين.

وأجبتهم بشكر السائل على اهتمامه وقلت إن موضوع الأحمدية صدر فيه فتاوى من عدة جهات في العالم الإسلامي منها جامع الأزهر في مصر ومجلس الفتوى في باكستان ومن دار الإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية تقول بأن الأحمدية ليست من الإسلام ولايسمح لهم بالحج لأنهم يدعون بأن غلام أحمد هو نبيهم ويعطلون بعض أحكام الإسلام وإذا طلب مجلس الاتحاد الإسلامي تزويده بنصوص الفتاوى فنحن على استعداد لإرسالها إليه.

وقد حصلت أثناء الاجتماع أشياء مؤثرة وأشياء ذات معنى منها أن الدكتورة جميلة تأثرت وهي تلقي خطابها في الاجتماع، فانهمرت الدموع من عينيها، وشرقت بعبراتها فوقفت الكلمات في حلقها، ولم تستطع مواصلة الكلام إلاَّ بعد فترات توقف عديدة. وقد تكرر تأثرها وبكاؤها عندما ألقت كلمة قصيرة في نهاية الاجتماع أيضًا، وقالت فيها: إن هذا اليوم يوم تاريخي مشهود في تاريخ المسلمين في بولندا فقد صلى المسلمون مع وفد الحرمين الشريفين في المسجد لأول مرة وإن هذه المناسبة

ستبقى منقوشة في أذهان المسلمين.



الأخت (جنة) باللباس الأزرق وعلى صدرها الأوسمة.

ومنها أيضًا أن السيدة (جنة) اسكينيافسكا وهي ضابطة متقاعدة في الجيش قد حضرت من وارسو رغم مرضها الذي كانت تسير من أجله على عكاز ورغم سنها التي ذكرت هي أنها زادت على السبعين وذكروا أنها حازت على لقب بطلة في الجيش وأنها حاربت أثناء الحرب العالمية الثانية وأن والدها كان رئيسًا لتحرير مجلة إسلامية كانت تصدر في بولندا قبل الحرب. وقد حضرت وهي تحمل الأوسمة العسكرية التي حصلت عليها على صدرها. وذكرت أن والدها علمها مبادئ الدين الإسلامي وأنها تمسكت بذلك وعلمته أولادها وأحفادها لأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لتعليم الأولاد دين الإسلام إذ لاتوجد مدارس دينية ولامعلمون متفرغون لتعليم الدين الإسلامي، وطلبت من الوفد في ختام حديثها أن يخبر الأخوة المسلمين في العالم عن حالة المسلمين في بولندا، ومن ذلك أن طفلة حضرت مع أهلها وعمرها في حدود السابعة. أحضرت زهوراً متفرقة فنسقتها وصفتها ثم قدمتها هدية للوفد سلمتها إليه باقة جميلة.

ومن ذلك أن طفلة أخرى سنها في حدود التاسعة فاجأت أعضاء الوفد بإعطاء كل واحد منهم صورة له كانت قد رسمتها على الورق أثناء الاجتماع وهي تتأمل أعضاء الوفد.

وقد تناوب على الترجمة الأخوان الكريمان المغربيان محمد الجابري ونجيب الصحراوي وذلك لطول الحديث وكثرة المناقشات.

وانتهى الاجتماع في الثامنة إلاَّ ربعًا غير أنهم عرضوا شريطًا على جهاز التلفزة مسجلاً عليه وقائع الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمسجد غدانسك فكان ذلك موثراً حقًا.

وكانت قبل وداع هؤلاء الأخوة صور تذكارية في بهو الفندق اشترك فيها الجميع حتى الأطفال الذين أحضرهم أهلوهم معهم.



صورة تذكارية مع المسلمين في غدانسك في قاعة فندق الإنتجاع

مأدبة الجمعية الإسلامية:

كان موعد تناول العشاء الذي أقامته الجمعية الإسلامية في مدينة غدانسك

في التاسعة من هذا المساء. ولكن كان قبله اجتماع بعدد من الإخوة من الطلاب العرب ذوي الاتجاه الإسلامي.ذكروا فيه كثرة الطلاب العرب في مدينة غدانسك وذلك لوجود عدة كليات فيها مشهورة بمستواها الدراسي الجيد وذكروا أن عددهم يزيد قليلاً على ألف طالب منهم أربعمائة طالب عراقي.

غير أن أكثر الطلاب المسلمين الموجودين هنا لايتصلون بالجماعة المسلمة هنا ولايتعاونون معها وربما كان ذلك بسبب خوفهم مماقد يترتب على ذلك من أمور سياسية حسب تصورهم.

وذكروا أن القلة التي تتصل بالإخوة المسلمين تساعدهم على أمور دينهم وأنهم يحتاجون إلى كتب إسلامية تعينهم على فهم أمور دينهم، ومن ثم إفهام الأخوة المسلمين البولنديين بذلك.

وقد حرضناهم على المزيد من التعاون مع المسلمين. وبينا فضل الدعوة إلى الله وإرشاد الجاهل بدين الله ووعدناهم بإرسال كتب إسلامية إليهم.

كما نصحناهم بدعوة إخوتهم الذين يدرسون معهم من أبناء العرب المسلمين، وأن يبينوا لهم الواجب الملقى عليهم تجاه الدعوة إلى الإسلام ومعاونة المسلمين، بقدر استطاعتهم. و﴿**لايكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾.

ثم كان الذهاب إلى مأدبة العشاء التي أقامتها الجمعية الإسلامية في غدانسك للوفد ومرافقيه في بيت الأخ (مصطفى موخلا) محاسب الجمعية وحضرها الإخوة المسلمون البولنديون المرافقون في السفر كما حضرها من أهل غدانسك الأخ (بكير يعقوبوفسكي) إمام مسجد غدانسك، والسيد (علي ملكمالوفيتش) نائب رئيسة الجمعية، والسيد (استيفان مصطفى بايواشيفكسي) نائب رئيس مجلس الاتحاد الإسلامي البولندي إلى جانب الرئيسة الدكتورة جميلة، وبعض الطلاب العرب في المدينة. وبعض المسلمين البولنديين الآخرين.

ويقع منزل الأخ (مصطفى موخلا) في مدينة (شبوط) التي كانت منفصلة عن غدانسك والتحمت بها أخيراً على بعد ٣٢ كيلو متراً من الفندق الذي نقيم فيه، لأن الفندق في خارج المدينة كما قلنا فاخترقنا مدينة غدانسك التي هي مستطيلة على بحر البلطيق مثلما أن مدينة (شبوط) هذه تقع مستطيلة على هذا البحر.

وقد استمرت المأدبة حتى الحادية عشرة حيث عدنا إلى الفندق وكانت حافلة بالأحاديث المفيدة عن أوضاع المسلمين في حاضرهم وماضيهم القريب في هذه البلاد.

وكان مماجعل سرورنا عظيمًا ونحن نعلم ضيق ذات اليد عند الإخوة المسلمين أن مأدبة العشاء لم يكن فيها إسراف، وكان الأهم من ذلك الود الصادق الذي أضفوه على المأدبة وأحاطوا به الوفد.

وألقيت فيهم في نهايتها كلمة شكرتهم فيها على إقامة هذه المأدبة، ودعوت لهم فيها بالتوفيق.

يوم الأحد: ١٤٠٦/٨/٢٥هـ - ١٩٨٦/٥/٤م.

مغادرة غدانسك:

كان الإفطار مبكراً في فندقنا المسمى بفندق الاستجمام كما ترجم الإخوة العرب اسمه، وفضلت أن أسميه المنتجع ثم غادرناه إلى المطار في السابعة صباحًا وقد ركبت مع الأخت الدكتورة (جميلة سمايكيفيتش مورمان) على سيارة لها صغيرة يقودها ابنها بنفسه فهي تعرف الإنكليزية جيداً إلا أن ابنها أكثر منها معرفة بالإنكليزية وأسرع فهمًا لها ربما كان ذلك لتخصصه بالإنكليزية مع أن سنه في حدود العشرين. وكان معنا في السيارة نائب الرئيسة في الجمعية وقد وصفته الدكتورة بقولها: إنه يدي اليمنى أو ساعدي الأيمن في العمل الإسلامي وفي النهوض بالجمعية.

وكانت هذه فرصة للحديث مع الدكتورة جميلة عن عملها فكان من ذلك قولها: إنها قد أمضت حتى الآن ثمانية وعشرين سنة في الخدمة في المستشفيات الحكومية فسألتها عن الراتب التي تتقاضاه الآن فأجابت: إنه يعادل ثلاثين دولاراً أمريكيًا بالسعر الحر الذي صرفتم به دولاراتكم!

وهي متخصصة في طب الأطفال، فقلت لها: إن طالبات الطب في جامعات المملكة تصرف لهن الدولة ثلاثمائة دولار في الشهر مكافأة لهن من أجل استمرارهن في الدراسة وبعد التخرج تكون رواتبهن أكثر من ذلك أضعافًا.

بل إن الدولة تصرف لهن كما تصرف لغيرهن من الموظفين والموظفات بدل انتقال لمقر الوظيفة شهريًا يعادل أكثر من مائة دولار على الأقل مع العلم بأن مستوى الأسعار للأشياء التي تنتجها البلاد منخفض ولكنه ليس لهذه الدرجة المتدنية في الرواتب. أما الأشياء المستوردة فإنها أغلى مماهي لدينا بكثير رغم الظروف الاقتصادية فقالت: إن مستوى الرواتب عندنا للموظفين الفنيين وأمثالهم بهذا المستوى.

فقلت لها: إن معنى ذلك أن العمل ليس كثيراً عندكم نظراً لكثرة المتخرجين

في كليات الطب في البلاد ؟

فأجابت: بأن العكس هو الصحيح فالعمل كثير في المستشفيات الحكومية لأن أعداداً من الأطباء يخرجون من البلاد ولايعودون.

فسألتها عن السبب في ذلك فقالت: لضآلة المرتبات، وصعوبة الحياة، بالنسبة إلى البلاد الأخرى التي يخرجون إليها.

وعلق أحد الحاضرين البولنديين على ذلك بقوله: إن صعوبات الحياة هنا كثيرة ولكن الأمثلة التي نضربها تعطي دليلاً واضحًا على ذلك، إنك إذا أردت الحصول على سيارة بالسعر الرسمي الذي حددته الدولة للمواطنين البولنديين كان عليك أن تنتظر مدة لاتقل عن خمس سنين، وإذا طلبت إدخال الهاتف في بيتك فإنك لابد أن تنتظر وصول دورك في الحصول عليه مدة لاتقل عن سبع سنين.

وأما المشكلة الكبرى فإنها في طلب الحصول على منزل لك ولأسرتك فذلك يحتاج إلى انتظار قد يمتد إلى خمس عشرة وأحيانًا إلى عشرين سنة !!!

وجدير بالذكر أن إخوانًا لهم كانوا ذكروا مالم يذكروه هنا - لأنه لم يتطرق البحث إليه - وهو أن الذي تكون لديه نقود من العملة الصعبة يستطيع أن يجد ذلك فوراً.

ووصلنا المطار في الثامنة إلا الربع ولم يبق على موعد قيام الطائرة إلا ربع ساعة ولم نتأخر لأننا تركنا أمتعتنا وبعض المرافقين في الحافلة التي ستلحق بنا في وارسو بعد ذلك.

إلى وارسو:

قامت الطائرة في الثامنة وأعلنت المضيفة أن المسافة إليها هي ثلاثمائة وخمسة وثلاثون كيلومتراً تقطعها الطائرة في خمس وخمسين دقيقة، وذلك أن الطائرة صغيرة ذات محركات مروحية.

وكان الجو أيضًا في هذا اليوم مشرقًا بل صافيًا تمتعنا خلال الطيران برؤية الأرض من تحتنا وكل ماعليها واضح لاسيما مع كون الطائرة صغيرة غير نفاثة لاترتفع كثيراً.

وذكرت قول الدكتورة جميلة في هذا الصباح من باب المجاملة: لقد جئتم بالجو الجميل معكم فمنذ وصولكم والشمس مشرقة والجو ربيعي جميل.

وتجلت طبيعة الأرض البولندية من الطائرة خضراء خصيبة. مليئة بالمناقع ومسايل المياه والبحيرات الصغيرة في بعض المناطق إلا أنها واضح من منظرها أن الزراعة فيها لاتلقى العناية التامة ولاتتنوع المزروعات كما تتنوع في الأرض الزراعية في البلدان الحرة في الاقتصاد.

وقبيل الوصول إلى وارسو كان المسيطر على المنظر في الطائرة نهر كبير مستقيم المجرى وأعلنت المضيفة أن درجة الحرارة الآن وكانت الساعة الثامنة والنصف صباحًا - هي اثنتا عشرة درجة مئوية.

في مدينة وارسو ثانية:

لم نمر بإجراءات مهمة عند الوصول إلى وارسو لأننا قادمون في رحلة داخلية وإن كان مطار غدانسك لم يسمح بركوبنا حتى أرينا الشرطة جوازاتنا رغم كوننا في رحلة داخلية وكان البولنديون يبرزون بطاقاتهم الشخصية قبل أن يسمح لهم بدخول غرفة المغادرة.

وركبنا في سيارتي أجرة مع بعض مستقبلينا في المطار ومنهم الأخ (حمدلله زاغورسكي)... ودخلنا المدينة مع شارع رئيسي فيها اسمه شارع المارشال قاصدين فندقًا في قلب المدينة اسمه (فورم هوتيل) ولم يسرع الموظف المسئول فيه في الاستجابة إلى طلب الغرف وقال السائق البولندي وهو من غير المسلمين: إذا أردتم أن يعطيكم الغرف فأعطوه شيئًا فذهب الإخوان يفاوضونه باللغة البولندية والفندق حكومي محدد الأسعار، فكانت المشكلة أنه لايقبل الدفع بالعملة البولندية ولايقبل إلا بالعملة الصعبة ماعدا الدفع مني أنا فإنه لامانع منه بالبولندية لأن جوازي سياسي قد ختموا عليه عند الدخول في المطار أنني لأطالب بأوراق صرف العملة.

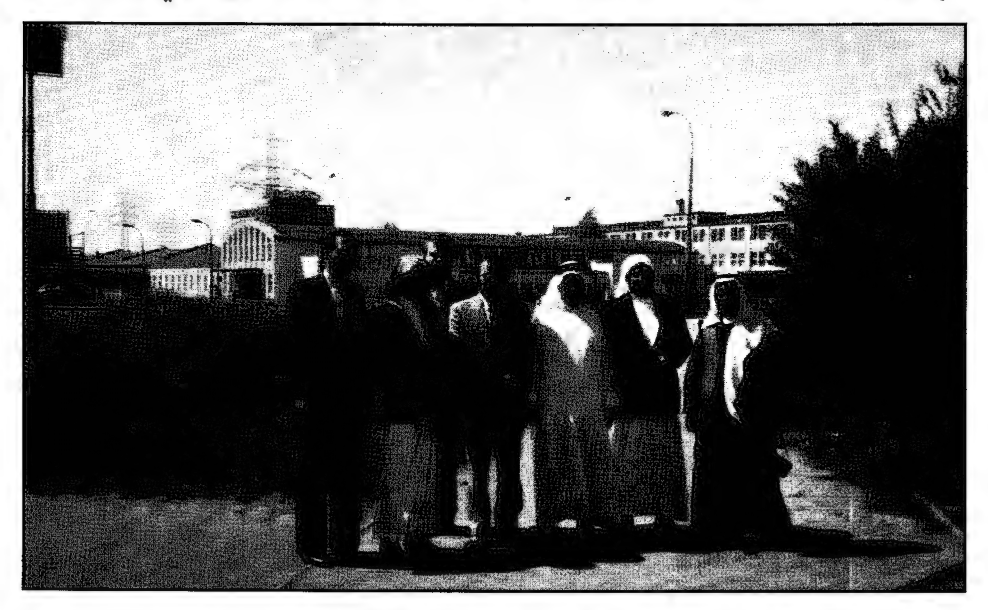
أرض المركز الإسلامي:

بعد استراحة في الفندق الذي يعد من فنادق الدرجة الأولى غير الفاخرة ذهبنا مع الإخوة المسلمين من أهل وارسو يتقدمهم الأخ (حمدالله يوغوسواف

زاغورسكي) رئيس الجماعة الإسلامية في وارسو. وذلك للاطلاع على الأراضي التي استعدت حكومة بولندا لمنحهم إحداها أو تأجيرها عليهم بأجرة رمزية لكي يقيموا عليها المركز الإسلامي في وارسو وقد خيرتهم بأربع أراضٍ تقع في أحياء مختلفة من المدينة.

ويريد الإخوة المسلمون أن نشاركهم الرأي في اختيار إحدى هذه القطع لما ذكروه من أهمية رأي وفد رابطة العالم الإسلامي في الأرض المناسبة من جهة، ومن أجل أن رابطة العالم الإسلامي سوف تسهم في الإنفاق على بناء المركز.

كانت أولى القطع على شارع لكسورالنا من حي فولا وهو في قلب المدينة وتقع الأرض مقابلة لقصر الثقافة، إلا أن مساحتها صغيرة إذْ لاتزيد على ألفي متر.



بجانب الأرض المقترحة للمسجد في وسط وارسو

فتركناها لمشاهدة قطعة أخرى واقعة على شارع فوفا روفا من حي فولا أيضًا تبلغ مساحتها أربعة آلاف متر مربع وهي قريبة جداً من وسط المدينة، وتقع مواجهة لمحطة للسكك الحديدية رئيسية، فتركناها مخترقين شوارع تقع عليها قد تجمع فيها الناس يتشمسون بعضهم قاعد وبعضهم مستلق طلبًا للتمتع بالشمس فرأينا القطعة الثالثة التي تقع في حي (اكوبوفا) وهي صغيرة أيضًا

إذْ لاتزيد مساحتها على ألفي متر إلا قليلاً وهي جزء من أرض واسعة مكشوفة قد أحالها الربيع إلى روضة برية غناء تتمايل فيها الزهور الوحشية الصفر التي تتراقص فوق بساط أخضر.



في الأرض المقترحة للمركز الإسلامي في وارسو

ثم ذهبنا إلى ضاحية من المدينة خارجة عنها تمتد على ضفة نهر (جشوا) وقد اعتنى به القوم في هذا الموقع فأقاموا عليه شارعًا جيداً من شوارع الشاطئ (الكورنيش) تأتي بعده حديقة عامة واسعة مستطيلة على استطالة النهر يتألف أكثرها من بسط خضر من الأعشاب الربيعية وتتخللها بعض الزهور المغروسة والأشجار القصيرة المتباعدة وقد أبعدوا منها أشجار الغابات التي تكون في هذه البلاد في العادة عالية ملتفة.

وقد انتشر فيها المتنزهون والمتشمسون أيضًا كما انتشرت هذه الأشجار.

وقال الأخ (حمدالله زاغورسكي) إن الحكومة عرضت علينا أن تعطينا أرضًا كافية في هذه المنطقة، من شاطئ النهر التي إن لم تكن مسكونة الآن فإن عمارة المدينة متجهة إليها، والمنتظر أن تلحق بها بعد سنوات فيكون المركز الإسلامي الذي هو مسجد وقاعة محاضرات ومكتبة إسلامية في حي حديث من المدينة.

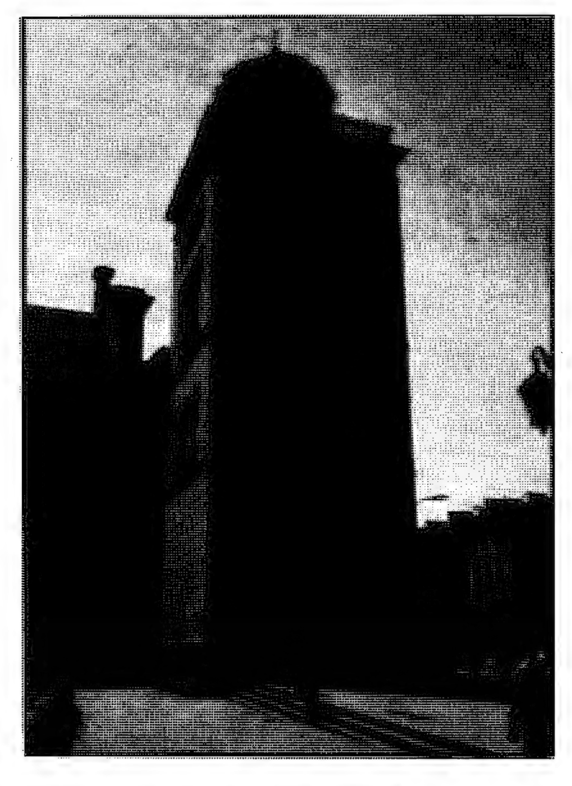
فاتفق رأينا مع رأي الأغلبية من الإخوة البولنديين المرافقين على أنها غير مناسبة لأنها بعيدة من المدينة، وربما احتاجت هذه الضاحية إلى سنوات قبل أن تصبح حيًا سكنيًا والأولى أن يكون المركز الإسلامي قريبًا حتى يسهل الوصول إليه لمن أراد ذلك، ويشاهده من لم يرد الوصول إليه في أول الأمر، فينتفع منه.

إلى المدينة القديمة:

عدنا من هذه الضاحية إلى المدينة القديمة أو قلبها التاريخي كما سماه إخواننا، وقد أحسن القوم صنعًا حينما منعوا دخول السيارات إلى قلب المدينة هذا وقصروا السير في داخله على المشاة.

ومن معالم المدينة القديمة برج كبير بني على هيئة الصوامع الأندلسية وهي المآذن المربعة الشكل التي لاتزال المآذن تقام على طرازها في المغرب حتى الآن.

والقصر الملكي الذي لم يغيروا فيه شيئًا يقع أمامه ميدان مبلطة أرضه بالحجارة يسمى على اسمه (ميدان القصر الملكي)، ويعتبر أهم نقطة سياحية في المدينة يقف عنده السياح والزوار الأجانب، وقد فعلنا ذلك فالتقطنا صوراً تذكارية لهذا القلب التاريخي من مدينة وارسو.



البرج العربي الأندلسي الطراز في القسم القديم من وارسو.

ثم دخلنا مع أزقة غير واسعة مجاورة للقصر الملكي من جهة الشمال وذلك لتناول الغذاء في مطعم راق شهير هناك ويقع على ميدان داخلي تحيط به الأبنية التاريخية التي يظهر عليها القدم وإن كانوا أخبرونا بأن أغلبها دمر أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكنهم أعادوا بناءه على ماكان عليه قبل ذلك. ومعظم المباني فيها كان قد بني في الأصل أثناء القرن الثاني عشر الميلادي.

ومن الأشياء اللافتة للنظر في هذا الميدان أننا شاهدنا صفًا طويلاً (طابوراً) طويلاً ممتداً إلى محل تجاري صغير وقد تعرج الصف لطوله فعرفنا أن هذا الطابور لشراء (الآيس كريم)، وأن الذين في الصف الطويل إنما هم ينتظرون أن يحظوا بقطعة منه في هذا اليوم الدفيء من فصل الربيع.



مع حمد الله بوغورسكي رئيس المسلمين في وارسو إمام القصر الملكي

في مطعم التنين:

صعدنا إلى الطابق الثاني في مطعم (بازي لي شك) وتعني (مطعم التنين) بلغتهم وهي أبعد ماتكون عن الصدق إذْ ماأحرى هذا المطعم الفاخر بأن سمى (مطعم الورود لأن كل مافيه جميل ونظيف من الأواني والأدوات والخادمين

والخادمات وحتى الطاعمين والطاعمات فضلاً عن الطعام الشهي والمنظر البهي الذي يطل على هذا الميدان الصغير المسمى (ساحة السوق القديمة) التي تعبق برائحة التاريخ القديم.



الميدان في القسم القديم في وارسو

الشاي خرباطا:

أكلنا هنيئًا من طعام مع خدمة رائعة لاتقل عن الخدمة في مطاعم باريس الراقية وذلك لكون هذا المطعم يحفل بالسياح الأجانب الذين تستقبل منهم بولندا أعداداً كبيرة لرخص أسعارها، ووفرة فنادقها لاسيما لمن يأتون مع شركات سياحية كبيرة تضمن لهم تخفيضًا كبيراً في الأسعار لكونهم يأتون بأعداد كبيرة.

وعند الفراغ من الأكل جاء السؤال المعتاد المتكرر: أتريدون أن تشربوا قهوة (كوفي) أو (خرباطا) وبعضهم يلفظها هرباتا بالهاء في أولها والتاء في آخرها.

وعرفنا أن الخرباطا أو الهرباتا كما ينطق به بعضهم هو الشاي وكما كانت كلمة (شاي) أصلها من الصينية (تشاي) ونقلتها عنها كل اللغات المعروفة وتصرفت بها من (تي) بالإنكليزية إلى (تاي) بالإمالة بالفرنسية والإسبانية و (شاه) بالبرتغالية وحتى في اللغة الواحدة كالعربية تعددت ألفاظها وإن لم تبتعد عن الأصل ففي عاميتنا (شاهي) وفي العراق (كاي) تلفظ الكاف بلفظ هو مابين السين والزاي كما تنطق العامية في نجد بلفظة (كم) الاستفهامية وفي المغرب وموريتانيا (أتاي) وفي الفارسية (تشاي) إلخ.

فكان مماستغربته أن يسميه البولنديون (خرباطا) أو (هرباتا) وسألت عن سبب ذلك إخواننا في البلدان البولندية التي مررنا بها وقلت لهم: إن هذا خلاف القاعدة المعروفة في العالم فهل الشاي كان موجوداً في بولندا قبل وجوده في الصين حتى تكون له تسمية خاصة به في لغتهم فنفوا ذلك.

واليوم سألت الأخ (حمدالله زاغورسكي) وهو من العلماء اللغويين المدققين ويحسن عدة لغات إحداها العربية وهو الوحيد الذي رأيته يعرف العربية من بين من قابلتهم هنا من المسلمين، فقال: إن الأمر كما تصورته، وأن تسمية الشاي عندنا هي التسمية العالمية ولكنها عندنا أطول من غيرنا فخرباطا كما يلفظ بعضنا أو (هرباتا) كما يقولها الآخرون: مؤلفة من كلمتين (خربا) ومعناها: عشبة و(تا) ومعناها الشاي فمعناها إذاً عشبة الشاي والشاي إذاً: اسمه المميز هو العالمي المأخوذ من الصينية في الأصل (تا) التي لاتبعد في الأصل كثيراً عن (تاي) الفرنسية - بالإمالة.

المقبرة التتارية:

وكلمة التتار هنا تكاد تعني هنا كلمة المسلمين البولنديين، لأن المسلمين البولنديين معظمهم من التتار.

وتقع المقبرة في حي متسع من وسط المدينة وعلى شارع يسمى شارع التتار وقبل الوصول إليها وكان المسلمون قد وضعوا زيارتها في البرنامج مررنا بمقبرة صغيرة مسورة للنصارى وعندها باعة الزهور يبيعون منها على الذين يزورون قبور أقاربهم

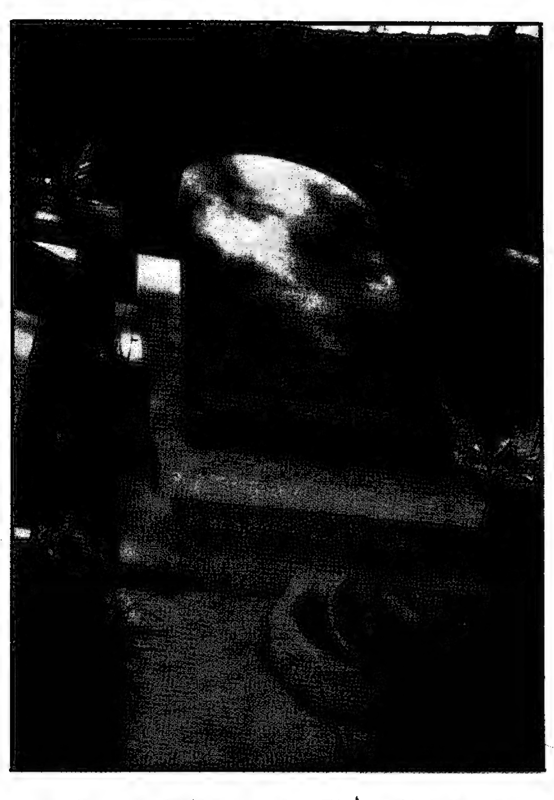
ويضعون عليها باقات من الزهور.

وجدناها مسورة بسور محكم عالٍ وعليها باب كبير قوي كأبواب الحصون، وعند مدخله اسمها (المقبرة التترية الإسلامية) وفتح لنا بابها حارس مقيم في غرفة في أحد أركانها غير مسلم وذكروا أن مساحتها عشرة آلاف متر مربع ولاتزال أقسام منها خالية من القبور وهي واسعة أنشئت منذ ١٣٠ سنة ولايزال البولنديون يتحدثون عمافعله الألمان في بلادهم أثناء الحرب العالمية الثانية فذكروا أن الألمان كانوا يوقفون دباباتهم فيها.

قبر الإمام المجهول:

والمجهول هنا صفة للقبر وليس للإمام فهو معلوم معروف كل شيء عنه إلا مكان موته أو موقع جثته. واسمه (علي ورونوفيتش) إمام المسلمين في مدينة وارسو.

وقصته أنه كان أحد الخريجين في الأزهر وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية عين إمامًا لفرقة المسلمين البولنديين التي كانت تحارب آنذاك ولكن المسلمين كانت لهم فرقهم المحاربة المنفصلة، وفق



قبر الإمام المجهول القبر في مقبرة المسلمين في وارسو

تقليد قديم كان سائراً عندهم.

وقد قتله الروس عندما زحفوا على بولندا ويقال إنهم عذبوه قبل قتله في قصة مشهورة هنا. ويقال: إنهم أحرقوه.

ولم يعثر له على جثة، فأنشأ البولنديون له قبراً ميزوا لونه عن باقي القبور حتى يعرف أنه رمزي وذلك برفع مقدمة القبر من جهة الرأس والصدر قليلاً وجعلوا شاهد قبره مقلوبًا، وكتبوا على شاهده الشهادتين بخط عربي جميل واسمه وتاريخ ولادته ووفاته ١٩٠٢ - ١٩٤١م.

قبر القائد:

قبر حقيقي لقائد عسكري مسلم كان قائداً للكتيبة الإسلامية في الجيش البولندي واسمه (الكسندر يلياسوفيتش) ومات ميتة طبيعية عام ١٩٧٨م.

وطريقتهم في الدفن والكتابة على شواهد القبور مثل طريقة إخوانهم في شيناكي وبوخونيكي من عدم رفعها، أو وجود أبنية عليها، ووجدنا بعض الشموع موقدة على القبور في ضوء الشمس فأفهمناهم بعدم جواز ذلك فأطفئوا ماكان موجوداً منها.

وقبل العودة إلى الفندق شربنا الشاي في بيت الأخ نجيب الصحراوي وقد أعدته زوجته البولندية تساعدها زوجة زميله الأخ محمد الجابري التي هي من بولندا أيضًا فكان شايًا مغربيًا لذيذاً بالنعناع كما كنا نشربه في المغرب وذلك أنها كانت قد زارت المغرب مع زوجها وأقامت هناك فترة، وله منها ولدان أحدهما اسمه عادل.

ثم كانت العودة إلى الفندق وكنا مررنا بحديقة فيها قسم اسمه (الحمامات)، وتقع الحديقة على شارع مهم اسمه (أويالدوسكي) عليه عدد من السفارات الأجنبية.

ثم بميدان الصلبان الثلاثة وهذا شعار ديني مسيحي ولكن بقربه مقر حزب العمال الموحد البولندي وهو الحزب الشيوعي الحاكم ولكن اسمه ليس الحزب الشيوعي وإن كان فعله فعل الشيوعيين.

مع وزير الأديان:

كان البرنامج يشتمل على مأدبة عشاء يقيمها وزير الأديان في بولندا لوفدنا في السادسة من مساء هذا اليوم في مقر الوزارة في وارسو.

والقصد منها هو الاجتماع بالوزير وبحث الأمور المتعلقة بالإخوة المسلمين البولنديين كما أخبرونا .وكان من المقرر أن يكون يوم الإثنين لأن اليوم الأحد عطلة لهم ولكنه قدمها وقرر الحضور للوزارة من أجل الاجتماع بالوفد لأن موعد سفرنا إلى فرانكفورت سيكون ضحى الغد - إن شاء الله.

وجدنا وزير شئون الأديان الدكتور البروفيسور - كما ينعتونه - (آدم ووباتكا) واقفًا أمام باب الوزارة الداخلي حيث وقف مرحبًا بنا فترة ونحن نتبادل الأحاديث ثم انطلق إلى جناح الضيافة في الوزارة وكان يرافقه بعض موظفي الوزارة منهم (تاديوك دوشيك) مدير الشئون الدينية غير الكاثوليكية في الوزارة ومنها بطبيعة الحال شئون المسلمين.

وبعد عبارات الترحيب الحارة أعرب الوزير عن تقديره لاهتمام الرابطة بالمسمين البولنديين ودعا إلى توثيق الصلة معهم.

فشكرته على ترحيبه واستقباله وأوضحت له بأن الوفد هو من رابطة العالم الإسلامي وهي منظمة شعبية عالمية غير حكومية تعمل على توثيق الصلات الثقافية مع المسلمين بدون تدخل في السياسة أو أنظمة الحكم في البلدان التي يقطنها المسلمون وأن الرابطة يسعدها أن تتعاون مع الجماعات الإسلامية في بولندا ، ثم شكرت الوزير على ماذكره من رعاية الحكومة للمسلمين وتقديم المساعدة لترميم مساجدهم.

ثم تطرق الوزير إلى زياراته لبعض البلاد العربية مثل المغرب والأردن وعن رغبة الحكومة البولندية في توثيق صلاتها بالعالم العربي موضحًا موقف بولندا المؤيد للقضايا العربية. ثم تحدث عماحدث في الدورة الماضية لاجتماع منظمة اليونسكو عندما كان يترأس جلسات الدورة العامة وشن المندوب الصهيوني هجومًا على كلمة المندوب السعودي فاعترض الوزير على هجوم المندوب

الصهيوني ومنعه من الكلام فشن الصهيونيون وأتباعهم عليه هجومًا صهيونيًا شديداً.

ثم تحدث الوزير عن الجماعات الإسلامية في بولندا وحاجتهم إلى الدعم والمساعدة لقلة عددهم وضعف مواردهم المالية.

ثم أشار إلى موضوع بناء المركز الإسلامي في وارسو وأهميته للمسلمين البولنديين والدبلوماسيين والطلاب المسلمين الوافدين إلى بولندا فقال:

إن الدولة ستخصص قطعة من الأرض لبناء المسجد ولكن الجماعة الإسلامية تواجه مشاكل مالية وقد سجلنا مبادرة مفتي لبنان بالمساعدة ولكن لم نتسلم منه أي تأكيد في هذا الشأن فإذا كان من هدف زيارتكم تحقيق بعض الإنجاز في هذا المشروع والمساعدة على إقامته فيمكن إنجاز المشروع في خلال ثلاث أو أربع سنوات ونحن نعلق أهمية كبيرة على هذا المشروع ونرجو اهتمام ممثلي الشعوب الإسلامية به.

فأجبته بأن الرابطة تتلقى كثيراً من الطلبات في العالم لبناء المساجد والمراكز الإسلامية وتتخذ الرابطة قاعدة في تحقيق طلباتهم وهي تسجيل الأرض وبدء العمل فيه حتى تستطيع الرابطة أن تساهم معهم على البناء ولكن بالنسبة إلى المركز الإسلامي في وارسو وبعد أن سمعنا من معالي الوزير من اهتمام الحكومة البولندية فالأمر مختلف، ولذلك سوف نعرض على الجهة المختصة في الرابطة لاتخاذ القرار اللازم بالمساعدة وسنبلغ الاتحاد الإسلامي بمايتقرر حتى قبل استكمال شراء الأرض، لأنه هو أول مسجد في وارسو، ولكون الإخوة المسلمين في بولندا ليست لديهم الإمكانات المالية التي يبدأون بها المشروع.

أما المساعدة التي ذكر لكم عنها الشيخ حسن خالد فإن الرابطة هي التي سلمتها له وقدرها خمسة وأربعون ألف دولار أمريكي بمثابة الدفعة الأولى من إسهام الرابطة لمشروع مسجد وارسو.

ثم ذكر الوزير رغبة المسلمين في أداء فريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة وأنه لم يتمكن المسلمون البولنديون بعد الحرب العالمية الثانية من أداء فريضة

الحج وأنه سعد عندما علم بأن رئيس مجلس الاتحاد واثنين من أعضائه مدعوون لأداء فريضة الحج في العام الماضي وساعدهم في الحصول على جوازات السفر ولكن لم يتحقق لهم ذلك لأسباب مختلفة وسنكون سعداء إذا سمحت السلطات السعودية للبولنديين لأداء فريضة الحج ومن جانب السلطات البولندية فنحن نشجع وليست هناك صعوبات شكلية أو إجرائية والصعوبات الموجودة هي مالية وتأشيرات وأرجو أن تساعد زيارتكم في تمكين المسلمين البولنديين من السفر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.

فقلت له: لقد سررنا كثيراً لتفهم الوزير بأن الحج مفروض على المسلم مرة في العمر ومن سياسة المملكة العربية السعودية أن تيسر الحج لكل مسلم وقد بحثنا مع أعضاء مجلس الاتحاد الإسلامي موضوع الحجاج وأخبرناهم بأن ليس هناك مشكلة في الحصول على التأشيرات فبعض المسلمين يأتون من الدول الاشتراكية مثل الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ويوغسلافيا لأداء فريضة الحج والرابطة تتكفل بكافة الاحتياجات من التأشيرات والاستضافة خلال موسم الحج وقد أخبرناهم بأن الرابطة ستستضيف عشرة أشخاص من الحجاج البولنديين من يوم وصولهم إلى جده وعودتهم منها وأن الرابطة تتحمل كافة مصاريفهم من التذاكر وتكاليف الحج.

وعلق على هذا الحديث مدير مكتب الأديان في وارسو (تاديوك دوشيك) بقوله أنا متأكد من صدق كلامكم وسيزيد هذا من اهتمام اللجنة المشرفة على بناء المركز الإسلامي في وارسو وسأكون مسروراً لاستقبالكم بعد بضع سنوات للصلاة في المسجد.

فقلت له: إن من الأخبار السارة التي تلقيناها في رحلتنا هذه هو خبر استعداد الحكومة البولندية للمساعدة في بناء المركز الإسلامي في وارسو.

وأخذ الكلام الوزير لإكمال حديثه فقال: نحن نحترم المسلمين احترامًا كبيراً منذ القدم وكنا نحترمهم كفرسان مقاتلين فقد كان لدينا فرقة من الفرسان التتار اشتركت أخيراً في الحرب العالمية الثانية وكان المسلمون لايزالون يزاولون التجارة وحرفة الدباغة والزراعة وكانوا بأخلاقهم يبعثون الاحترام بين الناس

وفي الوقت الحاضر يختلف الوضع بسبب الحدود مع الدول المجاورة فقل عدد المسلمين في بلادنا وكذلك بسبب هجرة السكان من الريف إلى المدينة ومع ازدياد التعلم فقد تلاشت الحرف القديمة وأصبح المسلمون يحملون مؤهلات علمية عالية في بولندا ولهم مكانة طيبة.



مع وزير الشئون الدينية في وارسو وهو يرتدي العباءة العربية التي اهديناها اليه. وهو الثالث من اليمين

في الماضي كان المسلمون يتمركزون في عدد من المناطق ولكنهم الآن منتشرون في أنحاء البلاد بالإضافة إلى قدوم السائحين والطلاب العرب إلى بولندا وظهرت بذلك حاجة المسلمين إلى أماكن العبادة. ورئيس مجلس الاتحاد الإسلامي السيد/ استيفان مصطفى موخارسكي بالرغم من كونه يحمل مؤهلاً علمياً في الكيمياء ويعمل مدرساً إلا أنه يعمل في الزراعة ويصرف وقته لخدمة المسلمين.

وسألت الوزير هل تغيرت الحدود في عام ١٩٤٥م؟

فأجاب الوزير بأنها حدثت عام ١٩٤٤م.

وأشار الوزير إلى تغيير الحدود في عام ١٩٤٤م وأرجع قلة المسلمين في

بولندا الآن إلى وجود جماعة إسلامية كبيرة في جمهورية ليتوانيا التي ألحقها الروس بالاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية وهي أرض بولندية.

ثم استفسر رئيس الوفد بقوله: حصول المسلمين على الشهادات العلمية يدل على أن الحكومة البولندية لاتفرق في معاملتهم؟

ورد عليه الوزير بأن الحكومة تعامل الجميع على حد سواء وتعطيهم فرص العمل المتساوية ومن هذا أن أحمد وفيتش اشتغل مساعداً لوزير التعليم البولندي واستمر الوزير يقول: إن المسلمين يحرصون على الدفن في الأماكن الخاصة ولعلكم شاهدتم بعض المقابر الإسلامية فهم يحرصون على الدفن فيها.

وكان القرآن الكريم مترجمًا باللغة البولندية قد طبعت نسخ منه ووزع سابقًا قبل الحرب العالمية الثانية والآن نستعد لطبع ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم في بلادنا وقد وصلتنا بعض عروض الطبع من دور الطباعة وسيتم الطبع هذا العام.. وأعتقد أننا في زيارتكم المقبلة سنقدم لكم الترجمة البولندية لمعاني القرآن الكريم إذا تمكنا من تذليل بعض المسائل المالية التي نعانيها.

فأجبته بقولي: إن هذا خبر سار مثل سابقه والطريقة التي تتبعها الرابطة في موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم هي أن تقوم لجنة مختصة من علماء التفسير مع الذين يجيدون لغة الترجمة بمراجعة العمل والتوثيق حتى تتأكد من أن الترجمة موافقة لمعاني القرآن الكريم.

فعلق الوزير قائلاً: لقد سمعت نفس الملاحظة من معالي وزير الأوقاف الأردني.ثم قلت: إن الرابطة قد ساعدت على طبع عدة أعمال في ترجمة معاني القرآن الكريم ولكننا نبدأ بتوثيق الترجمة من قبل لجنة مختصة وأعتقد أن معالي الوزير يعرف أهمية ذلك في العمل العلمي حتى تكون الترجمة مطابقة للمعنى ومحققة للغرض وقد علمنا أن الجامع الأزهر قد راجع الترجمة ومع ذلك

نأمل من معالي الوزير أن يأمر بإرسال نسخة منها إلى الرابطة للتوثيق.

فأجاب الوزير بأنه لايعلم عن وجود لجنة راجعت الترجمة وأحال الموضوع إلى السيد حمدلله بوغوسواف زاغورسكي المشرف على موضوع الترجمة لشرح الموضوع فقال المذكور:

الذي قام بالترجمة هو المستشرق بيلافسكي مؤسس معهد اللغة العربية في جامعة وارسو من قبل عشرين عامًا ويعتبر باحثًا بارزاً في الدراسات الإسلامية والعربية وقد ألف عدداً من الكتب في الفقه والحضارة الإسلامية ومن أبرز ماحققه هو ترجمة معاني القرآن الكريم.

الترجمة مبنية على النص المعتمد في البلاد العربية واستند المترجم على عدد من كتب التفسير مثل تفسير الرازي والجلالين ولم تراجع الترجمة المذكورة من قبل أي مؤسسة ولم تكن هناك حاجة إلى ذلك لأن هذه الترجمة ستطبع في دار نشر حكومية والدار تعتقد في قدرة المترجم.

فقلت له: بأن اعتقاد دار النشر في قدرة المترجم لايعطي دليلاً على صحة الترجمة ولايمنع التوثق منها لأن الدار ليست جهة الاختصاص في العلوم الإسلامية وإذا كان الأمر في طور الطبع فنرجو أن تطبع بعدد محدود وأن تزود الرابطة بنسخ منها حتى نراجعها وتصدر رأيها فيها.

وعلق الوزير على الموضوع بقوله: أعتقد بأن هناك خطوات متقدمة جداً وأرى أن مراجعتها في الوقت الحاضر ستؤخر الطباعة ويمكن مراجعة ذلك في المستقبل فالطبعة الأولى ستكون في حدود عشرين ألف نسخة وستنفق الحكومة على مصاريف طبعتها الأولى.

ثم ختم الوزير حديثه برغبة حكومة بولندا في أن تكون هذه الزيارة بداية للاتصالات والعلاقات في المستقبل بحيث تشمل جميع النواحي والمجالات ولاشك أن الاتصالات الدينية ستكون قوية وحافزة لأننا نعتقد بأن الدين هو

أحد العوامل الهامة التي تكون الحياة الاجتماعية ونحن نعتز بالمبادئ الإنسانية السامية في الدين الإسلامي وأعتقد أن في بلدكم جاذبية خاصة فقد شعرنا باننا لسنا غرباء بل أصدقاء وقريبين من بعض.



وزير شئون الأديان في بولندا عند الباب الخارجي للوزارة مع وفد الرابطة.

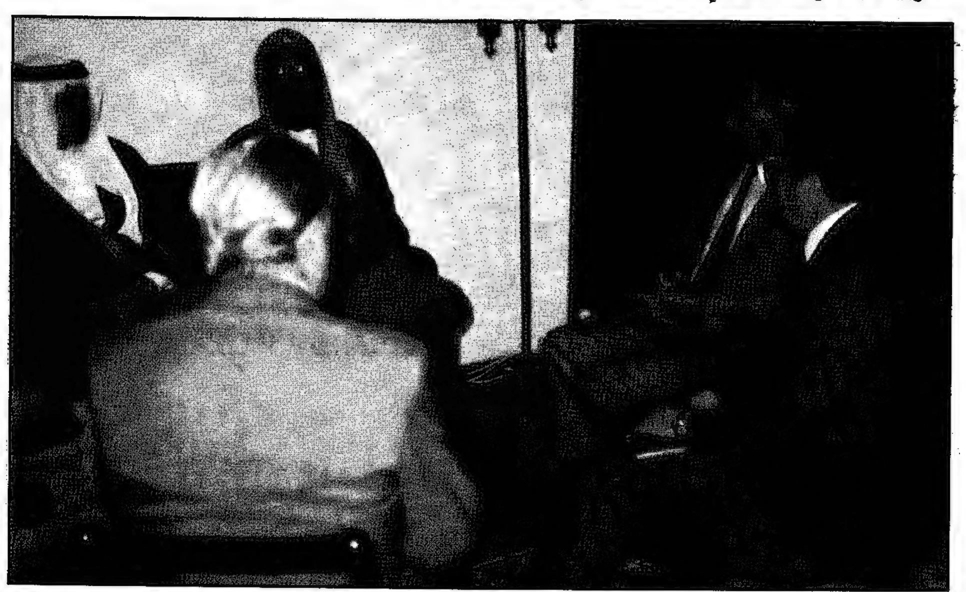
وبعد أن شكرته على كرم ضيافته وحسن حديثه وصراحته قدمت له الهدايا التذكارية باسم رابطة العالم الإسلامي وأهمهما في نظره العباءة العربية التي لبسها واستمر يلبسها حتى ودع الوفد عند ركوبه السيارات بعد أن وقف عدة مرات لالتقاط الصور التذكارية معنا ومنها صور للوزير بمفرده مرتديًا العباءة.

يوم الاثنين ١٤٠٦/٨/٢٦هـ

كان هذا اليوم هو نهاية زيارة وفد الرابطة في بولندا ولم يبق أمامه سوى زيارة مقر وزارة الخارجية البولندية ومقابلة نائب وزير الخارجية بناء على طلب وزارة الخارجية وإلحاح من المسلمين بأن يلبي الوفد هذا الطلب لمافيه من مصلحة للمسلمين.

وزارة الخارجية البولندية:

نزولاً على رغبة المسلمين تمت مقابلة نائب وزير الخارجية واسمه مايفسكي في مكتبه الساعة العاشرة صباحًا بتوقيت بولندا فرحب النائب بوفد الرابطة الزائر لبلاده وذكر أن وزير الخارجية غائب عن وارسو ولذلك استقبل هو الوفد وقد تم استعراض مختلف العلاقات القائمة بين بولندا وبعض البلدان العربية والإسلامية وقال إنها علاقات ودية وتجارية جيدة منذ القدم وإن علاقات بولندا مع كثير من الدول الإسلامية وحتى الدول العربية حسنة بدون أن تتدخل في الخلافات العربية فمثلاً زار رئيس الدولة ليبيا ولكنه أيضًا زار تونس والمغرب ولنا علاقات جيدة مع معظم الدول العربية ولاتوجد دولة إسلامية لاتربطنا بها علاقات.



في وزارة الخارجية البولندية في وارسو من اليسار لليمين : الدكتور سعيد باديب والمؤلف ونائب وزير الخارجية ثم المترجم

قال: ولدينا طلاب كثيرون من الدول العربية يتلقون العلم في جامعات ومعاهد بولندا فمثلاً لدينا ١٢٠٠ طالب من العراق فقط كما أن هناك عشرين ألف بولندي يعملون في بعض الدول العربية والبولنديون يهتمون بتقوية العلاقات مع الدول العربية وكذلك يوجد عدد من المسلمين في بولندا إلى جانب عدد كبير من السائحين الذين يأتون من الدول العربية والإسلامية ولدينا معاملات اقتصادية وتجارية مع كل الشعوب العربية والإسلامية ونسعى إلى زيادة العلاقات والتعاون معهم لأن ذلك في مصلحة الطرفين. وقال إن علاقتنا مع الدول العربية هي في تحقيق الأمن والسلام في العالم.

فأجبته على كلامه قائلاً: نشكر نائب الوزير على هذا اللقاء المفيد والشرح الذي استعرض فيه علاقة بولندا مع الدول العربية والإسلامية وأرجو أن أخبر سعادة نائب الوزير بأننا موظفون في رابطة العالم الإسلامي وهي منظمة شعبية عالمية وليست إدارة حكومية سعودية ومع ذلك بحكم كوننا سعوديين نخبركم بأننا سوف نحيط الجهات المختصة في المملكة العربية السعوودية بفحوى ماتضمنه حديث سعادة النائب وأقول له: إن ماذكره من الخلافات بين الدول العربية إنما في الحقيقة هي خلافات تحدث بين الأشقاء في الأسرة الواحدة وأسرتنا العربية كبيرة من المحيط إلى سلطنة عمان ونحن نقدر موقف المسئولين البولنديين الذي ذكر سعادة النائب في كون بولندا تتعامل مع الدول العربية بصرف النظر عن الخلافات العارضة بينها فالعلاقات الجيدة تنمو وتستمر.

وأخبركم بأننا في الرابطة خاصة ننظر إلى الدين الإسلامي على أنه ليس دين عبادات فقط ولكن دين ونظام للحياة وهو تاريخنا وحضارتنا لذلك ننظر إلى أي موقف ودي تقفه أي دولة في العالم نحو إخواننا المسلمين في بلادها وتشجعهم على نشر ثقافتهم الإسلامية فنعتبره موقفًا وديًا نحونا وتجاه الدول الإسلامية كلها.

ولقد تحدثنا مع إخواننا المسلمين هنا وخاصة مجلس الاتحاد الإسلامي الذي يرأسه الأخ مصطفى موخارسكي الحاضر بيننا في أوجه التعاون الممكن معهم وسوف يكون التعاون بين الرابطة والجماعات الإسلامية مؤديًا إلى توثيق الاتصال بين الشعب البولندي والشعوب الإسلامية لأنه تعاون ثقافي خالص.

وانتهى الاجتماع بتبادل الكلمات الودية والتمنيات بسلامة العودة ونجاح الزيارة وتقديم الهدايا إلى النائب باسم رابطة العالم الإسلامي.

مغادرة وارسو:

في الساعة الواحدة ظهراً بتوقيت بولندا غادر وفد رابطة العالم الإسلامي مطار وارسو في نهاية زيارته لمسلمي بولندا متجهًا إلى فرانكفورت في ألمانيا الغربية وكان في توديعه بعض المسلمين وفي مقدمتهم:

(١) السيد/ استيفان مصطفى موخارسكي رئيس الاتحاد الإسلامي البولندي.

(٢) السيد/ حمد الله بوغوسواف زاغورسكي.

(٣) الأستاذ/ محمد الجابري.

(٤) الأستاذ/ نجيب الصحراوي.

(٥) ممثل لوزارة خارجية بولندا.

(٦) مندوب عن وزارة شئون الأديان.

هذا وقد نشرت مجلة بولندا التي تصدر في وارسو مقالاً عن زيارة وفد رابطة العالم الإسلامي لبولندا من وجهة نظر بولندية غير مسلمة جاء فيه:

في أواخر شهر أبريل وبداية شهر مايو ١٩٨٦م وصل وفد رسمي من رابطة العالم الإسلامي التي تتخذ من مكة المكرمة مقراً لها إلى بولندا. وكان على رأس الوفد فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي - الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي. وتأتي هذه الزيارة تلبية لدعوة كان المجلس الأعلى

للجمعية الإسلامية في بولندا قد وجهها إلى رابطة العالم الإسلامي. هذا وقد قام السيد/ استيفان موخارسكي بدور المضيف والمرشد للوفد.

هذا وقد أمضى الوفد أسبوعًا واحداً في بولندا وشملت جولته كل من المدن التالية . «بياويستوك» مقر المجلس الأعلى - كروشينياني - بخونيكي - سوكولكا - غدانسك - وارسو.

وفيما يلي تصريحان للشيخ العبودي والسيد/ موخارسكي نقلهما عنهما اثنان من أعضاء تحرير مجلة «بولندا»:

فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي - الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي يقول:

«من مكة المكرمة وفي رحاب بيت الله العتيق قدمنا إلى بولندا بقلوب مفتوحة لنلتقي بالمسلمين وبمنظماتهم الإسلامية لتوثيق العلاقات التي تربطهم بنا على مر العصور.

إن تقاليد رابطة العالم الإسلامي وأهدافها تتلخص في توفير الرعاية وإقامة الحوار والتواصل المستمر مع المسلمين في جمع أنحاء العالم. وخلال عام ١٩٨٦ الجاري زرنا إخواننا في الاتحاد السوفييتي، ومن هناك أتينا إلى بولندا.

لقد كانت الأخبار المتفرقة عن المسلمين في بولندا تصلنا دائمًا، ثم أصبحت الأخبار تصلنا بصورة منتظمة، وقد ازداد معدل المراسلات بيننا وبين الإخوة البولنديين خلال سبعين عامًا الماضية، حيث تصل منهم رسائل موجهة إلى السعودية ومصر والمغرب يستفسرون فيها عن أمور الدين والعقيدة وقد ساعد ذلك على زيادة اهتمامنا بالجالية الإسلامية في بولندا وتوثيق الصلات بيننا وبذل الجهود المشتركة ونتج عن ذلك مجيء وفد رابطة العالم الإسلامي - التي تدعمها حكومة المملكة العربية السعودية بصفة رئيسية - لزيارة بولندا.

إن زيارتنا لبولندا ليست لها أية صفة خاصة بل كانت ضمن خطة جولتنا، ومع ذلك أصبحنا ندرك أن الحاجة إلينا هنا أكثر إلحاحًا لاسيما وأننا أمام جالية إسلامية استطاعت أن تحافظ على عقيدتها الإسلامية طيلة ستمائة عام وتلك حالة فريدة ساعدت على قيامها قوة الإيمان وتسامح السلطات والشعب البولندي والتفاهم المتبادل بين المسلمين وبين أتباع الديانات الأخرى.

إن زيارتنا هذه وإن كانت الأولى فإنها - بالتأكيد - لن تكون الأخيرة، وقد بحثنا مع إخواننا أعضاء المجلس الأعلى للجمعية الإسلامية أموراً كثيرة فيمايتعلق بالمشاكل القائمة والتخطيط المستقبلي لتوثيق العلاقات المتبادلة.

أسأل الله أن يعيننا على تحقيق أمانينا لمافيه خير الإسلام والمسلمين.

تصريح للسيد/ استيفان موخارسكي

رئيس المجلس الأعلى للجمعية الإسلامية في بولندا

ظلت الجالية الإسلامية في بولندا تتطلع إلى هذه الزيارة بسرور بالغ لأن هذه الزيارة تأتي لتؤكد قبل كل شيء أن إخواننا في العالم الإسلامي مازالوا يفكرون فينا. فجميل أن يشعر الإنسان أن هناك من يذكره وخاصة على هذا المستوى العالي وقد جاء الوفد برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد للرابطة يرافقه مديرو الإدارات المختلفة في الرابطة ومنهم مدير إدارة شئون أوروبا. واعتقادي أن هذه الزيارة تعد ثمرة من ثمار الزيارة التي قام بها فضيلة الشيخ حسن خالد - مفتي لبنان - لبولندا عام ١٩٨٤م حيث تعرف علينا سماحته عن كثب وعرض مشاكلنا بعد ذلك على الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.

فهل نحن منسيون فعلاً؟ نعم، كنا منسيين ردحًا من الزمن حيث انقطعنا عن العالم الإسلامي طيلة ثلاثمائة عام. صحيح أن مفتي بولندا قبل الحرب العالمية قام بزيارة للمملكة العربية السعودية حيث حل ضيفًا على ملك السعودية.

وكان الغرض من تلك الزيارة بحث إمكانية الحصول على مساعدة لبناء مسجد في وارسو. إلا أن اندلاع الحرب حال دون إتمام المشروع، ولم يكن من الممكن معاودة الاتصال بالسعودية بعد الحرب نظراً للدمار الذي خلفته تلك الحرب وانشغال الشعب بإعادة بناء الوطن.

ومنذ بضع سنوات بدأت منظمتنا الإسلامية تلفت أنظار الإعلام والصحافة الأجنبية، وذلك بفضل الجهود التي بذلتها مجلة «بولندا»، فلم يكن أغلب الناس يعرف أن في بولندا جالية إسلامية وذلك نتيجة لطول سنين الانقطاع عن العالم الإسلامي.

وهل نحن غرباء ههنا؟ ربما ليست هذه هي الكلمة المناسبة، لكننا مع ذلك ندرك أننا نختلف من الناحية العرقية لا الوطنية، فالمسلمون البولنديون ينتمون بلاجدال إلى الجنسية البولندية رغم اختلافاتهم عن بقية الشعب البولندي. لأن غالبية هذا الشعب ينحدر من السلالة السلافية بينما ينحدر المسلمون من السلالة التترية ويعيشون في الأراضي البولندية منذ ستة قرون هذا وقد تمكن المسلمون من البقاء بفضل قوة الإيمان وتسامح الشعب البولندي الذي نحن جزء منه. واعتقادي أن المجتمع البولندي مجتمع متكامل.

لقد اندهش ضيوفنا في الواقع لا لوجود جالية إسلامية في بولندا - فقد كانوا يعرفون ذلك - بل بسبب الروح العالية السائدة في أوساطنا - ولاشك أن زيارات كهذه سوف تساعد على تعزيز شعورنا وإحساسنا بالتضامن والوحدة وتعزز قوتنا المعنوية طبعًا، وذلك في اعتقادي أمر حيوي للغاية.

حقائق أساسية : أما هذه فلم يكن في الإمكان بحثها كلها في هذه العجالة، فقد أثرنا عدة مواضيع لقيت كلها تفهمًا وأخذها فضيلة الأمين العام المساعد بعين الاعتبار وسيتم رفعها إلى الأمانة العامة للرابطة لمناقشتها. وقد أكد لنا فضيلة الشيخ العبودي أن المواضيع المشار إليها تدخل ضمن نطاق اختصاصات

الرابطة. على أن الاهتمام الأول نحو إقامة بيوت الله وتوفير التعليم الديني الذي سيسهل علينا مهمة تطهير العقيدة من البدع التي تراكمت عبر سنين العزلة، وقد وعدنا خيراً في هذا الصدد.

وأخيراً، ماذا تعني هذه الزيارة للمسلمين في بولندا؟

يمكن القول إن هذه الزيارة تعني باختصار: الشعور بالارتياح والغبطة.

في ختام الحديث عن بولندا يجدر بنا أن ننقل هنا خلاف مااعتدناه في كتبنا نبـذة تتعلق ببولندا بعنوان (المسلمـون في بولندا) من إعـداد مـاسج لاوتوناكي وقد ترجمناه عن إحدى المجلات الفرنسية.

وذلك استكمالاً للبحث، وللحديث عن المسلمين في بولندا المتفرق في ثنايا الكتاب.

المسلمون في بولندا

الإعداد ماسيج كوتوناكي

إن تاريخ بولندا في العهد الذي امتد أكثر من ستة قرون، لحافل بكثير من الأحداث التي تؤكد وجود روابط تألفت بينها وبين العالم الإسلامي، وتتوضح آثار هذه الروابط في أن منطقة الجنوب الشرقي للجمهورية البولندية القديمة كانت تقيم حدوداً مشتركة مع دول التتار وبعد ذلك أقامت مع الأتراك العثمانيين إلى نهاية القرن الثامن عشر، واحتفظت بهذه الحدود إلى أيامنا هذه ولقد نتج عن هذا وذلك اليوم تكتل العديد من الأتراك البولنديين من أصل (كبتشاك) والترك الذين اهتموا بالعلوم بصورة كبيرة، ولقد تجلى هذا الاهتمام بعد ظهور الاتجاهات التي استطاعت استرجاع عناصر الثقافات المتأثرة بالثقافات الأخرى إلى ثقافة البلاد بشكل حدد تأثير مناطق الحضارات بعضها ببعض في مختلف العهود، وتمثل الجماعات التتارية التي أقامت في بولندا المثل الواضح لقوة ونفوذ العالم الإسلامي في أراضي هذا البلد، الذي يعتبر أبعد نقطة امتد إليها الإسلام في شمال أوروبا وإلى جانب هذا فهناك أسباب أخرى تجعل الإهمال منصبا على التتار في بولندا.

ان تطور العلاقات الاقتصادية والثقافية وارتفاع مستواها بين البولنديين والدول الإسلامية يدفعنا إلى وضع الاهتمام بالسكان البولنديين المسلمين الذين تربطهم روابط تقليدية مشهورة بالمجتمعات الإسلامية وجدير بالذكر أن علاقات الجمهورية البولندية مع مسلمي المشرق لم تخفَ في عهد من العهود التي عرف فيها تعاونهم الودي في مدى طويل من الزمن، وترجمت هذه العلاقات في التبادلات التجارية والعلاقات السياسية شارك فيها المسلمون البولنديون لاعبين الدور الذي أنيط بهم وعلى ذلك عادوا إلى (كريحي) وتركيا كساعي البريد أو

المراسلين الخصوصيين، ونتيجة لذلك، قامت هذه الجماعات أكثر من مرة مع السكان المحليين في هذه المناطق بإنجاز المهمة التي ابتدأ بها التتار بشجاعة كبيرة.

ولقد دخل التتاريون المستوطنون الأوائل إلى الجمهورية البولندية، وبصورة أكثر تحديدا إلى (قران - ديشي) في (الليني) في القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر، وتعود هذه الأيام إلى مملكة (هوردا) الذهب ومملكة (كانات) الواقعة في منطقة (ولاغي) ولكن اسمهم هذا لايدل على أنهم ينتمون إلى القبائل المنغولية التي عرفت من خلال الحوليات الصينية القديمة من ناحية (تا-تا) أو (تاتون) ولكن يمكن أيضًا أن يرجع أصلهم إلى (بولندا) الترك التي انتصرت عليها هذه القبائل التي تحمل نفس الاسم، حتى ولوكان هناك تحريف فيه عند التتار ونتجت هذه الصور المختلفة عن تلك السمات المنغولية أو التركية التي تظهر أيضًا عند البولنديين المسلمين الآن، والتي تميزهم عن غيرهم من الجماعات، استقبلت الجماعة الجديدة التي أتت من منطقة في الشرق التي أصبحت بعد ذلك وطنهم الجديد ولم يكتف الأمراء بإعطائهم حرية العقيدة فقط، بل أعطوهم جميع الحقوق المدنية التي كانت تسمح لهم بالزواج مع المسيحيين، وكذلك إعطائهم حق تربية أبنائهم بتربية دينهم، هذا وقد فرضت على التتار الخدمة العسكرية الجبرية، ونتيجة لتبصرهم بالأمور استطاعوا القيام بأعمال جليلة لبلادهم المختارة.

ويعتبر القرن السادس عشر بداية أكبر انتشار للجماعات التتارية في بولندا حيث بلغ عددهم في ذلك الوقت تقريبًا العديد من الآلاف ووفر لهم الملك اوجست (١٥٤٨-١٥٧٢) ملك مملكة (جاغلون) حمايته الخاصة ولقد دعا القرار الذي تم اتخاذه بعد ذلك من طرف (ديتي لبلن) في عام ١٥٦٩، إلى إعطاء التتار حق بناء مساجدهم وإقامة مؤسساتهم التعليمية الخاصة، وفي هذه الأثناء أيضًا تم ضمان حقهم في ممتلكاتهم للتصرف فيها بحرية وكذلك تمتعهم

بنفس الحقوق التي كان يتمتع بها النبلاء مع وجود استثناء واحد وهو أن التتار لم يسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية للبلاد وخلال هذا العهد لقد ظهرت الجماعات الأولى التي جندها رئيس الفرقة العسكرية التتارية وبلغ عددها ست جماعات في القرن السابع عشر.

وعملت هذه الجماعات مع القوات العسكرية في عهد جمان الثالث سوبسكي (١٦٧٢ - ١٦٩٦) ونتيجة لعملهم الكبير الذي قاموا به أهداهم الملك أراضي في منطقة (بودلاز) التي تعتبر اليوم جزءا من بولندا وتقع هذه الأراضي الموهوبة للعسكريين التتار في (كرزتبا) و(تتوبي) و(ازاني) و(بخونيكي) و(دارال) و(ماكوكس) بمناطق (يوودي بيالكلو) وحينئذٍ أقام التتار ببلاد كل من (ويودي كبلان) و(لبيدازو) و (مالزوكزي) و(استدزناك) وتقع في هذه المنطقة الأخيرة الأراضي التي تم توزيعها في عام ١٦٨١، في (ادم يكن) التي لم يتأخر التتار فيها من تدوين صفحة رائعة في التاريخ العسكري في بولندا حيث كانوا في الواقع يحتلون منصب رؤساء الفرق العسكرية للملك وأيضا كانوا قواد كثير من فرق الفرسان وكان عددهم كثيرا، اعتيد في تعيينهم بتعيين رئيسهم أو بتعيين فرقة فرسان (بولن).

ولقد قام هؤلاء الفرسان بأداء مهمتهم بجد ذلك ليس فقط لشجاعتهم وبسالتهم المتميزة بل أيضا لاتخاذهم الخطط الجديدة، ومع الكيفية الغامضة التي تشكل بها الجيش، ولقد اعتمد التتار في هجماتهم على الأعداء طريقة الهجوم الجماعي الذي كان الفرسان يقومون بها لكسر المقاومة وتدمير جيوش الأعداء وعلى هذا لم يتمكن فرسان الملك نابليون الأكبر الذين أقاموا معسكرهم لجيشهم في عام ١٨١٢ من القيام بمهماتهم دون مشاركة الفرسان التتار.

وبعد سقوط الجمهورية البولندية في عام ١٧٧٢ لقد أعطى التتار البولنديون الدليل بتمسكهم بأفكار الحرية. ومن جهة أخرى تم استخدامهم عند اندلاع ثورة

(تاديزكوزسزكو) في عام ١٧٩٤ وكذلك في حملة نابليون وفي عهد (ديشي ورسوري) لقد تم اعطاؤهم جميع الحقوق السياسية وقام بتمثيلهم في (دبات) (جاكوب بكزاكي). وجدير بالذكر أنهم لم يكتفوا بالدفاع عن دمائهم وأنفسهم فقط عند حدوث الثورة الوطنية التي قامت في عام ١٨٣١ وفي عام ١٨٦٣ والتجأت أيضًا الحكومة القيصرية إلى استخدام التتار في قمع الثورات، ومنع وقوع العار على الحكم وكذلك استخدامهم في المعارك التي قامت بها لأجل تحقيق الاستقلال، وعلى ذلك لقد اقتيد بعضهم إلى السجون كما تم نفي بعضهم الآخر إلى داخل روسيا وعلى ذلك حرم الشعب التتاري من حق تملك الأراضي كما فرضت عليهم ضرائب شديدة وأيضًا منعوا من دفن موتاهم وتسجيلهم في بولندا وأمام هذا الوضع لقد هربت بعض الأسر إلى تركيا وازداد اضطهادهم بعد اغتيال القيصر الإسكندر الثاني في عام ١٨٨١. وقد منع المسلمون من استخدام الكتب الدينية المؤلفة باللغة البولندية واستعمال هذه اللغة في الشعائر الدينية التي يقيمونها في مساجدهم وقام هؤلاء الغاضبون ببذل مجهودات كبيرة للترويس الكامل لهذه الجماعات التي وقفت بشجاعة امام هذا الاضطهادات والتي بقيت متمسكة بعاداتها الإسلامية.

ولقد كان ينتمي العديد من الزعماء الذين جاهدوا لأجل الاستقلال إلى صفوف التتار ويقيم بعضهم علاقات مع الحزب الاشتراكي البولندي، وبهذا يمكن القول بأن التتار انتسبوا إلى جماعات سياسية خاصة في عهد الإسكندر سكلكيوزكي، الذي شرع الاجتماع الذي انشئ من خلاله الحزب (ب.ب.س) في باريس عام ١٨٩٢. ويجب أيضا الإشارة إلى العلاقات التي قامت بينهم وبين (استافن بيلاك).

وفي عشية الحرب العالمية الأولى نجح المسلمون بإنشاء جمعيتهم الثقافية الخاصة وأيضا إلى وضع طريقة لجمع الصدقات، ولقد اتخذت هذه المنطقة مدينتي (ويلنه) و (وارسو) مقرا لها، ومن جهة أخرى قامت مجموعة من

الشباب التتار الذي كانوا يواصلون دراساتهم في (سان- بترزبورغ) بإنشاء منظمة سرية تحمل اسم (المجلس الاكاديمي للمسلمين البولنديين) وامتدت نشاطات هذا المنظمة من عام ١٩٠٧ إلى ١٩١٠، وقام هؤلاء الشباب بدراسة تاريخ التتار في الأراضي البولندية (بلتاني) و(بالاترتشا) والمنيرليون انازماميرازكركازنيسكي المؤرخ المشهور وزعيم المنظمة من أحد المؤسسين لها وعملت الجماعة التتارية الصغيرة في هذه الفترة لفرض وجودها ولتطوير إمكانياتها على المستوى الفكري وتحقق هذا الهدف في عام ١٩١٨ حين نالت بولندا استقلالها حيث تم إنشاء الاتحاد الثقافي والتعليمي لتتار جمهورية بولندا في عام ١٩٢٦ والتف حول هذه المنظمة الألوف من المسلمين حيث بلغ عددهم ستة آلاف من أصل ١٩ جماعة إسلامية مختلفة كانت تقيم في (وردي ويلي) وفي (نومرغرويك) و (بياستوك ووارسو) ويوجد أهم المراكز التتارية في نووغرديك) التي يصل عددهم فيها إلى (٧٠٠) شخص ويعتمد أغلب هذه المجموعات على الزراعة والبستانية والحدادة التقليدية حيث يبلغ نسبتهم من مجموعهم ٧٠٪ وهذا يعني ان نسبة أصحاب الحرف الأخرى تافهة ولقد اهتم زعماء الاتحاد بصورة كبيرة بالمصالح الاقتصادية للقرى التتارية في أول الامر ولكن وقع بعد ذلك إهمال حيث مضى وقت طويل دون ان يحدث تحسين في المتاعب التي عانى منها المزارعون.

وبالمقابل توجت هذه المجهودات المبذولة من جماعة من الزعماء المتحمسين بنجاح كبير في ميادين أخرى ذلك أنهم نجحوا باستعادة العادات والتقاليد الخاصة للتتار، إلى أذهان المعاصرين ونتيجة لذلك تم نشر ثلاثة مجلدات من الحوليات التتارية كما قامت أجهزة إسلامية تابعة لجماعات طائفية بنشر أعمال أخرى منها : حياة التتار في ويلون ومجلة الإسلام في وارسو ولذلك تم تنظيم دار الوثائق والمتحف للتتار في (ويلون) ولقد استعادت هذه الإنجازات كلها ماضي هذا الشعب كما برهنت ذكاءهم ومجهوداتهم في العمل لإيجاد قيم

جديدة للحياة العلمية والثقافية للبلاد ، وعلى ذلك قوبلت هذه الحركات برضا المجتمع البولندي الذي سبق أن تعاون مع المسلمين في مناسبات كثيرة لتحقيق طموحاتهم ومشاريعهم. ونتيجة لذلك نالت بولندا عطف بلدان العالم الإسلامي التي تأثرت بهذا النوع من التصرف تجاه السكان المسلمين.

وبقي التتار في الفترة الفاصلة بين الحرب العالميتين على اتصال مع مسلمي العالم كله حيث عرض عليهم أهمية بلادهم ومن هنا تتوجب الإشارة إلى بعض هذه الاتصالات، فشارك الوفد البولندي في عمل المؤتمر الدولي حول الجغرافيا الذي عقد في القاهرة عام ١٩٢٥ وضم الوفد البولندي لهذا المؤتمر عضوية السيد/ ليون ايازميز كركازانكي الذي تم تعيينه بعد ذلك رئيسا للمجلس العام للاتحاد الثقافي التعليمي للتتار وبعد هذا المؤتمر استقبل الوفد البولندي من طرف المجتمع المصري باستقبال حار، حيث وسم الملك فؤاد الأول الوفد بوسام النيل من درجة فارس وبعد ذلك قام ميزازكزكانكي بزيارة لكل من فلسطين وسوريا ولبنان وتركيا وبعد ذلك قام المفتي يعقوب سزنكيويك رئيس الطائفة الاسلامية في بولندا بعدة جولات في الدول الإسلامية في عامي ١٩٢٦ , ١٩٣٢ بدأها بزيارة مصر وشارك في أعمال المؤتمر الإسلامي الذي عقد لاختيار الخليفة، وبهذه المناسبة اقترحت بولندا إقامة علاقات دبلوماسية مع المملكة العربية السعودية، وتم إيفاد وفد بولندي في عام ١٩٣٠ إلى ابن السعود ملك الحجاز وضم هذا الوفد عضوية ج. سزنكويا ومثل ليون انازميرازكمرنكي الجماعة الإسلامية البولندية لدى العالم الإسلامي، وقد ساهم اناز ميزاز هذا في تنظيم حياتهم التعليمية، وكرس حياته كلها في العمل لأجل نهضة جماعته الخاصة، وبعد ذلك أقام زكازنكي في اسطنبول عام ١٩٣٢ ثم في الرباط في عام ١٩٣٤ واستقبله سلطان المغرب محمد الخامس ووسمه بوسام فارس للإمبراطورية المغربية في عام ١٩٣٥.

ومن جهة أخرى قام كريكزنسكي في عام ١٩٢٠. وعام ١٩٣٦ بعدة جولات قادته إلى كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا واسبانيا، واستطاع من خلال هذه الجولات التحدث عن بولندا بصورة عامة وعن حياتها الأدبية بصورة خاصة، ولقد أعجبت الأكاديمية البولندية للآداب بهذا الاهتمام الذي أعطاه كريكزنسكي للخارج، ونتيجة لذلك قامت الأكاديمية بمنحه ميدالية الأكادمية الفضية. ولقد احتلت نشاطات هذا التتاري المشهور مكانة بارزة في المجلات التي تهتم في أوروبا بمشاكل مسلمي المشرق، وعند صدور أول مجلد للحوليات التتارية تلقي كريكزنسكي رئيس تحرير المجلة بتشجيعات من الفقيد لويس ماسنيو مدير نشر مجلة الدراسات الإسلامية بروفسور في كلية فرنسا، ولقد نشر في نفس هذه السنة أندري يونامي في صفحات نفس المجلة بيانًا حول جمع الوثائق للحوليات التتارية. ومن الأهمية بمكان الإضافة إلى أن أندري يونامي كان على معرفة جيدة بحالة المسلمين البولنديين، لأنه كان قد كلف من طرف المسئولين الفرنسيين بالذهاب إليهم في ويلون، وأثناء هذه الإقامة في ويلون نشر لون يود نووكز مقابلة أجريت مع أندري يونامي في مجلة أصداء وارسو (عدد ٢٠) في عام ١٩٣٤، بينما أصدر بودنووكز في عام ١٩٣٦ كتيبًا بعنوان المسلمون في بولندا وأعيد نشر هذا الكتيب في القدس في عام ١٩٤٧.

ولقد مكنت الزيارات الأخوية التي قام بها المبعوثون الرسميون من البلدان الإسلامية لاخوانهم التتار في بولندا، إحياء روابط متماسكة بينهم، ومن ذلك استقبل ملك أفغانستان الأمين في عام ١٩٢٨ من طرف عدد من الشخصيات التتارية كم استقبل أيضًا رشيد صفوت أتايني نائب في البرلمان التركي في عام ١٩٣٠ خلال إقامته في بولندا، وهناك مناسبات أخرى تمت خلالها اتصالات كثيفة لدعم الروابط القائمة بين التتار والعالم الإسلامي، وخاصة تلك التي تمت خلال فترة الدراسة التي يقضيها الشباب التتاري بالأزهر الشريف في مصر، أقدم مؤسسة تعليمية مصرية. وفي هذه المؤسسة درس علي ورنوز ومصطفى

الاسكندروز قبل اندلاع الحرب وتمتع التتار بحب جميع الناس لسبب ذكائهم وليونة أفكارهم وكذلك بفطنهم واهتمامهم بالمشاكل المعاشة آنذاك. ولقد لعبت أسرتان قديمتان تسميان (كريكرنكي) و (شماتووكز) دوراً كبيراً حيث أن زعماءهم لم يكتفوا بمساهمتهم في الثقافة التتارية، بل ساهموا أيضًا في مجال العلوم والثقافة البولندية. واشتهر الأخوة (ولزرد، وليون كركازنكي) وأيضًا الإسكندر اشمان في مجال القانون كما لم يدخر الكيميائي عتمان اشماتوكز أستاذ في جامعة ورسوفيا وأخوه ليون اشمان جراح مشهور، جهدهم خلال سنوات الاحتلال للحفاظ على المصلحة العامة للبلاد، كما ساهم استفان بازرسكي أستاذ في جامعة استفان باتو في ولون، من جهته مساهمة كبيرة في تطوير العلوم السياسية.

ومكنت أعمال استانسلفي كريلزسكي المؤرخ الشهير من القيام بدراسة تحليلية تاريخية وافية على السكان، وتركزت هذه الدراسة حول الجماعات التتارية، ولقد تم القيام بنشر هذه الأعمال في عام ١٩٣٨ واحتوت جميع المجلدات الثلاثة للحوليات التتارية، وجدير بالإشارة إلى أن المسلمين قد ساهموا أيضًا في استشراق بولندا. في هذا الموضوع يمكن القول مرة أخرى أنه خارج نطاق استانسلفي كريكزسكي الذي سبقت الإشارة إليه، قام ليون كركازنسكي بتقديم دراسات أخرى تاريخية، أعطت تحليلات قوية للسكان التتار ومسلمي المشرق. كما قدم أيضًا فهرسة لتاريخ التتار البولنديين إلى المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين البولنديين الذين عقدوا مؤتمرهم في عام ١٩٣٢، وعين كركازنسكي - نتيجة لمجهوده عضواً عاملاً في الجمعية البولندية للاستشراق. وأعطى هذا أهمية كبيرة للحوليات التتارية، بحيث أصبح عددهم يساوي عدد المستشرقين الذين اشتهروا في مجال العلوم البولندية، نذكر منهم الأستاذ تادزكوالسكي والأستاذ/ أتانيازر جازاكزكوسكي وأيضًا بعض المؤرخين الذين انصبت أعمالهم في دراسة مسائل التتار مثل

الأستاذ أولزد جوركي وتادبزا ستركينكز كوزونو وأيضًا أستاذ علم السكان: جلين تالكوهرنسويكي. ولقد كشف هؤلاء المؤرخون أشخاصًا متعددة من خلال الرسائل المرسلة من ليون ن .م. كرلازنسكي، كانوا على نية فكرة نشر المجلدين الرابع والخامس للحوليات التتارية. وقاد المجلس التشريعي الألماني الذي أشعل نار الحرب العالمية الثانية، بشن هجوم ضد بولندا. وتوقفت خلالها الأعمال التي استهدفت لإعداد هذا الكتاب. وبعد ذلك وقع ليون.ن.م. كركازنسكي ضحية في أيدي النازية في وقت قصير، بعد قيامهم باحتلال (جدينيا) في شهر سبتمبر عام ١٩٣٩. وكان رئيس تحرير الحوليات التتارية يقيم في هذه المدينة، حيث كان يتقلد منصب نائب رئيس المجلة. وتتوضح من خلال هذا مفخرة التتار بانتمائهم إلى العالم الإسلامي وبقائهم بإخلاص في قرون طويلة على دين آبائهم. وتوضح من هذا مدى قوة إخلاصهم وانتشارهم في ربوع البلاد في الفترة الفاصلة بين الحربين.

وبعد ذلك تم تعيين الأئمة المفتيين رسميًا في سبعة عشر مسجداً وفي ثلاثة دور مخصصة للصلاة في مناسبة عيد (بيرام) السنوي ولقد قامت الجمعية الدينية للمسلمين بالسهر على الشئون الدينية للمسلمين التتار. وفي عام ١٩٢٥ تم الإعلان عن تكوين دار للإفتاء في بولندا برئاسة المفتي الدكتور يعقوب سزنكوسكي، وقبل ذلك كان المسلمون البولنديون مرتبطين بمفتي كرمي حتى عام ١٩١٩، وفي سنوات قبل اندلاع الحرب تم دراسة مسألة بناء مسجد في وارسو على غرار مسجد باريس أو برلين على ذلك تم تشكيل لجنة لبناء المسجد، وجمعت المساعدات من التتار البولنديين ومن المسلمين الموجودين في أنحاء العالم بصورة عامة ومسلمي الهند ومصر بصور خاصة. وفتحت المناقصة لمشروع البناء بين المقابر وأسند البناء إلى اثنين منهم هما الأول والثاني، ولكن الحرب حالت دون تحقيق هذه الفكرة.

وعلى ذلك انقرضت القوة العسكرية للتتار، ولم يكن فرسان القيادة الذين كانت تتشكل منهم فرقة فرسان ولون الثالث عشر في عام ١٩٣٦، يحتفظون إلا باسم رمزي حيث أنهم كانوا يلبسون الزي العسكري البولندي، ولكن يحملون إشارات خاصة بهم. وبعد أن قدمت جماعة التتار للقيادة العسكرية خدمات جليلة تم تعيين القائد الإسكندر جلزسزوكز قائداً للقيادة العسكرية في عام ١٩٣٨، قام هؤلاء الجماعة بشن هجوم ضد الجيش الألماني الذي كان يقوم بهجمات على بولندا في شهر سبتمبر عام ١٩٣٩ وهذه السنوات من الحرب وفي نفس الوقت خلال حروب تحرير بولندا، شارك التتار في الحرب لتحرير بولندا، حيث أنهم أقاموا في الداخل تعاونًا بينهم وبين المقاومة وحاربوا مع الفرقة البولندية في الاتحاد السوفييتي كما قاتل بعضهم مع الفرق البولندية في الغرب وتوفى عدد من كبار المنتمين إلى هذه الجماعة في المعسكرات النازية وأيضًا في السجون.

وعقب الحرب العالمية الثانية نقص عدد الجماعة التتارية إلى ٤٠٠٠ شخص، وأدى هذا النقص إلى إجراء تعديلات في توزيع الأراضي، ونتيجة لذلك أصبحت الأراضي البولندية القديمة الواقعة في الشرق والتي منها (ويوودي نويلون) و (تووجردك) بعد ذلك جزءاً من روسيا، ولم يرتبط كثير من التتار الذين رجعوا إلى بولندا بمنطقتهم، ومن ثم لقد لقي بعضهم مصرعه خلال العمليات العسكرية ووزع البعض الآخر على العالم وخاصة على العالم الإسلامي، كما وجد هناك أخيراً والبعض الآخرون هاجروا إلى الولايات المتحدة قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى لطلب العمل.

ويوجد حاليًا أكثر من ٢٠٠٠ تتاري في بولندا ويشتغل بالزراعة حوالي ٣٠٪ ويصل العدد النسبي للعمال المتعلمين والحرفيين في المؤسسات الصناعية ومؤسسات النفع العام إلى حوالي ٣٠٪ كما بلغ المعدل النسبي للعمال المتعلمين المسلمين في بولندا بالمجالات التقنية إلى حوالي ٢٠٪ من مجموع

العمال المهاجرين، وكان من بين الجماعة التتارية رجال اشتهروا في مجال العلم ويعد الأستاذ عثمان كمانووكز واحداً منهم، حيث ارتبط اسمه دائماً وبدأ بالتقدم العلمي في مجال الكيمياء العضوية في بولندا، وخاصة في فترة مابعد الحرب، كما يعد الأستاذ المشهور وعالم اللغات في جامعة «جغلون جان سفاروكز» وهو من أصل تتاري، أقدم جامعي بولندي، وأنه أقدم من الأستاذ فكتور جاكبرفسكي الذي كان نائبًا سابقًا للرئيس في نفس الجامعة والذي اشتهر في دراسة اللغة السلافية المنتشرة في روسيا.

ولقد انبرى أيضًا التتار في المجال الطبي، ويعد الدكتور عابشاسزمسكا المتخصص في مجال أمراض الزهري واحداً منهم كما احتل الدكتور اغوركركازنسكي مكانًا بارزاً في مجال الأمراض العقلية والنفسية، وكان هناك بعض الصحافيين الفنانين الآخرين مثل دزنيت فولتوزرسكي وجاشمالدزن والفنان المسرحي يلزكي والمؤرخ المشهور الاسكندر اشمانوفكز.

وتوجد ثلاث جماعات دينية قديمة في الداخل على حدود بولندا الجديدة واتخذت هذه الجماعات كلا من (بوخونيكي) و (كروشيناني) و(وارسو) محل إقامة لها. ولقد أنشئت جماعتان جديدتان في (ج جورزفوفلكويولسكي) و (دنتزج). وتكونت هاتان الجماعتان من التتار المرحلين من الأراضي الملحقة بالاتحاد السوفيتي وكما استقر بعضهم في (فروكلاف) و (سزكرسيبيا). ويقيم أكبر تكتل لهذه الجماعة البولندية في (بياوستوك)، حيث وصل عددهم إلى ٣٥٠ شخص وهي بذلك تعتبر الجماعة الدينية السادسة في بولندا.

ولقد ساهم في تنظيم حياة المسلمين مسجدان هما مسجد (بوخونيكي) ومسجد (كروشيناني) اللذان يعتبران أثراً تذكاريًا وتاريخيًا، بقى هذان المسجدان تحت حماية وزير الثقافة والفنّ.

وفي المقابل لم تبق للتتار اليوم أية جمعية للثقافة أو التعليم. ومع ذلك سعت الجمعية الدينية للمسلمين التي أنشئت منذ عام ١٩٥٩، والتي كانت برئاسة علي لاديكي سعت إلى أهداف ثقافية وأيضًا قامت بتدريس القرآن الكريم وعملت أيضًا لترسيخ المبادئ الإسلامية في أذهان الجيل الجديد.

وعلى خلاف ماسبق نلاحظ أنه في سنوات عام ١٩١٨ إلى ١٩٣٩م لم يكن لحياة المسلمين البولنديين منذ الحرب العالمية الأخيرة أي اعتبار ولم تعد لهم تلك السمعة الكبيرة التي احتفظوا بها وبذلك اختفى كثير من المتعلمين التتار عن الساحة الشيء الذي استحال معه إعادة تنظيم منظمتهم القديمة. كما انتشر بعضهم بصورة قوية في ربوع البلاد. وتمت علمنة حياتهم وأصبحت بعد ذلك محاولات دمجهم شيئًا سهلاً، وهذه الأحداث كلها لم تمر دون أن تترك أثرها على هذه الجماعة، ولكن لانرى الآن ضرورة لإبرازها كلها إلا ماكان له ارتباط بالمسائل الدينية. وعلى ذلك فلقد شارك أميربارانو رئيس الجمعية الدينية للمسلمين آنذاك المؤتمرات الدينية في (يوزين) في عام ١٩٥٥. كما حلّ بكيراسنوكز مندوب هذه المنظمة ضيفًا على المفتي الكبير في سوريا في عام ١٩٥٥، وأطلعه في هذه المناسبة على الحياة الدينية للتتار البولنديين، وبعد ذلك قامت نفس هذه الجمعية بنشر كتيب بعنوان المسلمين البولنديين، أثناء احتفالات مرور ألف عام على الدولة البولندية. وتضمن هذا الكتيب شروحات حول الدور الذي لعبه التتار في تاريخ البلاد، وكذلك عن حياتهم الدينية الحالية وأيضًا عن بعض المسائل التي تعلقت بالحركات الإسلامية الحديثة.

وفي مقدمة هذا الكتيب المتواضع الذي لم يتجاوز عدة صفحات إشارة إلى أنه يمكن أن تتحول هذه النشرة بعد ذلك إلى دورية دينية.

وتدل طريقة إقامة الشعائر الدينية وكذلك الآثار الثقافية التي احتفظ بها المسلمون البولنديون بصورة أكيدة على مدى شعورهم الروحي إلى الجماعة

وكذلك شعورهم بانتمائهم إلى نفس المجد الإسلامي. واعتادوا إغتنام الفرصة لإجراء اتصالات قوية فيمابينهم أثناء إقامة مراسيم عقد الزواج، أو التسمية أو تشييع الجنازة، لإنعاش الآثار الإسلامية.

وتوجد في بيوتهم خزائن من النصوص الدينية القديمة، وتوضح هذه النصوص ماضي هذا الشعب وشئون حياتهم الداخلية وماقدمه للبشرية إلى هذا اليوم. وعلى ذلك سعى مركز الاستشراق البولندي إلى إيجاد إمكانيات تجعل الاهتمام منصبًا على جمع البحوث التي قام بها رجال العلم والتي تركزت أساسًا على إبراز آثار الإسلام.

ونتج عن هذا الموقف مباشرة عقد التزامات من المستشرقين البولنديين لإنشاء مجموعة عمل شرقي - غربي. وتم تشكيل المجموعة في عام ١٩٥٧، أثناء اجتماع اللجنة البولندية المكلفة بمسألة اليونيسكو. واستهدفت هذه المجموعة دراسة القضايا المرتبطة بالمشرق والغرب ومدى تأثر بعضها ببعض.

وكانت الجهود المبذولة في هذا المجال من طرف الدكتور جان رشما الأستاذ في جامعة وارسو والمؤلف لكتاب المشرق والثقافة البولندية في القرن الثامن عشر، الذي نشر في عام ١٩٦٤، مجهودات فعالة وأشار ج/رشما في هذا الكتاب الذي كرس لإبراز آثار الإسلام في بولندا، إلى ضرورة القيام بدراسات معمقة في هذا الموضوع. كما شجع الآخرين بالسير إلى هذا الاتجاه. ومن ثم تمكن من إحاطة نفسه بمجموعة من الأشخاص المقتدرين بإجراء دراسات حول التتار في أكثر الأوقات ذلك لانشغالاته الشخصية بين منصب التعليم والعلم.

ولقد نشر كتيب باللغة العربية حول روائع وآثار المسلمين في بولندا في عام ١٩٥٨ بدعم من وزير الشئون الخارجية، وقام بتأليفه جان رشما، ثم ترجم بعد ذلك إلى الفارسية، وتم توزيعها في طهران عام ١٩٥٩ خلال المعرض الذي أقيم حول الروابط التاريخية البولندية مع دول المشرق الإسلامي.

وفي انعقاد المؤتمر الدولي الخامس حول السلافيات في وارسو ١٩٦٣، نشر مجمع العراقة البولندية منشوراً خاصاً في مجلة الآداب البولندية، اللسان الحالي للمجمع، وتضمن هذا المنشور من جهة مقالا حول فولوكور التتار، ومقالا آخر حول تاريخ المسلمين البولنديين من جهة أخرى. وترجمت هذه المقالات إلى اللغة الأندنوسية ونشرت في صورة كتيب في جاكارتا عام ١٩٦٥. وقد كان هذا الكتيب واحداً من المنشورات التي أعدت في عشية انعقاد مؤتمر الأفرو-آسيوية للمسلمين في (باندنغ).

ولقد سبق أن بينا أن المسلمين تمكنوا من الحفاظ على كل الوثائق الدينية النادرة التي خلفها لهم آباؤهم، بصورة مخطوطات كتبت بعضها منذ أكثر من مائة عام. ويهمنا هنا بصورة خاصة معرفة اللغة التي كتبت بها هذه المخطوطات. لأنها احتوت نصوصاً عربية وأخرى باللغة الروسية القديمة واللغة البولندية، وفي حالة نادرة باللغة الروسية، كما كتبت بعضها باللغة التركية، ولقد ساهمت عدّة عوامل في جعل مناخ هذا التعدد الواسع في اللغات عن المسلمين البولنديين. وعلى ذلك فقد التتار الذين هاجروا من بلدهم الأصلي منذ عدة قرون لغتهم الأصلية التركية. وبقيت لديهم اللغة الروسية القديمة أو اللغة البولندية. وكانت النصوص إذن مكتوبة بهذه اللغات، ولكن بالحروف العربية التي ظلت عليها النصوص الدينية مكتوبة. ولقد ساهمت اللغة العربية مساهمة كبيرة في نشر الرسالة، وأيضاً في جعل الروابط دائمة بين السكان (التتار) وبين المشرق الإسلامي.

قام معهد قضايا المشرق في الأكاديمية البولندية في العلوم في عام ١٩٦١ على نطاق واسع بأعمال كبيرة استهدفت وضع فهرست لهذه النصوص ونشرها في صورة كتاب جامع للمخطوطات الشرقية في مجموعة المخطوطات البولندية، وفقًا للقرارات التي تتخذها مجموعة العمل البولندية للمشروع شرق - غربي. وفي نفس الوقت قامت الجمعية البولندية للدراسات الإسلامية من

جهتها بتسجيل جميع المواد الهامة المتعلقة بالمسلمين داخل البلاد وقام بالإشراف على جميع هذه الأعمال الأستاذ استفان استرلسين أستاذ كرسي في الدراسات السامية والافريقيانية، ومدير مركز الدراسات الأفريقية في جامعة ورسوفيا.

ومن خلال هذا لقد اكتشفت في منطقة ويويو الواقعة في بيالستوك، بعض المخطوطات الهامة خاصة تلك التي أطلق علها باكتشافات (كتاب) التي كانت عبارة عن مادة روحانية لثقافة التتار، وتم نقل هذه النسخ القديمة أحيانًا، وكملت بالنصوص التجريبية المكتوبة.

ولم تكن دراسات الكتاب بصورة كافية من وضع صورة لمعرفة مدى تباين هذه النسخ، ولكن دلت حكايات المسلمين التي عثر عليها على أن هذه الأعمال اعتبرت من قبل الشعب التتاري بمثابة برهان على مشاركتهم بأعمالهم الأدبية التي كانت أكثرها مكتوبة باللغة الروسية القديمة واللغة البولندية التي حملت هذه النصوص بصورة واسعة. وكانت هذه النصوص تلقى بصوت عال في الأعياد الإسلامية وكانت لحفاظها مكانة عالية في المجتمع.

وتعتبر نصوص (كتاب) اليوم من الأشياء النادرة ومن الصعب العثور على نص جديد له أهمية كبيرة في مجال العلم، وفي الحقيقة توجد عند المسلمين كتب نموذجية للصلوات كهذه. وبعد ذلك تم فهرست عدد من الكتب من عام ١٩٦١ إلى عام ١٩٦٢، واحتوت هذه الكتب مجموعة من الأدعية بمختلف الصور، وكذلك أدعية التضرع التي تستخدم في المناسبات المختلفة.

إن نصوص (كتاب) النموذج الرفيع للأتباع البولنديين المسلمين تعتبر مصدراً غير ناضب للتعاليم الخاصة لهذه الجماعة الإسلامية ويمكن لفت الانتباه إلى وجوب معرفة اللغة التي كتبت بها هذه النصوص وفي ذلك يمكن لنا القول بأن هذه النصوص لم تكن قد كتبت باللغة العربية فقط بل كتبت أيضًا باللغة

التركية. ويتم تعليم الشعائر الدينية باللغة العربية، كما يمكن في نفس الوقت أن تكون النصوص مكتوبة باللغة الروسية القديمة أو باللغة البولندية. ولقد أصدر انانياز جازكزكوسكي بيانًا حول واحدة من هذه الكتيبات في عام ١٨٠٤.

وفي اللغة الجارية عند التتار، وخاصة تلك التي تستخدم من قبل الكبار، نلاحظ أحيانًا وجود صيغ جملية متميزة ومستعارة من الثقافة الدينية الإسلامية، وفي أكثر الحالات - وبصورة محددة - في الكتيب النموذج. وهذه الآثار والمصطلحات التي أدخلها العرب والترك إلى اللغة التتارية يمكن أن تكون موضوع دراسة للباحثين اللسانيين أو الباحثين في علم العراقة، وهذا مادعا إليه جان رشما. كما أعطى ولوزمير جازكركوسكي اهتمامًا أكثر بهذه الدراسات، غير أنه مع كونه اعتمد على المراجع العامة في اللغات الحية، اعتمد أيضًا على كتاب عنوانه بيان حول العقيدة المحمدية الذي نشر في عام ١٩٣٠، في ويلون بتأليف يوسف سوبولوسكني.

وجمع ولود زمير جازكركوسكي وثائق هامة تتعلق بدراسة أعلام المسلمين البولنديين وكان قد اقترح بعد ذلك نشر هذه الوثائق، ولانجد حتى الآن من خلال الأعمال التي تم القيام بها في فهرست الكتب الدينية، كتب التفاسير المؤلفة من طرف التتار إلا نادراً، وتذكر أن هذه الكتب المؤلفة في المشرق تحتوي تفسيرات تسهل الفهم الجيد للقرآن الكريم بدون تأويل في الموضوع أو الشكل ونصوص هذه الكتب فريدة في مفهوم المنطق الإسلامي، ولهذا السبب منعت في الإسلام مبدئيًا ترجمة القرآن إلى لغة أخرى ولكن في تفاسير التتار البولنديين نجد الترجمات والتفاسير مكتوبة بخط منحرف عن خط النصوص القرآنية.

ولقد اهتم الفقهاء اللغويون بهذا الكتاب بدرجة أنهم كثيراً ماكتبوا عنه في لغاتهم، وجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان بمثابة المصدر الوحيد للتعاليم التي تسمح بتطوير هذه اللغة في غضون فترة لم يعثر فيها على كتب أخرى.

ويهتم حاليًا أنطوني انطوثركز بهذه المسائل في الاتحاد السوفييتي، حيث يقوم بدراسة كتاب (كتاب) وكتاب الأماني التي يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر وحتى في القرن العشرين. وفي معهد اللسانيات في أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي تتوافر أعمال الباحثين في إعداد قاموس عن اللغة الروسية القديمة.

ومن بين النصوص القديمة التي لزم الأمر الاستعانة بها - كونها مصدراً لتعاليم نصوص (كتاب) الذي احتل مكانًا بارزاً في هذا الموضوع. ولقد عكف جان اسنانكوكز حول هذا قبل اندلاع الحرب العالمية الأخيرة وقام بدراسة نصوص (كتاب) القديمة بوجهة نظر اللغة الروسية القديمة، ولم تنشر النتائج الأولية بهذه الدراسات إلا في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٤.

ومن عام ١٩٦٣ اهتم المركز القروي للعلوم الاجتماعية في الأكاديمية البولندية للعلوم بدوره بدراسة حول التتار تركز على سكان القرى الإسلامية القديمة في بولندا مثل بوخونكي وكروشينياني. وتعتبر هذه الوثائق الهامة التي جمعت محلاً بدراسات الساعة. وعلى ذلك يبذل قسم علم الإنسان في جامعة وروكلافا مجهودات إيجابية لإدراج المجموعات المنعزلة عن هذه الجماعة السكانية في إطار برنامج البحوث البيولوجية الدولية، ومن عام ١٩٦٧ امتدت هذه البحوث إلى تتار ويوودي وبيالستوك.

هذا الواقع الذي يجعلنا أيضًا نفهم بصورة جيدة الاهتمام الذي تحظى به الجماعة المؤمنة بالعقيدة الإسلامية في بولندا والخارج. هكذا نشر في عام ١٩٥٩ كتاب عنوانه الإسلام في الغرب (أوربا - أفريقيا - من تأليف ج.ب روكش) وقد تناول هذا الكتاب كل ما تعلق بالروابط التي جمعت الإسلام والغرب، كما تناول أيضًا القيم النبيلة التي أضفاها العالم الإسلامي على الغرب وتناول المؤلف في كتابه المسلمين البولنديين.

إن بعض المعطيات المتعلقة بالتتار البولنديين لم تعد توافق الظروف الحالية، ذلك بسبب أنها استمدت من مقال نشر في مجلة الدراسات الإسلامية في عام ١٩٣٨ ونتمنى أن يكون هذا المقال الذي كتب منذ ثلاثة عقود قد بين الحوادث الجديدة لمؤلف بولندي تتاري في الوقت نفسه.

ملاحظات وانطباعات عامة عن وضع المسلمين في بولندا:

وقد خرج بها وفد رابطة العالم الإسلامي من زيارته لبولندا:

(١) انتشار الكنائيس وأنصاب الصليب في المدن والقرى يشير إلى الحرية الدينية المتوفرة التي يتمتع بها البولنديون عموماً بالرغم من الحكم الشيوعي المسيطر. كما أن المسئولين لايخفون اهتمامهم بالنشاط الديني ولايوجهون نقداً لشعائر الدين كما لاحظ الوفد ذلك من حديثي وزير الأديان البولندي وعمدة مدينة غدانسك وغيرهما.

(٢) مظاهر الحريات الفردية أكثر وضوحًا في بولندا وأكثرية الشعب البولندي يكن عداء للاتحاد السوفييتي ويضمر سخطًا على الشيوعية بحيث أن عدد أعضاء الحزب الشيوعي قد تقلص من ١٨٠٠٠٠٠ عضواً إلى ١٢٠٠٠٠٠ عضواً في السنوات الأخيرة.

(٣) المسلمون أقلية يتمركز أكثرية أفرادها في بعض مدن وقرى مقاطعة بياوستوك في شمال شرق بولندا كما يتواجد بعض الأفراد المسلمين في المدن الرئيسية مثل غدانسك ووارسو.

(٤) طول فترة انعزال المسلمين عن إخوتهم في العالم الإسلامي وتأثير الأكثرية المسيحية الغالبة عليهم أدى إلى اضمحلال ثقافتهم الدينية الإسلامية وتأثر المسلمين بالبيئة المسيحية المحيطة بهم وتنصر بعضهم.

(٥) رغبة المسلمين في التعرف على أحكام وتعاليم دينهم وإحساسهم الواضح بالمخاطر التي تحدق بهم إذا لم يتم تعليم وتربية أجيالهم على الإسلام والتسامح الحكومي الملموس لنشاط المسلمين الديني ومساعدتهم على ترميم وإنشاء المساجد يهيئ مناخًا جيداً على لتنشيط حركة الدعوة الإسلامية لتوعية المسلمين ومساعدتهم على حفظ كيانهم.

(٦) حركات القاديانيين بالإضافة إلى النشاط التنصيري من الكنائس التي تستمد قوتها من الأغلبية المسيحية والكنائس العالمية وتستغل فقر المسلمين وضعفهم في بث أفكارهم السامة وتياراتها الهدامة يوجب على الهيئات والحكومات الإسلامية أن تسرع وتبذل مافي وسعها لمساعدة المسلمين البولنديين في المحافظة على إسلامهم.

(٧) حظى وفد الرابطة باهتمام ملموس وترحيب ودي من المسئولين الحكوميين الذين قابلهم خلال جولاته في بولندا كما أن فرحة المسلمين البولنديين بالوفد كانت عظيمة عبرت عنها دموعهم وتلهفهم لرؤية الوفد ومصاحبته في زياراته ذلك لأنه قادم إليهم من الحرمين الشريفين.

(٨) مساعدة حكومة بولندا المسلمين على ترميم وإصلاح مسجدي كروشينياني وبخونيكي لكونهما من الآثار التاريخية كما أنها على استعداد لتقديم قطعة أرض في وارسو لبناء المركز الإسلامي وتساهم في طبع ترجمة معاني القرآن الكريم التي وضعها الدكتور يوسف بيلافسكي.

التوصيات الخاصة بالعمل الإسلامي في بولندا

(١) إن عزلة المسلمين في بولندا فترة طويلة عن إخوانهم في العالم الإسلامي أثر في اضمحلال ثقافتهم وتأثرهم بالبيئة المسيحية المحيطة واعتراهم يأس وقنوط من إخوتهم المسلمين.

لذا نرى أن الأمر يستدعي مزيداً من الاتصال بتلك الجماعات الإسلامية في بولندا بهدف ربطها بالمجموعة الإسلامية في العالم الإسلامي منعًا لاندثارها وذوبانها.

(٢) يتوجب على رابطة العالم الإسلامي أن تقوم بإمداد الجماعات الإسلامية هناك بكل ماتستطيعه من وسائل التوعية والتذكير بالإسلام ومايعينها على تفهم دينها بمايتناسب مع أوضاعها الحالية واحتياجاتها الثقافية.

(٣) دعم مجلس الاتحاد الديني الإسلامي بمايحتاجه من المساعدات المادية والمعنوية وبمايشجعه علي توسيع نشاطه الإسلامي حتى يستمر في بقائه وعمله كيانًا يجمع المسلمين في تلك البلاد المادية والمسيحية ويساعدهم في الإبقاء على كيان عام للأقلية المسلمة هناك.

(٤) تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين البولنديين في مدارس وجامعات إسلامية مثل جامعة الأزهر والكلية الإسلامية في يوغسلافيا والمعاهد الإسلامية في تركيا وأن يبدأ العمل العاجل بتقديم خمس منح دراسية لهم في المرحلة الأولى.

(٥) سرعة إرسال ثلاثة دعاة من الرابطة أو رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد إلى بياوستوك وغدانسك ووارسو عن طريق الرابطة لإمامة المسلمين وتوعيتهم بأمور دينهم وتعليم أبناء المسلمين أحكام الإسلام.

(٦) أن تقوم الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالاتصال بجمعيات الشباب المسلم في بولندا ودعوة بعض شباب المسلمين البولنديين إلى الاشتراك في المخيمات الإسلامية التي تقيمها سنويًا.

(٧) إعداد الكتب الإسلامية باللغة البولندية عن أحكام وتعاليم الإسلامي ومبادئ الثقافة الإسلامية المعاصرة بالاستعانة بالمسلمين الذي يجيدون اللغة البولندية وطبعها وتوزيعها على المسلمين وغيرهم في بولندا.

(٨) بالنظر إلى ظروف المسلمين الاقتصادية وعدم قدرتهم على تحمل تكاليف الحج ومصاريف السفر والإقامة. فإن الوفد يوصي بدعوة عشرة من المسلمين البولنديين لأداء فريضة الحج والعمرة سنويًا وأن تقوم الرابطة بتأمين تذاكر سفرهم واستضافتهم في موسم الحج.

(٩) تخصيص مبلغ قدره مائة ألف دولار للمساعدة في بناء المركز الإسلامي في وارسو العاصمة البولندية الذي استعدت الحكومة البولندية على منحه الأرض وأن يتم الدفع على دفعتين حسب مراحل العمل وأن تتبنى الرابطة إنشاءه ومتابعته.

(١٠) تخصيص مبلغ عشرين ألف دولار للمساعدة على شراء الأرض والبدء في بناء مسجد مدينة بياوستوك فوراً.

(١١) تخصيص مبلغ قدرة ستة آلاف دولار لبناء أماكن الوضوء والطهارة بجوار مسجدي كروشنيناني وبخونيكي.

(١٢) تخصيص مساعدة مالية سنوية لمجلس الاتحاد الإسلامي لاستئجار مقر له وتأمين لوازمه المكتبية ومساعدته في إصدار المجلة الإسلامية والنشرات الدينية.

(١٣) دعوة زعماء المسلمين البولنديين إلى المؤتمرات والندوات الإسلامية التي تقيمها الرابطة أو التي تشارك في إقامتها وذلك بهدف ربطهم مع الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي.

(١٤) الكتابة إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بأن تحث الدول الإسلامية على إرسال المصاحف والكتب الإسلامية إلى المسلمين في بولندا والعناية بهم.

(١٥) تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين البولنديين لدراسة العلوم الإسلامية في جامعات المملكة وفي جامعة الأزهر بالقاهرة في العام الدراسي القادم

مع اعتماد تكاليفهم في السنة المالية القادمة أو من هيئة الإغاثة الإسلامية مع دراسة مرئياتهم المرفقة في هذا الصدد.

(١٦) تخصيص مساعدة مالية سنوية لمساعدة السيد سليم حزبفيتش للاستمرار في إصدار المجلة الإسلامية المسماة (الحياة الإسلامية) باللغة البولندية.

(١٧) وضع خطة لإعداد بعض الكتب الإسلامية باللغة البولندية بمساعدة السيد بوغسواف زاغورسكي والاستعانة بالطلاب العرب المسلمين على مراجعة الترجمة للتأكد من صحتها وسلامة فحواها.

(١٨) مراجعة الترجمة البولندية التي وضعها يوسف بيلافسكي لمعاني القرآن الكريم وطبع منها مائة ألف نسخة نفدت من الأسواق عام ١٩٨٦. وإظهار اخطائها ودسائسها وإعداد الرد عليها.. وخاصة أنها لقيت إقبالاً كبيرا من الجمهور البولندي.. وذلك بالاستعانة بالطلاب العرب المسلمين في بولندا الذين يجيدون اللغتين العربية والبولندية.

(١٩) الكتابة إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي لإقامة معسكرات إسلامية في بولندا للشباب المسلم في بولندا ورومانيا والمجر ويوغوسلافيا.

(٢٠) مراجعة التقويم الهجري الذي وضعه/ السيد بوغسواف زاغورسكي وتسجيل الملاحظات عليه وكذلك تزويدهم بمواعيد الصلوات والإمساك - والإفطار في المدن الرئيسية في بولندا حتى تكون عونا للمسلمين على أداء فرائضهم. وكذلك مراجعة الدراسة التي وضعها السيد بوغسواف زاغورسكي عن الإسلام.

تم الكتاب ولله الحمد

الفهرس

الصفحة	المحتويـــات



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣